عجائب المقدور في أخبار تيمور

كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور
للفاضل الأديب الكامل الأريب
وحيد عصره وفريد دهره أقضى
القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن
عبد الله الدمشقي الأنصاري
المعروف بابن عربشاه
طاب الله ثراه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي على منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجري تيار الاعصار والدهور اذاق بني آدم بأس بعض ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور وأرسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة جبابرة تتار أقبلت كقطع من الليل المظلم لم يدر أحد ما هي فاذا هي تمور (أحمده) حمد من كان على شفا جرف من نارها فأنقذه منها وشكره شكر من ورطه فيها عدله فأنجته أيادي فضله عنها (وأشهد) أن لا اله الا هو الحكم العدل الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أرسله رحمة للعالمين وجعله رسول الله وخاتم النبيين فأخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون ونبأ بما كان في الازل وبما يكون الى يوم يبعثون واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال صلى الله عليه صلاة تذكي المسك الاذفر في صدور الكتب والتواريخ وتدني لقائلها في يوم الجزاء ثمرات الحسنات من أعلى

الشماريخ

الشماريخ وعلى آله وصحبه الذين أفاضوا سيول الفتح في الاقاليم فعمروها وشيدوا أركان الاسلام وأثاروا الارض بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان أكثر مما عمروها وسلم تسليما عزيزا دائما أبدا كثيرا (أما بعد) فلما كان في التواريخ عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن افتكر واعلام أن قاطن الدنيا على سفر واحضار صورة حال من مضى وغبر كيف قدر واقتدر ونهى وأمر وبغى وعمر وختل وختر وغلب وقهر وكسر وجبر وجمع وادخر وتكبر وتجبر وكيف عبس وبسر وضحك واستبشر وتقلب في أطواره من الطفولية الى الكبر الى أن تلقته أيدي العبر واختطفته وهو آمن مما تكون مخاليب القضاء والقدر كأنما ما صفا من عيشه الاكدر وتنغص حتى ذهب عنه ما صلا ومر ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن ادكر وتبصرة لمن استبصر (وكان من أعجب القضايا) بل من أعظم البلايا الفتنة التي يحار فيها اللبيب ويدهش في دجى حندسها الفطن الاريب ويسفه فيها الحليم ويذل فيها العزيز ويهان الكريم (قصة تيمور) رأس الفساق الاعرج الدجال الذي أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق أقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وتيمم بنجاسته الشركية صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل أغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل أردت أن اذكر مما رأيته وأقص في ذلك ما رويته اذ كانت احدى الكبر وأم العبر والداهية التي لا يرضى القضاء في وصفها بذا القدر والله أسأل الهام الصدق وسلوك طريق الحق انه ولي الاجابة ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابة وهو حسبي ونعم الوكيل

(فصل في ذكر نسبه وتدرج استيلائه على الممالك وتملكه)

(اسمه تيمور) بتاء مثناة مكسورة وياء ساكنة مثناة تحت وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة على طريقة الاملاء وفي التصريف بزنة بناته لكن جكرة الالفاظ الاعجمية اذا تداولتها صولجانات اللغة العربية شرطها في الدوران على بناء أوزانها ودحرجتها كيف شاءت في ميدان لسانها فقالوا في هذا تارة تمور وأخرى تمرلنك ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك وهو بالتركي الحديد ابن ترغاي بن ابغاي ومسقط رأس ذلك المدار قرية تسمى خواجه ايلغار وهي من أعمال الكش

فأبعدها الله من وحش والكش مدينة من مدن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر ميلا قيل رؤي ليلة ولد كأن شيئا يشبه الخوذة تراءى طائرا في عنان الجو ثم سقط إلى فضاء الدو ثم انبث على الأرض وانتشر وتطاير منه مثل الجمر والشرر وتراكم حتى ملأ البدو والحضر وقيل لما سقط إلى الأرض ذلك السقيط كانت كفاه مملوءتين من الدم العبيط فسألوا عن أحواله الزواجر والقافة وتفحصوا عن تأويل ذلك من الكهنة وأهل العيافة فقال بعضهم يكون شرطيا وقال بعضهم ينشأ لصا حراميا وقال قوم بل قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا وتظافرت هذه الأقوال إلى أن آل أمره إلى ما آل وكان هو وأبوه من الفدادين ومن طائفة أوباش لا عقل لهم ولا دين وقيل كان من الحشم الرحالة والأوباش البطالة وكانت ما وراء النهر مأواهم وتلك الضواحي مشتاهم وقيل كان أبوه اسكافا فقيرا جدا وكان هو شابا حديدا جلدا ولكنه لما كان به من القلة يجرم وبسبب تلك الاضرام يتضرر ويتضرم ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها فضربه الراعي في كتفه بسهم فأبطلها وثنى عليه بأخرى في فخذه فأخطلها فازداد كسرا على فقره وإثما على شره ورغبة في الفساد وحنقا على العباد والبلاد وطلب له في ذلك الأضراب والنظراء وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء مثل عباس وجهانشاه وقماري وسليمان شاه وايدكو تيمور وجاكو وسيف الدين نحو أربعين لا دنيا لهم ولا دين وكان مع ضيق يده وقلة عدده وعدده وضعف بدنه وحاله وعدم ماله ورجاله يذكر لهم أنه طالب الملك ومورد ملوك الدنيا موارد الهلك وهم في ذلك يتغافلون عنه بهذا النقل وينسبونه إلى كثرة الحماقة وقلة العقل ويدنونه منهم ويقبلون إليه ليسخروا منه ويضحكوا عليه شعر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما قصده والقضاء يرشده والقدر ينشده

لا تؤيسنك من مجد تباعده * فإن للمجد تدريجا وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت أنبوبا فأنبوبا

وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك البلاد وعليه لكل من قصده بأمر الدين والدنيا الاعتماد فذكر أن تيمور وهو

فقير عاجز بين عزم وهموم وذل ناجز لم يكن له سوى ثوب قطن واله باعه واشترى
بثمنه رأس ماعز وقصد به الشيخ المشار اليه وعول فيما قصده عليه وقد ربط بطرف
حبل عنق ذلك العناق وربق عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الرباق وجعل
يتشحط على عصى من جريد حتى دخل على ذلك الشيخ المفيد فصادفه وهو
والفقراء مشغولين بالذكر متفرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال
قائما حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن مقالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع
الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعه ثم رفع رأسه الى الجماعه
وقال كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستفتانى طلب لا ما يساوى عند الله
تعالى جناح بعوضه فترى ان نعطيه ولا نحرمه ولا نرده فامدوه بالدعاء اسعافا لما
طلبه فأشبهت قضيته قضية ثعلبه ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد
ما عرج الى ما عرج وقيل انه كان في بعض غزواته فضل الطريق سوره كاضلها
عن وسيره وكاد يهلك عطشا وجوعا وسار على ذلك اسبوعا فوقع في اثناء ذلك
على خيل السلطان فتلقاه الجشار باللطف والاحسان وكان تيمور يعرف
خصائص الخيل بسماتها ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هيآتها فاطلع
الجشار على ذلك منه وأخذ علم ذلك عنه وزاد فيه رغبه وطلب منه دوام الصحبه
وجهزه الى السلطان مع افراس له طلبها منه وأخبره بفضيلته وما شاهده عنه فانعم
السلطان عليه ووصى به الجشار ورده اليه فلم يلبث الجشار أن مات فتولى تيمور
وظيفته ولا زال يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته ثم انه فاضبها في بعض
مكالمته ومقاله فعيرته بما كان عليه من أول أمره وحاله فسل السيف وضربها على
أم رأسها من بين يديه فلم تكترث به ولم تلتفت اليه فضربها ضربة أزهق بها نفسها
وأسكنها رمسها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والفرد والطغيان الى ان كان
من أمره ما كان وكان السلطان اسمه حسين وهو من بيت الملك ونافذ الكلمتين
وتخت مملكته مدينة بلخ وهي من أقصى بلاد خراسان ولكن كانت بخارا وامره
جارية في ممالك ما وراء النهر الى أطراف تركستان وقيل كان أبوه أميرا عند
السلطان المذكور وهو بالجلادة والشهامة بين اضرابه مشهور ويمكن الجمع بين
هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان وتنقل الاحوال والحدثان والاصح ان

أباه ترغاى المذكور كان أحد أركان دولة السلطان ورأيت في ذيل تاريخ فارسي
يدعى المنتخب وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجيب نسبا يتصل منه
تيمور الى جنكزخان من جهة النساء حبائل الشيطان ولما استولى تيمور على
ما وراء النهر وفاق الاقران تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه كوركان وهو
بلغة المغول الختن لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكون وكان
للسلطان المذكور من الوزراء أربعة عليهم مدار المضرة والمنفعة هم أعيان
الممالك وبرأيهم يقتدي السالك والترك لهم قبائل وشعب تكاد توازي قبائل
العرب وكان واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة اسراج آرائه في بيوت تعبيرها
فتيلة طويلة قبيلة أحدهم تسمى ارلات وقبيلة الثاني تدعى جلاير وقبيلة الثالث
يقال لها قاوجين وقبيلة الرابع اسمها برلاس وكان تيمور ابن رابعهم في الناس
فنشأ شابا لبيبا معمرا طماحا عازما جلدا أريبا وكان يصاحب نظراءه من أولاد
الوزراء ويعاشر أضرابه من فتيان الامراء الى ان قال لهم في بعض الليال وقد
اجتمعوا في مكان خال وأخذت منهم العشرة والنشاط وارتفعت استار الاسرار
وامتد للبسط بساط ان جدتي فلانة وكانت من ذوي القيافة والكهانة رأت مناما
ما ذاقت منه أحلاما وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد من يدوخ البلاد
ويملك العباد ويكون صاحب القران وتذل له ملوك الزمان وذلك هو انا وقد
قرب الوقت ودنا فعاهدوني ان تكونوا الى ظهرا وعضدا وجناحا ويدا وان لا
تستحيلوا عني أبدا فاجابوه الى ما دعاهم اليه وتقاسموا ان يكونوا في السراء
والضراء معه لا عليه ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام
ويتفاوضون فيض غدير هذا الغدر من غير احتشام واكتتام حتى أنمى برقه قاطن
كل مصر وشام وخاض في حديثه كل قديم شجرة من خاص وعام وشعر به السلطان
وعلم انه غرس خلافة في دوح المملكة بان فاراد أن يرد كيده في نحره ويريح الدنيا
من شره والعباد والبلاد من عاره وعره ويعمل بموجب ما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج وهرب الى حضيض العصيان وهو سالم فرج
ويحكى انه في بعض هذه الاوقات واثناء هذه الحالات توجه الى الشيخ شمس

الدين المشار اليه واعتقده كما ذكر فيما عول عليه فانه كان يقول جميع ما نلته من
السلطنة وفتحته من مستغلقات الاكمنة انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين
الفاخوري وهمة الشيخ زين الدين الخوافي وما لقيته من بركة الا بالسيد بركة
وسيأتي ذكر زين الدين وبركة ثم قال تيمور ما فتحت أبواب السعادة والدولة على
ولا حصل كثير من فتوحات الدنيا الا من سهام سجستان ومن حين أصابني
ذلك النقصان اتاني ازدياد الى هذا الزمان والظاهر ان ابتداء أمره وظهور وجوده في تلك
الفئة كان فيما بين الستين والسبعين والسبعمائة وقال لي شيخي الامام العالم
العامل الكامل المكمل الفاضل فريد الدهر وحيد العصر علامة الورى أستاذ
الدنيا علاء الدين شيخ المحققين والمدققين قطب الزمان مرشد الدوران أبو عبد
الله محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق أدام الله تعالى أيام حياته وأمد الاسلام
والمسلمين بإمداد بركاته في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة ان تيمور قتل
السلطان حسينا المذكور في شعبان سنة احدى وسبعين وسبعمائة ومن ذلك الوقت
استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة على ما سيأتي فمدة استيلائه
مستقلا ست وثمانون سنة وذلك خارجا عن مدة شروعه وتدرجه الى حين استيلائه
ولما خرج سارقا هو ورفقاؤه يتخرمون في بلاد ما وراء النهر ويعاملون الناس
بالعدوان والقهر فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن وضيقوا عليهم تلك المغاني
والاماكن فقطعوا جيحون وصفر منهم ذلك المكان فاشتغلوا بالجرم في بلاد
خراسان خصوصا في نواحي سجستان ولا تسأل عما أفسد في فدافد خراسان
ومفاوز باورد وماشان فذهب بعض الليالي وقد أضر بهم السغب واشتغل فيهم من
الجوع اللهب فدخل سائلا من حوائط سجستان قد أوى اليه بعض رعاة الضأن
فاحتمل منها راسا وأدبر فشعر به الراعي وأبصر فاتبعه بالطين وضربه بسهمين
أصاب بأحدهما كتفه وبالآخر كعب فخذه درسا اذ أبطل بهذا الضرب الموزون
نصفه ثم أدركه واحتمله والى سلطان هراة المسمى بملك حسين أوصله فعند ضربه
أمر بصلبه وكان للسلطان ابن رأيه شيرمتين يدعى ملك غياث الدين فشفع فيه
واستوهبه من أبيه فقال له أبوه انه لم يصدر منك ما يدل على صلاحك ويسفر عن
نجابتك وفلاحك وهذا بغيتاتي سراحي مادة الفساد اني أبقي لهلاك العباد والبلاد

فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي ورمي ولا شك
ان أجله قد اقترب فلا تسكرن في موته السبب فوهبه اياه فوكل به من داواه الى
ان اندمل جرحه وبرئ قرحه فكان في خدمة ابن سلطان هراه من أعقل الخدم
واضبط الحكماء فتوفرت عنده حرمته وارتفعت درجته وسمعت كلمته فعصى
من نواب السلطان نائبه المتولي على سجستان فاستدعى تيمور أن يتوجه اليه
فأجابه الى ذلك وعول عليه وأضاف اليه طائفة من الاعوان فوصل الى سجستان
وقبض على نائبها المتمادي في الطغيان واستخلص أموال تلك البلاد وأخذ
من أطاعه من الاجناد وتلا آية العصيان بالجهر وارتحل بمن معه الى ما وراء
النهر (وقيل) بل كان في خدمة ابن السلطان الى ان ودع أبوه الحياة وانتقل واستقر
ولده في الملك واستقل فعند ذلك هرب تيمور الى ما وراء النهر وقد قوي منه الرأس
والظهر وكان اذ ذاك قد اجتمع عليه رفقاه وانحاز اليه أصحابه المتحزبون وعشراؤه
فأرسل غياث الدين الطلب وراءهم وقصد ان يكفي المسلمين شرهم وعناءهم وهيهات
فقد كان سبق العذل السيف وضيع اللبن في الصيف

(ذكر عبوره جيحون على فتره وما جرى من العبرات بهذه العبره)

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا ولم يمكنهم التواني
لان الطلب كان خلفهم ساعيا فقال تيمور لاصحابه النجاة النجاة ليتعلق كل
منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق نفسه في الماء وتواعدوا الى المكان وقال
توجهوا من شيرتوان فمن لم يأت الموعد يعلم أنه قد فقد فتهافتوا هم وخيولهم في ذلك
الماء العجاج والتيار الزخار والامواج تهافت الفراش على السراج ولم يعلم واحد
منهم حال الآخر ولا اطلع من تقدم منهم على أمر من تأخر وكابدوا أهوال الموت
وشاهدوا أهوال الفوت فنجوا ولم ينقص منهم أحد واجتمعوا الى ذلك الموعد
وذلك بعد ان أمنت منهم البلاد واطمأن في ممالكها كل رائح وغاد فجعلوا يتجسسون
الاخبار ويتتبعون الآثار ويحاربون الله ورسوله ويؤذون عباده ويقطعون
سبيله ولم يزل على ذلك يجري ويمشي الى ان وصل مدينة قرشي

(ذكر ما جرى له من الخطبه في دخوله الى قرشي وخلوصه من تلك الورطه)

فقال

فقال يوما لاصحابه وقد أضر به الدهر واضرى به واخصب منهم ربع الفساد
واعشب ان بالقرب منا مدينة نخشب مدينة أبي تراب النخشبي رحمة الله عليه
مدينة مصونة مسورة مكنونة ان ظفرنا بها تمكنا منها ظاهرا وملاذا وملجأ
ومعاذا وان هي كما هو دهي لو حصلناه وأخذنا ماله وقتلناه لتقوينا بماله من
خيول وعدد ولحصل لنا الفرج بعد الشدة وأنا أعلم أنه عن المناصر بائن
الوصول واستعار سحاب فتشمروا وذيلوهم وتركوا في مكان خيلهم واستعملوا في نيل
مرادهم ليلهم ودخلوا حين المدينة وقصدوا بيت الامير ورفعوا أيديهم فصادفوا
بيتهم بالحصر وكان الامير في البستان خارج البلد فاخذوا ما وجدوا له من أسلحة
وعدد وركبوا خيله وقتلوا من وجدوا من الاكابر له فاجتمع عليهم اهل البلد
وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا فلم يجدوا لهم
سوى الاستسلام ناصرا فقال له أصحابه لقد ألقينا بأنفسنا الى التهلكة من
هذا البحار فقال لا عليكم في مثل هذه المواطن يمتحن الرجل ويبرز فاجمعوا كيدكم
ثم ائتوا صفا واندفعوا نحو باب المدينة يدا واحدة زحفا حاطمين على العدو من
غير توان ولا هدو فاني أظن أنه لا يثبت لكم شيء ولا يقف امامكم حي فامتثلوا أمره
ورفعوا الصوت وقصدوا الباب خائضين غمار الموت وهجموا على العساكر هجوم
الليث واندفقوا اندفاق الغيث ففتح لهم منسد الباب لامر يريده مسبب
الاسباب فلم يلوا امامهم أحدا على أحد ولا نفعهم ما هم فيه من العدد والعدد ثم
التفتوا الى مكانهم سالمين ولم يزالوا على ذلك ما ثنين غانمين واجتمع عليهم أصحابهم
وانحاز اليهم في الفساد أضرابهم فصاروا نحوا من ثلاثمائة وعين يتعبر اليهم من
أهل الشرقة فارسل اليهم السلطان عسكرا غيره كثرتهم فكسروه واستولوا على
حصن من الحصون فحفظوه وجعلوه لكل ما ادخروه شعر

لا تحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب

(وقيل) * ان البعوضة تدمي مقلة الاسد *

(وقيل) * ولربما قرت بالبيدق الشاه *

ذكر من أسرى فتنة ذلك الباغي واستعبد من أحرار ملوك الاطراف

وأرسل تيمور الى ولاة بلخشان وكانت الولاة بها الاخوين بهما مستقلان تلقيا

ذلك عن أبيهما. وكان السلطان نزعها من أيديهما ثم أقرهما فيها على ان يكونا من تحت أمره واسترهن أولادهما عنده فصار أسيرى قهره فلما راسلهما تيمور على طاعته أجاباه ودخلا تحت كنفه

﴿ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الاركان﴾

ثم ان المغول نهضت من جهة المشرق على السلطان حسين فاستقبلهم وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين فانكسر السلطان فراسلهم أيضا ذلك الجبان واسم حاكمهم قمر الدين خان فأجابوا مراده واقتفوا ما أراده وسلطوه على السلطان ليستخلص من يده بلاده وواعدوه بمساعدتهم وأمدوه بمظاهرتهم ورجعوا الى بلادهم وقد أسلموه زمام قيادهم فقويت بذلك شوكته وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان الا بذل الجهد والامكان فى اطفاء نائرته وقطع دابرته فجعله نصب عينيه وتوجه بنفسه اليه بعسكر جرار كالبحر الزخار حتى انتهى الى مكان يسمى قاغلغار وهو صدفان بينهما مضيق هو الجادة العظمى والطريق يسير المار فى ذلك مقدار ساعة وفى وسط الدرب باب اذا أغلق وأحمى فلا شئ مثله فى المناعة وحواليه جبال كل منها بارز بنفسه قد شمخ وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ فصح ان يقال فيه أنف فى السماء واست فى الماء فأخذ العسكر فم ذلك الدرب بسد من جهة سمرقند وتيمور على الجانب الآخر وهو كالضايق والحاصر

﴿ذكر الحيلة التى صنعها والخديعة التى ابتدعها﴾

فقال تيمور لأصحابه انى أعرف هنا جادة خفية ما سلكها أحد لا تطأها الخطا ولا يهتدى اليها القطا فهلم نسرى ليلنا ونقود فى السرى خيلنا فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون فان أدركناهم ليلا فنحن الفائزون فأجابوه الى ذلك وشرعوا فى قطع تلك الوعور والمسالك وسار والليل أجمع وبلغ الفجر الطالع فأدركهم الصباح ولم يدركوا الجيش فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش ولم يمكنهم الرجوع وآذنت الشمس بالطلوع فوصلوا الى العسكر وقد أخذ فى التحميل وعزم على الرحيل فقال أصحابه بئس الرأى فعلنا فى قبضة العدو حصلنا لقد وقعنا فى الاشراك وألقينا بأيدينا أنفسنا الى الهلاك فقال تيمور

لا ضرر توجهوا نحو العسكر وانزلوا برأى منهم على خيلكم واتركوها ترعى
واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم فى لياليكم فتراموا عن خيلهم كأنهم صرعى
وتركوا خيولهم ترعى شعر

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ❊ نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل ❊ واقتد بها الجوزاء فهى عنان

فدخل العسكر بهم ويقال انهم من أحزابهم حتى اذا استراحوا ركبوا خيولهم وصاحوا ووضعوا السيوف فى أعدائهم راكبين أكتافهم من ورائهم فقتلوهم قتلا ذريعا وغادروهم بجادهم ربعا وهم الخطب المدلهم ولم يعلم أحد البلاد كيف دهم واتصل الخبر بالسلطان وقد خرج التلافى عن حيز الامكان فهرب الى بلخ وقد انسلخ من المملكة أى سلخ وشرع تيمور فى النهب والغارات والسلب ثم ضبط الاثقال وجمع الاموال ولم يراع الناس والمداره وأطاعوه وهم ما بين راض وكاره واستولى على ممالك ما وراء النهر وتسلط على العباد بالغلبة والقهر وأخذ فى ترتيب الجنود والعساكر واستخلاص الحصون والدساكر وكان نائب سمرقند واحد الاركان شخصا يدعى على شير من جهة السلطان فكاتبه تيمور على أن تكون الممالك بينهما نصفين ويكون معه على السلطان حسين فرضى على شير بذلك ووافقه الولايات والممالك وتوجه اليه وتمثل بين يديه فزاد فى اكرامه وبالغ فى احترامه

❊ذكر توجهه الى بدخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان❊

ثم انه ترك على شير بعد ما ركن اليه وقصد بدخشان فاستقبله ملكاها وتمثلا بين يديه وأتحفاه بالهدايا والخدم وأمداه بالجيوش والحشم فسار وهما معه من بدخشان قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان فتحصن منهم فأحاطوا به من كل مكان فأخرج أولادهما الذين كانوا عنده فى الرهان فضرب أعناقهم برأى من أبويهم ولم يرق لهم ولا من عليهم ثم انه ضعف حاله وقل عنه خيله ورجاله فنزل مستسلما للقضاء والقدر راضيا بما ذهب فى قضاء الله بما حلا ومر فقبض عليه تيمور وضبط الامور ثم رد أميرى بدخشان اليهما مكرمين وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين

وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين بعد ما خلا من الهجرة سبعمائة سنين ووصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه وشرع في تمهيد قواعد الممالك ونظمها في نظام سياسته وسلكه ثم انه قتل السلطان وأقام من جهته شخصا يدعى سيورغتمش من ذرية جنكزخان وقبيلة جنكزخان المتفردين باسم الخان والسلطان لانهم هم قريش الترك لا يقدر أحد أن يتقدم عليهم ولا تمكن أحد من انتزاع ذلك الشرف من أيديهم ولو قدر أحد على ذلك لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك فرفع سيورغتمش دفعا للطاعن وقطعا للسان سنان كل طاعن وانما لقب تيمور الامير الكبير وان كان في أمره كل مأمور منهم وأمير وانما كان في امره كالمسمار في الطين وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين واستمر على سرير الملك في سمرقند وكان يكرمه ويستشيره في أموره ويقدمه

﴿ذكر وثوب توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان﴾

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار راى ما جرى بين تيمور والسلطان فاردم قلبه وغار وذلك لعلة النسب والجوار وهيأ العسكر الجرار والجيش الزخار وتوجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق واترار فخرج اليه تيمور من سمرقند وتلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند وهو نهر سيحون وسمرقند بين نهري سيحون وجيحون فقامت بين العسكرين سوق المحاربة ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة ولا زالت رحى الحرب تدور الى أن انطحن عسكر تيمور فيئس عسكره وقد ذل وعقد جنوده انحل واذا برجل يقال له السيد بركة قد أقبل فقال له تيمور وهو في غاية الضرر يا سيدي السيد جيشي انكسر فقال له السيد لا تخف ثم نزل السيد عن فرسه ووقف وأخذ كفا من الحصبا وركب فرسه الشهبا ونفخها في وجوه العدى وصاح بقوله ياغي قاجدي وصرخ بها تيمور وتابعا ذلك الشيخ النجدي وكان هامي الصوت فكانه دعى الابل الظماء بجوت جوت فعطفت عساكره عطفة البقر على أولادها وأخذت في الجلاد مع أضدادها وانذادها ولم يبق في عسكره من جذع ولا قارح الا وهو بقوله ياغي قاجدي صائح ثم انهم كروا كرة واحدة بهمة متفاقدة وعزمة متساعدة

فرجع

فرجع جيش توقتاميش منهزمين وولوا على أعقابهم مدبرين فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف وغنموا الأموال والمواشي وأسروا وساطا الرؤس والحواشي ثم رجع تيمور الى سمرقند وقد ضبط أمور تركستان وبلاد خجند وعظم لديه السيد بركه وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا عمر حجاما فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى ومن قائل انه كان من أهل المدينة الشريفة ومنهم من يقول انه من أهل مكة المنيفة وعلى كل حال فانه كان من أكابر الأعيان في بلاد ما وراء النهر وخراسان لاسيما وقد أمد تيمور بهذه النجدة وخلصه بهذه اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر في هذه الشدة فقال تيمور تمن علي واحتكم لدي فقال له يا مولانا الأمير ان أوقاف الحرمين الشريفين في الأقاليم كثير ومن جملة ذلك اندخوي من ممالك خراسان وأنا وأولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان واذا أقيم أصل ذلك وخصه وعلم قدمه وخصه وضبطت أوقافه ومصارف ذلك ومصارفه ما كانت حصتي وحصة أولادي أقل من هذه القصبة في هذا الوادي فأقطعني اياها فأقطعه اياها مع مضافاتها وأعمالها وقراها وهي الى الآن في يد بني أولاده وأسباطه وأحفاده

(ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور)

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة وانحاز الى كل منهما طائفة فاغتاله تيمور وختله ثم قبض عليه وقتله فصفت الولايات والممالك لتيمور بعض الصفا وهرول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس كافا النائي وقفا

(ذكر ما جرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار)

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون وهم أنواع فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن ولكل طائفة منهم رؤس وظهور وأعضاد وضروس وكان تيمور مع ابهته يخافهم لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم فكان اذا قصد جانبا أقام له في سمرقند نائبا فاذا ابعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة

فخلعوا النائب أو نحوه واسم النائب وأظهروا المخالفة فما يرجع تيمور الا وقد
اتفق رد نظامه وتخبطت أموره وتشوش مقامه فيحتاج الى تجديد وتمهيد وتخريب
وتشييد فيقتل ويعزل ويعطي ويجزل ثم يتوجه لتمهيد ممالكه وتوطيد
ممالكه فيعودون الى عكرهم ويؤوبون الى خبثهم ومكرهم وتكررت هذه
القضية نحوا من أربع مرار فضاق تيمور ذرعا بالاشرار والدعار فاعمل الحيلة في
اغتيالهم وكف اذاهم واستئصالهم فصنع سورا ودعا اليه الملأ الاتق كبيرا
وصغيرا وصنف الناس أصنافا وجعل كل ذي عمل الى عامله مضافا وميز أولئك
الدعار مع رؤسائهم على حدة وفعل معهم ما فعله انوشروان بن كيقباد بالملاحدة
وأرصد له في أحد الاطراف أنصارا وقرر معهم ان كل من أرسله اليهم يولونه دمارا
ويكون ارساله اليهم على قتله شعارا ثم انه جعل يدعو رؤس الناس ويسقيهم
بيده الكاس ويخلع عليهم أنفس اللباس واذا أفضت النوبة من أولئك الدعار الى
أحد سقاه كاسه وخلع عليه وأشار أن يتوجه به الى نحو الرصد فاذا وصل اليهم
خلعوا عنه خلعته بل وثوب الحياة فسفكوه وسكبوا عسجد قالبه في بوتقة الفناء
فسبكوه الى أن أتى على آخرهم واستوفى بذلك قطع دابرهم ومحا آثارهم
واطفأ نارهم فصفت له المشارع وخلا ممالكه من مجاذب ومنازع ولم يبق له فيما
وراء النهر مانع ولا مدافع

﴿فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند﴾

فمن ذلك سمرقند وولاياتها وهي سبعة تومانات وأندكان وولاياتها وهي تسعة
تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل وفيما وراء النهر من
المدن المشهورة والاماكن المعتبرة المذكورة سمرقند وسورها قديما على
ما زعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال الدين قبل جنكيزخان
ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن
سمرقند نحو من نصف يوم والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون
دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي فيسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة (ومن
مدن) ما وراء النهر مرغينان وهي التخت كانت قديما وبها كان ايلك خان ومنها
خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله وخجند

وهي على ساحل سيحون وترمذ وهي على ساحل جيحون ونخشب وهي قرشى المذكورة والكش وبخارى وأندكان وهي أماكن مشهورة وغير ذلك (ومن الولايات) بلخشان وممالك خوارزم وأقليم صغانيان الى غير ذلك من الاطراف الواسعة والاكناف الشاسعة وفى عرفهم ماوراء النهر الى جهة الشرق توران وما كان فى هذا الطرف الى جهة الغرب ايران ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد وعراق عجم وغرب ايران

﴿ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقصاء ممالك ماوراء النهر﴾

ولما صفت له ممالك ماوراء النهر وذلت لأوامره صوائح الدهر شرع فى استخلاص البلاد واسترقاق العباد وجعل يشبح بأنامل الحيل الاشراك والاوهاق لاصطياد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين الآفاق فأول ما صاهر المغول وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم وصار آمنا من تبعتهم ودركهم وهم جيرانه من جهة الشرق ولا تباين بينه وبينهم ولافرق اذ الملة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين والملة وهي التوراة الجنكيزخانية عشاة فى كلا الدولتين فأمن شرهم وكفى كيدهم وضرهم

(ذكر تصميمه العزم وقصده جميع الاطراف وأولا ممالك خوارزم)

فحين أمن مكرهم وسد بالمصاهرة ثغرهم صمم العزم على التوجه الى ممالك خوارزم وهم مجاوره غربا بالشام ومباينوه بقشية قواعد الاسلام وتختهم مدينة جرجان وهي من أعظم البلدان وهذه المملكة ذات مدن عظيمة وولايات جسيمة تختها مجمع الفضلاء ومحط رحال العلماء ومقر الظرفاء والشعراء ومورد الادباء والكبراء ومعدن جبال الاعتزال وينبوع بحار أهل التحقيق من أرباب الهدى والضلال نعمها كثيرة وخيراتها غزيرة ووجوه فضائلها مستنيرة واسم سلطانها حسين صوفي وهو من الاعتقادات الباطلة قد صوفي ومدن ماوراء النهر وضع بعضها اقرب من بعض لأنها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض وأهل خوارزم كاهل سمرقند فى اللطافة وافضل من اهل سمرقند فى الحشمة والظرافة

يتعاطون المشاعرة والادب ولهم في فنون الفضل والمحاسن أشياء عجب خصوصا في معرفة الموسيقى والانغام ويشترك في ذلك منهم الخاص والعام ومما هو مشهور عنهم أن الطفل في المهد منهم اذا بكى أو قال آه فان ذلك يكون في شعبة دوكاه فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفي قانيا عنها فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها ولم يقدر عليها فلم يكترث بها ولا التفت اليها ثم لم أطراف حاشيته وعاد الى مملكته

(ذكر عوده ثانيا الى خوارزم)

ثم انه شد حزام الحزم وكر ثانيا الى خوارزم باستعداد تام وجيش طام وكان سلطانها أيضا غائبا وأقام لجمع بكرها غابا عاصرها وناجزها وشدد على أعناق مسالكها التلابيب وكاد أن يتشبث بأذيالها منه المخاليب فخرج اليه رجل من أعيانها وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها يقال له حسن سوريج والتمس أن يرفع عنهم ذلك الامر المريج وأن يبذل له ما طلب في مقابلة ما يريد من أسر وسلب فطلب منه حمل مائتي بغل فضة ترفع الى خزائنه نضه فلم يزل يراجعه ويلاطفه ويعانده حتى صالحه على ربع سؤاله وقام المصالح بذلك من ماله وصلب ماله ووزن له ذلك في الحال وأخذ تيمور في الترحال وكف عن الاذى شياطين جنده وعزم على التوجه الى سمرقنده

(ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذي خلصه من الصلب وراودفيه آباء)

ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذي كان مغيثه مملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه وطلب منه الدخول في ربقة الطاعه وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه والاقصد دياره وبلغه دماره فأرسل ملك غياث الدين يقول بصحبة الرسول أما كنت خادما لي وأحد اتباعي البلك وأسبلت ذيل احساني ونعمتي عليك فخلت وقتلت وفتكت وفلت وفعلت فعلتك التي فعلت وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا تعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه فارسل الى حشمه

وسكان قراه فاجتمعوا هم ومواشيهم حول هراة وحفر خندقاً حول البساتين محيطاً بالرباع وضعفة المساكين وحصر نفسه في القلعة وحسب أن يكون له بذلك منعة وذلك لما كان رأيه أولاً وآخراً خراً وجمود قريحته وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته قلت شعر

من لم يصادف سعده تقديره * يخطفه في تدبيره تدميره

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار ولكن أحاطت به العساكر دائرة مادار ومكث تيمور في الامن والدعة وهدوه في الضيق بعد السعة فاضطربت الرؤس والحواشي ومارت الانعام والمواشي وغص البلد بالزحام وهلكت الخواص والعوام وأضناهم السغب وعلاهم الصراخ والصخب فأرسل اليه السلطان يطلب منه الامان وعلم أنه اختنق بسببه وأنه آمنه أولاً فبلي به فذكر سابقة العرفان وما أسداه اليه من احسان وطلب منه تأكيد الامان بالايمان فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم وأن لا يراق له دم ولا يمزق له أديم فخرج اليه ودخل عليه ومثل بين يديه فدخل تيمور الى المدينة وصعد الى قلعتها الحصينة وصحبته السلطان وقد أحاطت به جنود هراة والاعوان فأشار واحد من أبطال أصحاب هراة على السلطان أن يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه وقال له ما معناه أنا أفدي المسلمين بنفسي ومالي وأقتل هذا الأعرج ولا أبالي فلم يجبه الى اشارته واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته وقال ان لله تعالى تصريفاً في عباده ولا بد أن ينفذ فيهم سهم مراده ولا مفر من القضا ولا محيص عما قدره الله تعالى وقضى شعر

واذا أتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا أمر لا بد من ظهوره فلا تبحث عن حقيقة أموره فمن غالب القضاء غلب ومن ناهب الزمان سلب ومن قاوى تيار المقدور غرق ومن استلذ بالغفلة في مشارب اللهو شرق وذكر في ذلك الوقت مقالة أبيه له واطلع على تحقيقه ولكن السهم خرج فما أمكن رده الى فوقه

(ذكر اجتماع ذلك الجافي بالشيخ زين الدين أبي بكر الخوافي)

وكان في بعض قصبات خراسان سمع أن في قصبة خواف رجلاً قدسه الله تعالى

الاطاف عالما عاملا كبيرا فاضلا ذا كرامات ظاهره وولايات باهره وكلمات زاهره ومقامات طاهره ومكاشفات صادقه ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه يدعى الشيخ زين الدين أبا بكر الطائر اجتهاده فى حظيرة القدس أعلى وكر فقصد تيمور رؤيته وتوجه اليه وجماعته فقالوا للشيخ ان تيمور قادم عليك وواصل اليك يقصد رؤيتك وبرجو بركتك فلم يرفع الشيخ بلفظه ولا رفع لذلك لحظه فوصل تيمور اليه ونزل عن فرسه ودخل عليه والشيخ مشتغل بحاله على عادته جالس فى ذكره على سجادته فلما انتهى اليه قام الشيخ فاحدودب تيمور متكئا على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه وقال تيمور لولا أن الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة لخلته انقصف واقد تصورت أن السماء وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جلس بين يدى ذلك المنتجب على ركبتى الادب وقال له بالملاطفة فى المحاوره على سبيل الاستفهام لا المناظره ياسيدى الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وأن لا يميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم وتقدمنا بذلك اليهم فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه وقال ملكت الدنيا ورب الكعبه وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراه واحتاط على ما ملكت يداه وضبط ولاياتها بابا بابا وقرر لكل جانب نائبا وتوجه الى سمرقند قافلا بعد أمكنه وحبس السلطان فى المدينه وأرصد عليه بابها ووكل بحفظه أصحابها وأضاف اليهم أسد الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ وذلك لحلفه أن لا يريق دمه وأن يحفظ له ذممه فلم يرق له دما ولكنه قتله فى الحبس جوعا وظما

﴿ذكر عوده الى خراسان وتخريبه ولايات سجستان﴾

ثم عاد الى خراسان وقد عزم على الانتقام من سجستان فخرج اليه أهلها طالبين الصلح والصلاح فأجابهم الى ذلك على أن يفدوه بالسلاح فاخرجوا اليه ما عندهم من عدة ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدة فخالفهم وكتب عليهم قسامات بالسيف ان مدينتهم خلت من السلاح وارفة فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم

فاضاف

فأضاف بهم جنود المنايا من بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ومحاها فلم يبن لها عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه أوّلا منهم أصيب وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن أبي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ان الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان بهزيمة أو غيبة أو بنوع لطيفة من الله تعالى المنان لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا أن يجمعوا بها ما فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه

(ذكر قصد ذلك الغدار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه)

ثم لما أثار بسجستان ما أثار قصد بعساكره مدينة سبزوار وكان واليها يدعى حسن الجوري مستقلا بالامارة وهو رافضي فما أمكنه الا الاطاعة واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه فأقره على ولايته وزاد في رعايته

(فصل) وكان من عادة تيمور ومكره انه كان في أوّل أمره اذا نزل بأحد مستضيفا استنسبه وحفظ اسمه ونسبه وقال له اذا بلغك أني استوليت وعلى الممالك استقليت فأتني بعلامة كذا فاني أكافيك اذا فلما انتشر ذكره وشاع أمره وفشا في الدنيا خبره وخبره هرعت الناس بالعلائم اليه ووفدت من كل فج عميق عليه وكان ينزل كل أحد منزلته ويحله مرتبته

(ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار)

وكان في مدينة سبزوار رجل شريف من الشطار يدعى السيد محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار يسمون السربدالية يعني الشطار وكان هذا السيد رجلا مشهورا بالمآثر والفضائل مذكورا فقال تيمور علي به فاني ما حدثت الا بسببه وقد كنت متشوقا اليه ومتشوفا لعلم ما لديه فدعوه له فدخل عليه فقام اليه وأعتنقه وقابله ببشر ومنطقه وأكرمه وأدناه وقال في جملة نجواه يا سيدي السيد قل لي كيف أستخلص ممالك خراسان وأحويها وانى أحوزها أدانيها وأقاصيها وماذا أفعل حتى يتم لي هذا الامر وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر فقال له السيد يا مولانا الامير أنا رجل فقير وقير من آل الرسول من أين

أنا وهذا الفضول وإني وإن قيل لي شريف رجل عاجز ضعيف لا طاقة لي بموارد
الملك ومن أنا حتى أتشاور في إصلاح الملك ومن داخل الملوك أو خالطهم أو
عارضهم في أمورهم أو مازجهم كان كالعائم في مجمع البحرين وكالجاثم في منتطح
الكبشين والخارج في لغته عمان وشتان ما بين المأمون والطحان فقال لا بد أن
تدلني على هذه الطريقة وتخبرني من المجاز إلى هذه الحقيقة ولولا أني تفرست فيك
ذلك وتحققت أن برأيك تقتدى الممالك ولولا أنك أهل لهذه المعرفة ما فهت لك
ببنت شفة ولا استغنيت عنك استغناء التفه عن الرفه فإن فراساتي بأسره
وقضاياي كلها قياسية فقال ذلك الشيخ أيها الأمير ارتسم في هذا مقالي
وتتبع إشارتي فقال ما استمر تلك الآلة بعملك ولا جارية تلك الآلة بمشي معك فقال إن
أردت أن يصفو لك المشرب وتنال الممالك من غير أن تتعب فعليك بخواجه علي ابن
المؤيد الطوسي قطب فلك هذه الممالك ومركز دائرة هذه المسالك فإن أقبل
عليك بظاهره ولم يكن بباطنه إلا معك وإن ولى عنك بوجهه فلن يفيدك غيره ولن
ينفعك فكن على استجلاب خاطره وحضوره إليك أبلغ جاهد فإنه رجل صلب
وظاهره وباطنه واحد وإن طاعة الناس منوطة بطاعته وأفعال الكل مربوطة
بإشارته فما فعل فعلوا فإن حط حطوا وإن رحل رحلوا وكان هذا الرجل أعني
خواجه علي المذكور رجلا شيعيا مواليا عليا يضرب السكة باسم الاثني عشر إماما
ويخطب بأسمائهم وكان شهما هماما ثم قال السيد يا أمير ادع خواجه علي فإذا لبى
دعوتك وحضر حضرتك فلا تترك من أنواع الاحترام والتوقير والإكرام
والتكبير شيئا إلا وأوصله إياه فإنه يحفظ لك ذلك ويراعاه وأنزله منزلة الملوك
العظام في التعظيم والتوقير والاحترام ولا تدع معه شيئا مما يليق بحشمتك فإن
ذلك كله عائد إلى حرمتك وعظمتك ثم خرج السيد من عند تيمور وجهز قاصدا إلى
الخواجه علي المذكور يقول له إنه قد مهد له الأمور فإن جاءه قاصده فلا يتوقف عن
الطاعة ولا يقعد عن التوجه إليه ولا ساعة ويكون منشرح البال آمنا سطواته في
الحال والمآل فاستعد خواجه علي لقدوم الوارد وورود القاصد وهيأ الخدمات
والتقادم والحمولات وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار وخطب باسمهما
في جوامع الأمصار وقعد لأمره منجزا وأقام للطلب مستوفزا وإذا بقاصد تيمور

جاءه منه بكتاب فيه من ألطف كلام وألين خطاب يستدعيه مع انشراح الصدر
وتوفير التوقير وتكثير البر فنهض من ساعته على لسان طاعته ولم يلبث غير
مسافة الطريق وقدم بأمل فسيح وعهد وثيق فلما أشعر بوفوده جهز لاستقباله
أساورة جنوده وسر سرورا شديدا وكأنه استأنف ملكا جديدا فلما وصل قدم
هدايا فاخرة وتحفا متكاثرة وطرائف ملوكيه وذخائر خسرويه فعظمه
تعظيما بالغا وأولاه انعاما سابغا وأسبل عليه رداء من خلع اعزازه وإكرامه
ذيلا سابغا واستمر به على ولايته وزاده في بره وكرامته فلم يبق في خراسان أمير مدينه
ولا نائب قلعة مكينه ولا من يشار إليه الا وقصد تيمور وأقبل عليه فمن أكابرهم
أمير محمد حاكم باورد وأمير عبد الله حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق وبلغت
سطوته مازندران وگيلان وبلاد الري والعراق وامتلأت منه القلوب والأسماع
وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع وكل هذا في مدة قصيرة وأيام
قلائل يسيره نحو من سنتين بعد قتل السلطان حسين

﴿ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع﴾

ولما صفت له بلاد خراسان وأذعن لطاعته كل قاص ودان راسل شاه شجاع
سلطان شيراز وعراق العجم يطلب منه الطاعة والانقياد وإرسال الأموال والخدم
ومن جملة كتابه وفحوى خطابه ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام
والجائرين من ملوك الأنام ورفعني على من ناواني ونصرني على من خالفني
وعاداني وقد رأيت وسمعت فان أجبت وأطعت فبها ونعمت والا فاعلم أن في
قدمي ثلاثة أشياء الخراب والقحط والوباء وإثم كل ذلك عائد عليك ومنسوب اليك
فلم يسع شاه شجاع الا ملاطفته ومهاداته ومصاهرته ومصافاته فزوج ابنته بابن
تيمور ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور فانقضت تلك الباسطة بواسطة افساد
الواسطة وتخريب الخطاب وتقريب الماشطة قلت بديها في هذا * شعر

اذا اتخذت لأمر عز واسطة * فاحذر دهاه وكن منه على وجل
واعلم بأن طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دغل
فلا تثق منهم يوما بواسطة * واشرع بنفسك فيه غير متكل

فاغنا رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل

ومتى عنان الكلام فى هذا المقام يخرجنا عن المرام ولكن تمت رياض المحبة زاهره وأرباض المودة عامره وقفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائره واستمروا على ذلك من غير نزاع الى أن توفى شاه شجاع وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا وله شعر رائق وأدب فائق فى شعره العربى على ما قيل شعر

الا ان عهدى فى الغرام يطول * وأسباب صبرى لا تزال تزول

أصون هواها كالنادر شارق * ولكن عنائى قد يتم نحول

ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا * فامت يقينا انه لجهول

ومن شعره الفارسى

أى بكام عاشقان حسنت جميل * كى كزينم ديكرى برتو بديل

كر زيادت فافلم عيشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم سبيل

هركسى تدبير كارى ميكند * ما رها كرديم بانم الوكيل

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر وكان أبوه من أفراد الناس ومن أهل البر يسكن ضواحى يزد وابرقوه ذا بأس شديد يخافه القريب والبعيد ويرجوه وكان قد نبغ بين يزد وشيراز عربى من آل خفاجة سلط على سالكى الطريقة سفيقة المجار يدعى جمال لوك أفقر الغنى وأباد الصعلوك لا يبالى بالرجال قلت أو كثرت ولا يكترث بكواكب النبال اذا انكدرت وانكب على رأسه وانتثرت فأباد طائفة من البلاد وأهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد فكمن له أبو شاه شجاع فى بعض وهد أو بقاع ثم قاتله مواجهه وكافحه مشافهه ونازله فصرعه وقطع رأسه وانتزعه فقصد برأسه السلطان فقدمه على سائر الاعوان وأقطعه أماكن عده وقربه وجعله عده لكل شده وكان له عدة أولاد وأقارب وأحفاد كل منهم رئيس مطاع فن أولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع فصار كل منهم ذا كلمة نافذه ويد مطيعة آخذه ولم يكن للسلطان ولد يبقى وراءه فى أمور الملك أو يعقب فلما أقبل عليه رائد المنية أجابه وولى مدبرا ولم يعقب وكان اذ ذاك قد ثبتت أوتاد محمد بن مظفر فتقدم فى السلطنة ومن سواه أخر فصار فى ممالك عراق العجم الملك المطاع واستقل

من غير تشاق ونزاع وتصرف في الممالك كيف يشاء ورداه الله خلعة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ومات في سبعمائة ولده شاه مظفر المشهور وخلف ولده شاه منصور ثم جرى بين شاه شجاع وبين أبيه من النزاع والشرور ما الاخبار فيه وقبض على أبيه وقهره وطعنه بكز عينيه وأعدمه بصره وتمكن من السلطنة واستقر وكان به مرض جوع البقر بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور أن لا يجمع بينه وبين تيمور فلما أدركه الاجل وطوى فراش الموت منه بساط الامل أحضر ما له من الاقارب والاولاد وقسم عليهم الممالك والبلاد فولى ابنه لصلبه زين العابدين شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الوافدين وأقطع أخاه السلطان أحمد ولايات كرمان وأعطى ابن أخيه شاه يحيى يزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان وأسند وصيته بذلك الى تيمور وخلد ذلك في رق منشور وأشهد على ذلك من حضر جمعه فكان كمن سلم الرمح لابي زوبعه ولما أدرج الموت ثوب عمر شاه شجاع انتشرت بين أقاربه شقق الشقاق والنزاع فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه واستولى على شيراز وطعنه بكز عينيه وخالف عمه ونقض حبل عهده وفعل مع أبيه ما فعل أبوه بجده وحبل هذه القصة ممدود والاشتغال بنقضه وابرامه مخرج عن المقصود فاغتص تيمور وامتعض وتجرع الغصص وارتمض ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص

﴿ذكر توجه تيمور مرة ثالثة الى خوارزم بالعساكر العابثة العائثة﴾

ثم ان تيمور جدد الحزم وصمم العزم على التوجه الى خوارزم فتوجه الى تلك البلاد من خراسان على طريق استراباد وكان سلطانها أيضا غائبا فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا فخرج اليه حسن الدكور وصالحه واشترى منه الشرور والمقابحه وقال له يا مولانا الامير كلنا عندك أسير ولكن سلطاننا غائب واذا أقيم علينا من جهتك نائب ثم رجع الينا السلطان فلا بد أن يقع بينهما شنآن واذا كان الامر كذا فربما يصل الى منه أذى فيكون ذلك سببا تأكيد العداوه ويزداد بينكما الجفا والقساوه فيفيض حنقك على المسلمين ويقع فساد والله لا يحب المفسدين وها أن حسن صوفي صار نائبك فكل الخلق يجب عليه ان يراعي خدمتك وجانبك ورأيك أعلى واتباع مرسومك أولى فسمع تيمور كلامه وقبل

قوله وقوض للرحيل خيامه وكان لحسن المذكور ابن غير فالح له عمل غير صالح
فمكانه فتك بحظية من حظايا السلطان وذاع ذلك في المكان وفاح ذفره في أنف
الزمان فلم يتقيد بذلك الفعل القبيح حسن وقال ان لي على السلطان مننا وأي منن
حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار وبذلت في ذلك مالي وجاهي ثلاث مرار
فلا بد أن يقابل هذه المساءه بالعفو عن جريمة ولدي والمسامحه فلما آب السلطان
من سفره واطلع على حقيقة الامر وخبره قبض على حسن وولده وقتلهما
وألقاهما بين يدي أسد تهوره فأكلهما وخرب ديارهما ونقل الى خزانته شعارهما
ودثارهما ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي وولي بعده ولده يوسف صوفي وكان
تيمور قبل ذلك قد صاهرهم وناصرهم على مخالفيهم وظاهرهم وزوج ابنه الله يدعى
جهان كير عقيلة منهم ذات قدر كبير وأصل خطير ووجه مستنير أحسن من
شيرين وأظرف من ولاده ولكونها من بنات الملوك كانت تدعى خانزاده فولدت
له محمد سلطان وكان في نجابته واقباله ساطع البرهان فلما شاهد تيمور في شمائله
مخائل السعاده وقد فاق في النجابة أولاده وأحفاده أقبل دون الكل عليه وعهد
مع وجود أعمامه اليه لكن عاند الدهر ذلك الظلوم فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم وسيأتي ذكر ذلك

(ذكر توجه ذلك الباقعه الى خوارزم مرة رابعه)

فلما سمع تيمور ما جرى على حسن من الشرور تحنق وشد الازم ووجه ركاب
الغضب الى خوارزم فأخذها وقتل سلطانها وهدم أركانها وخرب بنيانها وولى
على ما بقي منها نائبا من عنده ونقل جميع ما أمكنه نقله منها الى ممالك سمرقنده
وتاريخ خراب خوارزم عذاب كما ان تاريخ خراب دمشق خراب

(ذكر ما كان ذلك الجان راسل به شاه ولي أمير ممالك مازندران)

ثم انه لما كان توجه الى خراسان راسل شاه ولي أمير ممالك مازندران وكاتب الامراء
المستقلين بتلك الممالك منهم اسكندر الجلابي وارشيوند وابراهيم القمي واستدعاهم
الى حضرته كما هو جاري عادته فأجابه بالضروره ابراهيم وارشيوند واسكندر وتأبى
عليه شاه ولي ذلك الغضنفر فلم يلتفت الى خطابه وخشن له في جوابه

ذكر

﴿ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق وما وقع في ذلك
من الشقاق وعدم الاتفاق﴾

ثم أرسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان والى السلطان أحمد بن
الشيخ أويس متولي عراق العرب واذربيجان يخبرهما بورود خطابه وصدور
جوابه ثم قال أنا ثغركما وان انتظم أمري انتظم أمركما وان نزل بي منه بائقة
فانها اليكما لاحقة فان ساعدتماني عدد كفيتكما هذا النكد والاقتصار ان
كما قيل شعر

من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته

فأما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه وهادن تيمور وكاتبه وهاداه وأما السلطان
أحمد فأجاب بجواب مهمل وقال هذا الاشل الاعرج الجغتاي ما عساه أن يفعل
ومن أين ومن أين للاعرج الجغتاي أن يطأ العراقين وان بينه وبين هذه البلاد
خرط القتاد ولكم بين مكان ومكان فلا يجعل العراق كخراسان ولئن عقدت على
التوجه الى ديارنا نيته ليحلن به منيته ولترحلن عنه أمنيته فانا قوم لنا البأس
والشدة والعدة والعدد والدولة والنجدة ولنا يصلح التشامخ والتأبي حتى كأنه
قال فينا المتنبي نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال فلما
علم ذلك منهم شاه ولي وأيقن أن كلا منهما عن شجوه خلي قال أما أنا فوالله لأوافقه
بعزم صادق ونفس مطمئنة فلئن ظفرت به لأنذرن بكما في الامصار ولأجعلنكما عبرة
لأولي الابصار وان ظفر بي فلا علي ما يصل اليكما فليتنزل القضاء الطام والبلاء
العام عليكما ثم استعد لقتاله واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه ولما تراءى الجمعان
واتصلت المراشقة بالضرب والطعان ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من قهره وعهره ثم ولى
الدبر لما لاحظ ما رأى من كره وفره وتبع السنة في الفرار عما لا يطاق وتوجه الى
الري اذ ما أمكنه التوجه الى العراق وكان بها أمير مستقل يدعى محمد جوكار متصرفا
بحكومته في تلك القرى والامصار وكان كريما شجاعا ومالكا مطاعا ومع ذلك فانه
دارى تيمور وراعى منه بعض الامور وخاف سطوته وبأسه فقتل شاه ولي
وأرسل الى تيمور رأسه

(ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني من الوقائع مع ذلك الجاني)

وكان في بعض ولايات مازندران رجل يسمى أبا بكر من قرية تدعى شاسبان
وكان في الحروب كالاسد الغضوب وكان قد أباد وأبار الجم الغفير من عساكر
التتار اذا التقى في المجال لا تثبت له الرجال واذا وضع العمامة أقام فيهم
القيامه ولا زال يكمن بين الروابي والجبال ويجندل الجنود والابطال حتى صارت
تضرب به الامثال وترعد منه الفرائص ولو في طيف الخيال فكان القائل منهم
يقول لمركوبه اذا عاق عليه أو سقاه فتأخر عن الماء أو جفل من الخلاء كأن أبا بكر
الشاسباني في الماء أو بين العليق تراه وقيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة استيلائه
مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه الا من ثلاثة أنفار أضروا به وبعساكره غاية
الاضرار وأوردوا كثيرا منهم موارد النار * أحدهم أبو بكر الشاسباني وثانيهم
سيدي على الكردي وثالثهم أمة التركماني فأما أبو بكر هذا فذكروا انه في بعض
مضائق مازندران تغلب عليه الجغتاي من كل مكان وسدوا عليه وجه الخلاص
وشدوا حبل المقتنص فألجأه الى جرف يقابله جرف مقدار ثمانية أذرع ما بين
الجرف الى الجرف كان مقره حسب النقير أو واد في قعر السعير فنزل أبو بكر عن
جواده المغير وطفر وظفر من أحد الجرفين الى الآخر بما عليه من السلاح والمغفر
ولم ينل منهم ضرا أو نجا كما نجا تأبط شرا ثم اتصل بحاشيته وأبادهم ونقل الى
طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم ثم ما أدرى أمره الى ماذا آل
وكيف تقلبت به الاحوال * وأما سيدي على الكردي فانه كان أميرا في بلاد الكرد
معه طائفة من الخيل الجرد والرجال غير المرد في جبال عاصيه وأماكن وعرة
متقاصيه فكان يخرج هو وجماعته ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق
من هو به واثق ثم يشن على عساكر تيمور الغارات ويدرك فيهم للمسلمين الثارات
ويقتطع من حواشيهم وما يمكنه من مواشيهم ثم يرجع الى أوكاره بما اقتضى من
أوطاره ولم يزل على ذلك الثبات في حياة تيمور وبعد أن مات الى أن أدركته الوفاة
ففات * وأما امة التركماني فانه كان من تراكمة قراباغ وله ابنان قد وسم كل منهما
على قلب تيمور أي داغ وكانت الحروب والنزال بينهم وبين أميران شاه وعساكر
الجغتاي لا تزال وفنوا من جماعتهم عددا لا يحصى وجانبا فات الاستقصا الى

ان غدر واحد من المتسببين اليهم فطلب غرتهم ودل عسكر امير انشاه عليهم فبيتوهم ليلا وأراقوا من دمهم سيلا فاستشهد الثلاثة في سبيل الله رحمهم الله قلت شعر

وأصعب فتنة تشميت الاعدا * وأنكى منه تخذيل الموالى

(وقيل شعر)

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

(وقيل شعر)

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فماذا الذى أبقيتم للاباعد

(ذكر توجه تيمور الى عراق العجم ونهوض شاه منصور نحو ذلك البحر الخضم)

ولما توفى شاه شجاع ووقع بين أهله كامن نزاع واستقر امر عراق العجم على شاه منصور وخلصت ممالك مازندران وولاياتها لتيمور وكان شاه شجاع قد أوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل أمره اليه وحقد تيمور على شاه منصور طريقة افعاله مع ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه فاستعد شاه منصور أقاربه فسكنهم مشاربه وعاد محاذبه ومجانبه وأقام كل منهم بحفظ جانبه فتهيأ للاقاته وحده بنحو ألفى فارس كاملى العدد بعد ان حصن المدينه وحوطها بالاهبة المكينه ورتب خيلها ورجلها وحرض على التصبر والتربص أهلها فقال له أكابر اعيانها والرؤس من سكانها كنا بك فى التقدم وسد الحرب قد التحم وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن الهجوم علينا ورعبا جندلنا له رجالا وابطالا من عسكره ابطالا ثم عاذا تصنع انت بألفى راكب مع هذا العمام المتراكم المتراكب ورعاجل عقدك أو بعل جندك فلا ترى لنفسك فى الهيجاء الا طلب الخلاص والنجاه وتتركنا على وضم بعد ان زلت بنا منه القدم ولا ينفعنا بعد تأكيد العداوة الندم ولا يجبرنا اذ ذاك هذا الكسر الا بالقتل والنهب والاسر فوضع يده على دبوسه شاه منصور وقال هذا الالف فى الكاف السادسة من أم من يفر من تيمور أما انا فأقاتل وجندى فان خذلنى جندى قاتلت وحدى وبذلت فى ذلك جدى وجهدى وعانيت عليه وكدى وكدى فان نصرت نلت قصدى وان قتلت فلا على عتب بعدى وكان أنا كنت الحاضر

والخاطر في خاطر الشاعر حين قال

اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه وأراد بذلك حفظ مدنه فضاع في ضياعه ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها وأفلاذ كبدها وأولادها وقال ان هذا عدو ثقيل وهو وان كان خارجيا فهو في بلادنا دخيل فالرأي أني لا أنحصر معه في مكان ولا أقابله بضرب أو طعان بل أتنقل في الجوانب وأتساقط أنا ورجالي عليه من كل جانب فنصفع أكتافهم ونقطع أطرافهم ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل وكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفا والغرة فتارة ننطحه وأخرى نرمحه وكرة نجدحه ومرة نجرحه ونسلبه الهجوع ونمنعه الرجوع فتنسد عليه المضائق وتنسد عليه الطرق والطرائق غير أن القصد منكم يا أحرار ويا غرر الفخار وسور النفار أن تحفظوا وتضبطوا الاسوار ولا تغفلوا عنها آناء الليل وأطراف النهار فاني ما دمت بعيدا عنكم لا يدنو أحد منهم منكم وان حاصروكم ففيكم كفايه واستودعكم الله وهو نعم الوقايه وغاية ما تكونون في هذه البوسا مقدار ما وعد الله تعالى نبيه موسى ولله هذا الرأي ما كان أمتنه ووجه هذا القصد ما كان أحسنه ثم انه خرج ذاهبا وقصد جانبا

﴿ذكر دقيقة قصدت فخانت ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حانت﴾

فبينما هو عند باب المدينة جائز نظرته سعلات من مشومات العجائز فبدرته بالملام وآذته بالكلام ونادت بلسان الاعجام انظروا الى هذا تركش بجرام رعى أموالنا وتحكم في دمائنا وفارقنا أحوج ما نحن اليه في غلب أعدائنا جعل الله حمل السلاح عليه حراما ولا أنجح له قصدا ولا أسعف له مراما فقدحت زناده ونخبت فؤاده وتأججت نيران غضبه وأحرق أكداس تدبره شواظ لهبه وثارت نفسه الابيه وأخذته حمية الجاهليه حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم وغلط فأمسى وهو لاغلاطه ملازم فثنى عنان عزمه وكر أسنان ازمه واقسم لا يبرح عن المقاومه ولا يرجع في مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه ويجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء الى أن يعطي الله النصر لمن يشاء ثم قابل ورتب ابطاله

وقاتل

وقاتل وكان في عسكر شاه منصور أمير خراساني مباطن لتيمور يدعى محمد بن زين الدين من الفجرة المعتدين وجميل الاساكر كان معه فسار الى تيمور وأكثر الجند تبعه فلم يبق منهم الا دون الالف فمانز واحد منهم من الزحف فثبت شاه منصور بعد ان تضعضعت منه الامور فلم تزل نيران الهيجاء تتقطع وزناد الحرب تورى اذ تنقدح وشرار السهام تتطاير وغبار الرؤس عن مناصل السيوف تقطف فتتناثر حتى أقبل جيش الليل وشمر للهزيمة جند النهار الذيل فراجع كل منهم الى وكره واعمل شاه منصور فكره في مكره

(ذكر ما نقل من شاه منصور مما أوقع بعسكر تيمور من الحرب والويل تحت جنح الليل)

فعمد الى فرس جفول من بين الخيول أسمح من دهر رمح وارمح من عمر سمح وأتى بها عسكر العدو وقد أخذ الليل في الهدو ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس ملفوفة في قطعة بلاس وشدها شدا أحكم وثاقها وصوب رأسها نحو العدو وساقها فجالت الفرس في العسكر واضطربت واختلطت الناس واحتربت وانسابت جداول السيوف في بطون تلال النحور وانسربت حتى كأن الساعة اقتربت أو السماء عليهم بالشهب انقلبت والارض بهم اهتزت وربت وشاه منصور واقف حواليهم كالبازي المطل عليهم يقتل من شذ ويبيد من ند وصاروا كما قيل

شعر

الليل داج والكباش تنتطح * نطاح جند ما أراها اصطلح

فقائم وقاعد ومنبطح * فمن نجا برأسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشرة آلاف نفس فلما قوض الليل خيامه ورفع النهار أعلامه علموا البلاء كيف دهاهم وليت الليل لم يكن فارق ذراهم ثم ان شاه منصور أصبح وقد قل ناصره وفل موازره فانتخب من جماعته فئة نحوا من خمسمائة فجعل يصول بهم صولة الاسد ويخوض بهم غمار الموت فلا يلوي امامهم أحد على أحد وجعل يسرة ويمنة ويقتحم ويصيح أنا شاه منصور الصابر المحتسب فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النساء واختفى بينهن وغطى بكساء فبادرته وقلن

نحو حرم وأشرن الى طائفة من العسكر المصطدم وقلن هنالك بغيتك وبين أولئك طلبتك فألوى راجعا وتركهن تحادها وقصد حيث أشرن اليه وقد أحاطت به جموع العساكر وحلقت عليه قلت بديها شعر

وما حز أعناق الرجال سوى النسا * وأي بلاء ما النساء به أبلى

وكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وكان على فرس فاق خصالا فضرب فيهم بسيفه يمينا وشمالا وفرسه السبوح كأنها تقاتل معه وتصادم وتكادم من يقرب منها في تلك الملحمة وكأنه ينشد معنى ما قلته في مرآة الادب شعر

يد الله فوقي فلت يداهم * وهذي يدي فيهم بسيفي تضرب

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال افترقت امامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من أهل الشمال ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده

حتى أنهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وخذلت أبطاله وقلت خيله ورجاله وتغيرت من كل جهة أحواله وسقطت طرائقه وسدت مضائقه وتعوست شقائقه وضرست فيالقه وخمدت بوارقه وهمدت بيادقه وحص جناحه وقص جناحه وخف مراحه وأثقلته جراحه وسكنت همهمته وسكتت غمغمته فانفرد عن أصحابه وقد آذاه الجراح وأودى به ولم يبق معه في ذلك البحر سوى نفرين أحدهما يدعى توكل والآخر مهتر نظر وأخذه الدهش وغلب عليه العطش ونشف الرهج والوهج كبده وطلب شربة ماء فما وجده ولو وجد ما يبل به رمقه لم يقدر أحد أن يقطع عليه طريقه فرأى الاولى أن يطرح نفسه بين القتلى فأطرح بينهم نفسه ورمى أهبته وسيب فرسه وقتل توكل ونجا نظر الدين وبه من الجراح نحو من سبعين وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين وكان من الابطال والمصارعين فتراجع جيش تيمور وتضام وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام وذلك بعد ان قتل منهم ما لا يعد وأفنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يحد وطفق تيمور في القلق والضجر والارق لفقد شاه منصور وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد الهصور أهو في الاحياء فيخشى مكره أم انتقل الى دار الفناء فيؤمن مكره فأمر بتفتيش الجرحى

والتنقيب

والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى الى أن كانت الشمس تتوارى بالحجاب ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب فعندما ضم دينار البيضاء تحت ذيل ملاءة الضياء ومد نساج القدرة فى جو الفضاء سدا والليل اذا سجى ونثر على سطح هذا الاديم المسا دراهم كواكبه الزهراء واتسع الظلام واتسق عثر واحد من الجنتاى على شاه منصور وبه أدنى رمق فتشبث شاه منصور بذلك الانسان بل الشيطان الخوان وناداه الامان الامان أنا شاه منصور فاكتم عنى هذه الامور وخذ منى هذه الجواهر وخاف فى قضيتى ولا تجاهر وكانى لا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى وان أخفيت مكانى وأوصلتنى الى اخوانى وأعوانى كنت كمن أعتقنى بعدما اشترانى ومن بعدما أماتنى أحيانى وكنت ترى مكافاتى وتغنم مصافاتى ثم أخرج له من الجواهر ما يكفيه وذريته الى اليوم الآخر فكان فى قصته واستكشاف غصته كالمستغيث بعمرو عند كربته فاعتم أن وثب على شاه منصور وحز رأسه وأتى به الى تيمور وحكى له ما جرى بتخبير المشترى فما صدقه ولا فى كلامه استوثقه بل أخرج من قبائله وشعوبه من عرفه به فعرفوه بشامة كانت على وجهه علامه فلما علم أنه شاه منصور بعينه وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه تحنق وتحيف وتحرق لقتل شاه منصور وتأسف ثم سأل ذلك الرجل عن محتده وعن والده وولده وعن قبيلته وذويه وخدمه ومربيه فلما استوضح أخباره وعلم نجاره ونجاره أرسل مرسومه الى متولى تلك الداره فقتل أهله وأولاده وأعوانه وأنصاره وآله وأحفاده وأختانه وأصهاره وقتل شر قتلة ومحا آثاره وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره ثم أرسل الى اطراف ممالكه مطالعات يذكر فيها صور تلك المصافات والواقعات وما شاهد من ثبات شاه منصور وثباته وعشيانه غمرات الحرب وصرباته وما حصل فى واقعة القتال على الحديد فى صف سراسلاته وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء فى فتح عبراته بعبارات هائلة وكلمات فى ميادين الفصاحة والبلاغة جائله وهذه المطالعات تقرأ فى المحافل والمشاهد وتتلى فى المصادر والموارد ويستشهد بها ذوو الآداب ويعتنى بحفظها الكتاب والصبيان فى الكتاب رايت فى أخبار بعض المتقنين انه فى شوال سنة خمس وتسعين ورد رسول صاحب بسطام يؤذن سلطان مصر

بالاعلام ان تيمور قتل شاه منصور وانه تولى على شيراز وسائر البلاد وأرسل
رأسه الى حاكم بغداد وأمره بالطاعة هو ومن معه من الجماعة وأرسل اليه خلعة
وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك في الجمعة فلبس خلعته وائتمر عقلا كابه
أمر وانه علق رأس شاه منصور بعدما طاف به على السور وما أظن لذلك صحة

﴿ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور﴾

فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم وأرسل من داناه من أقارب
شاه شجاع وملوك الامم واستمال الخواطر وأمن البادي والحاضر ورحل فجاز
مدينة شيراز وضبط أحوالها وقرر فيها خيلها ورجالها ونادى بالامان للقاصي
والدان فلبت دعوته ملوك البلاد ولم يسعهم معه الا الاطاعة والانقياد فوصل
اليه سلطان أحمد من كرمان وشاه يحيى من يزد وعمي سلطان أبو اسحاق في
سيرجان فأنعم وخلع على من أطاعه وانقاد ولم يتعرض لمن أظهر العناد ولم يشق
بينه وبين مخالفيه العصا وأكرم من أطاعه ليوقع بذلك من عصى وطرح على
شيراز وسائر البلدان بالامان وأقام في كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان
وأحسن الى زين العابدين الذي هو وصيه من أبيه ووظف له من الجوامك والادرارات
ما يكفيه وذويه

﴿ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان﴾

فلما وصل الى أصبهان وكانت من أكبر البلدان مملوءة بالافاضل محشوة بالاماثل
وبها شخص من علماء الاسلام والسادة الاعلام قد بلغ في العلم الغاية وفي
العمل والاجتهاد النهاية أفعاله مبروره وكراماته مشهوره ومآثره مذكوره
ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره وهو معتقد المسلمين وكان اسمه امام الدين
وكان أهل أصبهان يذكرون له تيمور ويحذرون من شره أي محذور فيقول لهم
مادمت فيكم حيا لا يضركم كيده شيا فان وفاني الاجل فكونوا من أذاه على
وجل اتفق انه في وصول تيمور توفي الشيخ المذكور فاصبحت أصبهان ظلمات
بعضها فوق بعض بعد أن كانت نورا على نور فتضاعفت حسرتهم وترادفت
كسرتهم فوقعوا في الحيرة وصاروا كابي هريره رضي الله عنه حيث يقول

للناس هم ولي في اليوم همان * فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان

فخرجوا إليه وصالحوه على جمل أموال فأرسل إليهم لاستخلاصها الرجال فوزعوها على الجهات وفرضوها على الحارات والمحلات وتفرق فيهم المستخلصون فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم وتوصلوا إلى أن مدوا أيديهم إلى الحرم فانتهكوا منهم أي نكاية فرفع أهل أصبهان إلى رئيسهم الشكاية وكثرت منهم الشكية وهم قوم لهم حمية وقالوا الموت على هذه الحالة خير من الحياة مع هذه الاستطالة فقال لهم رئيسهم إذا أقبل المساء فأنا أضرب الطبل لكن لا تحت كساء فإذا سمعتم الطبل قد دق فالقول قد حق فليقض كل منكم على نزيله وليحتكم فيه بسمين رأيه وهزيله فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس والأمر المنكوس في الطالع المنحوس وقصروا أيادي أنظارهم السقيمة عن قصارى هذه الأمور الوخيمة ولما تعرى العشاء من ثوب نوره وأبدل الجوارح بسموره ومضى هزيع من الليل ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف فأصبحوا وقد غرسوا في دوح العصيان أغصان الخلاف فأثمر ذلك لهم الحور بعد الكور وبان لهم البور فأصبحوا بورا بهذا الجور ولما سل الفجر حسامه وحسر النهار لثامه بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤم فنفخ الشيطان منه في الخيشوم فارتحل من فوره واستقل في ضبع غضبه ونزل بحبحة جوره وتوجه إلى المدينة مزمجرا متكالبا متأسدا متنمرا فوصل إليها وأشفق عليها وأمر بالدماء أن تسفك وبالحرمات أن تهتك وبالأرواح أن تسلب وبالأموال أن تنهب وبالعمارات أن تخرب وبالزروع أن تحرق وبالفروع أن تخرق وبالأطفال أن تطرح وبالأجساد أن تجرح وبالأعراض أن تثلم وبالذمم أن تثلم ولا تسلم وأن يطوى بساط الرحمة وينشر مسح النقمة فلا يرحم كبير لكبره ولا صغير لصغره ولا يوقر عالم لعلمه ولا ذو أدب لفضله وحلمه ولا شريف لنسبه ولا منيف لحسبه ولا غريب لغربته ولا قريب لقرابته وقربته ولا مسلم لإسلامه ولا ذمي لذمامه ولا ضعيف لضعفه ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه وبالجملة فلا يبقى على أحد ممن هو داخل البلد وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال مجال فضلا عن ضراب وقتال وأن قول الاعتذار محال وأنه ليس ينجيهم من

ريب المنون مال ولا بنون ولا يقبل منهم في تلك الساعة ولا ينفعهم عدل ولا
شفاعة فخضعوا بحصون الاصطبار وتدرعوا دروع الاعتبار وتلقوا سهام القضاء
من جنايا المنايا بمجن تسليم المراد واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف
باعناق التفويض والانقياد فاطلق في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار وجعل
مقابرهم بطون الذئاب والضباع وحواصل الاطيار ولا زالت عواصف الفناء تجتثهم
من اشجار الوجود حتى حصر واحد القتلى فكان تحوست من امة يونس بن
متى فاستغاث بعض العلماء بواحد من رؤس الامراء وقال العفو في البقية
والرأفة في الرعية فقال ذلك الامير للسائل الفقير اجمعوا بعض الاطفال عند
بعض التلال فلعل ان يأتي منه عذر ويتم شيأ ما عسى ولعل فامتثلوا ما به امر
ووضعوا شرذمة من الاطفال منه على التل ثم ركب ذلك الامير مع تيمور واخذ به
على تلك الاطفال ومر ثم قال انظر يا مخدوم نظر الراحم الى المرحوم فقال ما هؤلاء
الطرحاء الاشقياء فقال اطفال معصومون وامة مرحومون ومحرومون استحر
القتل بوالديهم وحل غضب مولانا الامير على اكابرهم وذويهم وهم يسترحمون
بعواطف الملوكية وصغرهم ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم ان ترحم ذلهم وتبقي على من بقي لهم فلم يحر جوابا ولا ابدى خطابا ثم
مال بعنان فرسه عليهم ولم يظهر انه بصر بهم ولا نظر اليهم وبالت معه تلك الجنود
والعساكر حتى اتى منهم على الاول والآخر فجعلهم طعمة للسنابك ودقة تحت اقدام
اولئك ثم جمع الاموال واوسق الاحمال ومال راجعا الى سمرقند وعاقد بالوكم
بين هذه الامور والقضايا من دواه وبلايا واخبار وحكايات وتجهيز سرايا وتولية
وعزل وابراز هزل في صورة جد وجد في صورة هزل وبناء وهد وصد ورد وتعمير
قاصر وتخريب عامر وتهان وتعاز وانحراف وتواز ومباحثات مع علماء
ومناظرات مع كبراء ورفع وضعاء ووضع شرفاء وتمهيد قواعد وتقريب اباعد
وتبعيد اداني وبروز مراسيم الى كل قاص وداني الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر ولا
يضبط بديوان ولا دفتر

* (ذكر ضبطه طرف المغل والختا وما صدر منه في تلك الاماكن واتى) *

ولما وصل الى سمرقند أرسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير مع سيف الدين الامير الى أقصى ما تبلغ اليه مملكته وتنفذ فيه كلمته وهو وراء سيحون شرقا سوا آخذا في بحور ممالك المغل والجتا والخطا نحو من مسيرة شهر من ممالك ماوراء النهر فمهدوا هنالك الوهد والبقاع وبنوا فيه جملة من القلاع وأقصاها بلد يسمى اشباره فبنوا فيه حصنا حصينا مسدا للنهب والغاره وخطب من بنات الملوك ملكة أخرى وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى فأجابهم ملكهم الى ما سأل وأناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل وارتجت منه أقاليم المغل والخطا وذلك لما بلغهم مما فتك في كل طرف وبتك من بلاد الاسلام وسطا وكان السفير في ذلك الله داد أخو سيف الدين المذكور وهو الذي استخلص أموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور وأمر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب وسماها شاه رخيه وهي في أماكن رحبيه وسبب تسميته ابنه شاه رخ بهذا الاسم وسم هذه المدينة بهذا الوسم انه كان على عادته مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته وقد أمر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل فرمى على خصمه شاه رخا فدبل خصمه لذلك وارتخى وبينما خصمه قد وقع في الاين اذا ببشرين جا آخبرين أحدهما يبشر بولد والآخر يبشره بتمام عمارة البلد فسماهما بهذين الاسمين ووسمهما بهذين الوسمين

(ذكر مودة ذلك الافعوان الى ممالك فارس وخراسان وفتكه بملوك عراق العجم واستصفائه تلك الولايات والامم)

ثم عاد بعد تمهيد البلاد وتوطيد قواعد ممالك تركستان الى بلاد خراسان فاستقبله الملوك والامراء والسلاطين والوزراء وسارعوا اليه من كل جانب ما بين راجل وراكب ما بين دعوته حاذر من سطوته معتنين بخدمته وسلموه الانجاد والاغوار والاطواد والقفار والقرى وسكانها والذرى وقطانها والقلاع العاصيه وربطوا بذيل أمره كل ناصيه ممتثلي أوامره مجتنبي زواجره حاقدي نطاق عبوديته بأنامل الاخلاص تابعي رائد مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص فمنهم جميع

من مر ذكره من المطيعين ومن كان في الشواهق عند عتبته مقيمين ومن جملتهم
اسكندر الجلابي أحد ملوك مازندران وارشيوند الفارسكوهي ذلك الاسد الغضبان
صاحب الجبال الشوامخ العاصية القلال وابراهيم القمي صاحب النجده والمعد
لكل شده وأطاعه السلطان أبو اسحاق من شيرجان فاجتمع عنده من ملوك
عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن أخي سلطان كلهم
في ممالكه ملك مطاع مثل سلطان أحمد أخي شاه شجاع وشاه يحيى ابن أخي شاه
شجاع سوى ملوك مازندران وسوى أرشيوند وابراهيم وملوك خراسان وما سلك
السلطان أبو اسحاق غط أقاربه في الطاعة وعمل على ذلك الطرز خلف ببلده
شيرجان نائبا يقال له كودرز فاتفق في بعض الايام انه اجتمع عند تيمور هؤلاء
الملوك العظام فكانوا عنده في خيمة له وهو بينهم وحده فأشار واحد منهم الى
شاه يحيى وقد أمكنت الفرصه أن يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه فأجابه بعض
وامتنع بعض وقال من رضى بذلك من لم يرض ان لم تكفوا وعن هذا المقال تعفوا
أخبرته بهذه المقاله وأطلعته على هذه الحاله فامتنعوا عن هذا الراى المتين والفكر
الرصين لاختلافهم ولا يزالون مختلفين وكانه طالع أحوالهم أو تفرس أقوالهم
فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم ثم مكث أياما وجلس للناس جلوسا عاما وقد لبس
ثيابا حمرا ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرا ثم أمر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة
صبرا ثم لما أبادهم ضبط بلادهم وجمع طريفهم وتلادهم وقتل أولادهم
وأحفادهم وأقام في ممالكهم أولاده وامراءه واحفاده واسباطه واجناده
وسبب قتله هؤلاء الملوك وفتكه وتمزيقه ستر حياتهم وهتكه ان بلاد العجم كانت
لا تخلو عن الملوك الاكابر ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر وهي ممالك
واسعه اطرافها شاسعه مدنها وافره وقراها متكاثره وأوتادها وتادها راسخه
وعرانين أطوادها شامخه ومخدرات قلاعها ناشزه ومضمرات مكامنها ومعادنها غير
بارزه وكواسر أكامرها كاسره ونواشر جوارحها للظهور ناشره وغور دمارها
طامره وبدور شطارها طافره وثعابين أبطالها في جداول الجدال ظاهره
وتماسيح أقيالها في بحار الضراب قاهره فنظر تيمور بعين بصيرته في وذيلة تأمله
ومرآة فكرته فرأى أنه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة عارض ولا يصفو ورد

ثمر فاقتطفها من شارب معارض ولا يثبت له فى بنيان ممالكها اساس محكم ولا ينبت له فى بستان ممالكها غراس ينعم وكان قصده ابقاء مبانيها واجراء أموره على ما اقتضته التوراة الجنكزخانية فيها فلم يمكن عمل فلاحة السلطنة فى بسيط أرضها وسوق أنهار أوامره فى ضواحى ممالكها وطولها وعرضها الا بقلع علائق اسباب أكابرها وكسر قوادم أخشاب أحساب أكابرها فسعى فى استئصال فرعهم وأصلهم واجتهد فى اهلاك حرثهم ونسلهم وجعل لا يدع لهم بذرة نطفة فى أرض رحم الا قلعها ولا يشم منهم رائحة زهرة فى كم كين الا قطعها وقيل انه كان فى مجلس فيه اسكندر الجلابى وكأنه كان مجلس نشاط ومقام انشراح وانبساط فسأل اسكندر فى ذلك المحضر وقال ان حكم القضاء بفساد بنيتى من تراه يتعرض لاولادى وذريتى فأجابه وهو فى حالة الشطح وقد جالت عليه دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح أول من ينازع أولادك المشائيم أنا وارشيوند وابراهيم فان نجا من مخاليبى منهم أحد فانه لا يخلص من أنياب ابراهيم الاسد وان أفلت أحد منهم من ذلك البلد فانه لا يخرج له من شر ارشيوند وكان أرشيوند وابراهيم حاضرين فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين واراد بالابقاء عليه وقوعه مع صاحبيه فلما أفاق اسكندر لاموه على ما قال فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال ولا عتب فى ذلك على انطقنى بذلك الله الذى أنطق كل شئ ثم ان اسكندر وابراهيم هربا فقبض على ارشيوند والقاه فى النازعات فصار نبا وهتك حريم عمره اذ جرعه أول الرعد واقراه آخر نوح وسبا ثم ان اسكندر لم ير له أثر ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر وكان كبير الهامه طويل القامه اذا مشى بين الناس كأنه علامه حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد كان نحوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد وابراهيم القمى استمر على انكماشه ثم مات على فراشه فكان ذلك سبب ابادة الملوك وأبنائهم الهلاك

﴿فصل﴾ ثم ان تيمور رعى عليه كودرز فى قلعة شيرجان وقال ان مخدومى شاه منصور موجود الى الآن وكان هذا الكلام فاشيا فى الخاص والعام فكان كودرز يتوقع ظهوره ويزجى على ذلك أعوامه وشهوره فحاصر تيمور قلعة شيرجان فلم يلح له عليها سلطان فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان

وأضاف اليهم عساكر سجستان وذلك بعد ان شملها العمران وكان نائبها يدعى
شاه أبا الفتح فحاصروها وضايقوها من عشر سنين وهم ما بين طاعنين فيها وعليها مقيمين
وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا وعانس لا تملك لخاطبيها من خطابها خطابا وكان تيمور ولى
كرمان شخصا يدعى ايدكو من اخوان السلطان فكان هو المشار اليه ومن
العسكر هو المعول عليه ولما تحقق كودرز من شاه منصور وفاته وخذله الانصار
وأعجزه الانتصار وفاته وكان ابو الفتح يراسله كل ساعه ويتكفل له عند تيمور
بالشفاعه أذعن للصلح واستعمل لذلك أبا الفتح ونزل مترامياً عليهم وسلم الحصن
اليهم فحنق ايدكو عليه لكون عقد الصلح لم يحصل على يديه فقتله من ساعته ولم
يلتفت الى أبي الفتح وشفاعته فأخبر تيمور بذلك وكان في بعض الممالك فغضب
عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

(فصل) فيما حكى عن ايدكو هذا متولي كرمان أنه كان بها للسلطان أحمد
أخي شاه شجاع ولدان صغيران أحدهما يدعى سلطان مهدي والآخر سليمان خان
وكان سليمان خان في غاية الحسن واللطافه حاويا معاني الملاحة والظرافه معجى
بالكمال مربى بالدلال ألفاظه رائقه وألحاظه راشقه والارواح اليه شائقه
وأرباب الالباب له عاشقه حركاته في القلوب ساكنه ومقلته للخلق فاتنه كما
قيل شعر

نسيم صبح في غلالة ماء * وتمثال نور في أديم هواء

وعمره اذ ذاك ستة أعوام ولكن مفتتن به الخاص والعام فعزم ايدكو على اتلافهما
والحاقهما بأسلافهما ولم يكتف من تلك الدرة بأنها صارت يتيمه ولا رق لامهما
التي خربت ديارها الكرام اتخذ رزكريمه ولم يكن لهما دافع ولا عنهما مانع
فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه فلم تطب نفس أحد أن تمتد يده بمكروه اليه
ومضى على ذلك مده والخلق بسبب هذه القضيه في ضيق وشده حتى وجدوا عبدا
أسود كأنه لابليس عبد وكان الشياطين له عبيد والعفاريت له جنود وحفده
وثوب ليل القهر من سواده اسود القتم وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس
الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج يستأسد عنده في صورة خوار الثيران ويستحسن
عند خيال صورته مشاهدة الغيلان قلت شعر

زبانية النيران تسكر وجهه * وحين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه الرحمه وجبل فؤاده على المأثمه فارشوه على أن يغتالها ويقتلها وكانت عين سليمان خان رمدا وقد سكن في حجر دايته وتهددا فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته واغتاله وهو راقد في حجر دايته فضربه في جنبه بخنجر أنفذه من الجنب الآخر فارتفع الضجيج والولوله ووقع الهيج في الناس والزلزله وهم المأتم أمه الواله وأهلها وطفق الناس يبكون عليها ولها والظاهر أن هذه الامور كانت باشارة تيمور وعسكر ذلك الظلوم الكفار ما كان يخلو من مثل هذه الشرور والاشرار ولو كان فاعله من غيرهم لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم

﴿حكاية﴾ لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره كان مع واحد منهم أسيره قد كشف أيدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها وعلى يدها ابنة لها رضيع ففطمتها فلما قربوا الى حماه جعلت البنت تئن أنين الاواه والام بما من الغصص المنكى تتشكى وتبكي ومعهم رجال من بغداد منطو على الفساد محتو على النكاد مجبول على الفظاظة والقساوه معمول من الغلاظة والغباوه خال من البقا متضلع من الاذى لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيأ فينتزع ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع وأخذ تلك البنت من أمها فدارى وهو انه انما اخذها ليخفف عنها من همها وكانت راكبة على جمل ثم انقطع ساعة عن الثقل ثم وصل ويده خاليه ورقبته عاليه فاستكشفت أمها حالها فقال مالي ومالها فهوى عقلها ووهى فطرحت نفسها وشحت نحوها فأخذتها وانقلبت وأتت بها وركبت فتناولها منها مرة أخرى على أن لا يسوء ماضرا ثم غاب عنها ورجع وقد صنع كما صنع فألقت نفسها ثانيه وعدت اليها ثانيه وجاءت وهي عانيه وقطوف سقوفها دانيه فركبت وأخذتها ووضعتها على كبدها التي منها فلذتها فأخذها منها مرة ثالثه بنية في الفساد عابثه وحلف لها يمينا حانثه انه يحملها ويرفه ولا يمسها بسوء فحملها ساعة ثم خرج عن سنة الجاده ورمى بها في بعض البطاح ومثل بها ما فعل اليهودي بصاحبة الاوضاح وجاء ويده الداميه بالاثم ملآى ومن البنت فارغه وقد سلبها سلبها وجلب الى أمها حلبها فأطرحت نفسها اكبه

ورامت الرحى جاريه فقال لها الا تنتهي كفيتك همها فارجعي واركبي فبكت وصاحت وأنت وناحت ووقعت في العناء وان كانت استراحت والناس على دين ملوكهم سالكون طرائق سلوكهم

(سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ابداؤه لا يحتاج الى علة وسبب)

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم ودانت له الملوك والامم وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب غضب السلطان أحمد صاحب بغداد واضطرب فجهز جيشا عرمرما وجعل رئيسهم أميرا مقداما مقداما يدعى سنتاي فتوجه الجيش نحو الجغتاي فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره فسر بذلك قلبه وانشرح صدره فجعل ذلك سببا لمهاوشته وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته وأنفذ جيشا كرارا بل بحرا زخارا فتلاقيا بصدق نية على مدينة سلطانية فصدق كل منهما صاحبه الضرب وسد لخرمه السنة الاسنة ومهام الحرب واستمد بحر الجغتاي من أمواج أمواجه واصطدم فانكسر قسطاله فنجا سنتاي فانهزم ووصل كلهم الى بغداد وتشتتوا في البلاد فالبس السلطان أحمد سنتاي اقنعه واشهره في بغداد بعد ان ضربه وأوسعه وكف تيمور عن عناده وقفل متوجها الى بلاده

(ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر وهدو ذلك البحر المائر
لتطمئن منه الاطراف فيحطمها كما يديربها الدوائر)

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها وجعل ينتقل في جوانبها ونواحيها وبنى في حواليها قصبات سماهن بأسماء كبار المدن والامهات وقد صفت له سمرقند وولاياتها وممالك ما وراء النهر وجهاتها وتركستان وما فيها من البلاد ونائبها من جهته يدعى خدا داد وخوارزم التي بها اتلك وسطا وكاشغر وهي في بحر ممالك الخطا وبدخشان وهي ممالك على حده من ممالك سمرقند متباعده واقاليم خراسان وغالب ممالك مازندران ورستمدار وزاولستان وطبرستان والري وغزنة واستراباد وسلطانية وسائر تلك البلاد وجبال الغور المنيعه وعراق العجم وفارس الشامخة الرفيعه وكل ذلك من غير منازع ولا مجادل ولا ممانع وله في كل مملكة من هذه الممالك ولد او ولد ولد أو نائب معتمد

* (نموذج مما كان يغور ذلك الظلوم الكفور من مساكره في بحور ويغوص على أمور ثم يفور بشرور ومن جملة ذلك غوصه مما وراء النهر وخروجه من بلاد اللور) *

ثم انه مع اتساع ممالكه وانتشار هيبته وصولته وشيوع أراجيفه في الاقطار وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار وثقل أثقاله وعدم اشتغاله توجهه الى جهة وانتقاله كان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من ابن آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد قلت شعر

يعدو بيمنة ويصيب يسره * وينوي جهة والقصد غيره

بينما يكون له في المشارق بيارق وبوارق اذ لمع له في الغرب بوارق بوائق وبينما نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في حصار العراق أصبهان وشيراز واذا برنات أوتاره وبوقات أبواقه تسمع في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز فمن ذلك انه مكث في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور وقد أمنت منه البلاد واطمأنت الثغور فلما انتهت أموره وبلغ الكمال قصوره أمر بجمع جنده الى سمرقنده ثم أمرهم أن يصنعوا لهم قلانس ابتدعها وعلى صورة من التركيب والتضريب اخترعها فلبسوها ولا يدرون ومادروا الى أين يصيرون ليكون ذلك لهم شعارا وقد كان أرصد له في كل جهة من ممالكه جشارا ثم رحل عن سمرقند وأشاع انه قاصد خجند وبلاد الترك وجند ثم انه اندمس في دردور عساكره وانغمس كأنه في لجة بحر انغمس ولم يدر أحد أين عطف ولا أي قصد اختطف ولا زال في تأويب وإسآد وجوب بلاد بعد بلاد يجري مجرى الكواكب ويسير سير المراكب ويطرح كلما وقف من مجاذب الجنائب حتى نبغ من بلاد اللور ولم يكن لأحد به شعور وهي بلاد عامرة خيراتها متكاثرة وفواكهها وافرة اسم قلعتها بروجرد وحاكمها عز الدين العباسي وقلعتها وان كانت في الضيق لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي وهي مجاورة همذان ومناظرة عراق العرب كاذربيجان فأحاط بالقلعة وما حوالها وحاصر مالكها الى ان تولى عليها ولما كان صاحبها بلا عدد ولا عدد ولا أهبة ولا مدد وكان في صورة

المتوكل المحتسب وأتاه البلاء من حيث لا يحتسب لم يسعه الا طلب الامان والانقياد له والاذعان فنزل اليه وسلم قياده فقبض عليه وضبط بلاده ثم أرسله الى سمرقند وحبسه وضيق عليه نفسه ونفسه ثم بعد ذلك عدة خلفه ورفع عنه ما ناله وما جاءه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده واستنابه ولما استخلص ذلك الكفور ولايات تلك الكفور واصل السير الى همذان في أقرب زمان فوصل اليها وأهلها غافلون فجاءها البأس بياتا أو وهم قائلون فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى وكان عند الملك مصطفى ولديهم مرتضى فشفع فيهم فشفعه على أن يبذلوا مال الامان ويشتروا بأموالهم ما من عليهم به من الارواح والابدان فامتثلوا أمره وفعلوا ووزعوا ذلك جمهوره والى خزائنه نقلوا فدعته نفسه الجانية أن طرح عليهم المال مرة ثانية فخرج اليه ذلك الرجل الجليل ووقف في مقام الشفاعة مقام البائس الذليل فقبل شفاعته ووهبه جماعته ثم انه سد ذلك بمكانه وجثم حتى تلاحق به عسكره والتأم

ذكر ابتداء تخريب ذلك الحزب أذربيجان وممالك عراق العرب

ولما بلغ السلطان أحمد ابن الشيخ اويس ما فعله بعمر وما جرى له ألوره وهذان ذلك الاويس علم انه لا بد له من قصد ممالكه ودياره لانه مرتاداه بالشر وطرح على شراره طائر شراره وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له بحره وتياره وانه اذا جاءه نهر الله بطل نهر عيسى ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى قلت شعر

السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر

حتى يوافي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له أثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله وتأهب له قبل حلوله فتشمر للهزيمة وعلم أن ايابه سالما نصف الغنيمة واقتصر من بسيط فقه المقاتلة والمقابلة على الوجيز وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز وقال لنفسه النجاء النجاء وحوز ما خاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاء وأرسل الى تيمور الاشعار والهجاء في ذلك ما ترجمته وهو شعر

لئن كانت يدى فى الحرب شلا * فرجلى فى الهزيمه غير عرجا

ثم قصد البلاد الشاميه وذلك فى سنة خمس وتسعين وسبعمائه فى حياة الملك الظاهر أبى سعيد برقوق رحمه الله تعالى فوصل تيمور الى تبريز ونهب بها الذليل والعزيز ووجه الى قلعة النجاء العساكر لانها كانت معقل السلطان أحمد وبها ولده وزوجته والذخائر وتوجه هو الى بغداد ونهبها ولم يظفر بها وانكس سلبها اسلبها وكان الوالى بالنجاه رجلا شديد الباس يدعى التون عند السلطان أحمد مأمون وله اليه ركون ومعه جماعه من أهل النجده وأولى البأس والشده نحوا من ثلاثمائة رجل فى العده فكان ينزل بهم التون اذا أخذ الليل فى السكون ويشن الغارة على تلك العساكر والمكان المسكون فوهن أمر العسكر فأبلغوا تيمور هذا الخبر فأمدهم بنحو اثنى عشر ألف مقاتل مشهور مع أربعة أمراء كبيرهم يدعى قيلغ تيمور فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها وكان قد خرج الناس للغارة على من فى ضواحيها فبيناهو راجع اذا بالنقع ساطع فلما اطلع طالع الخبر قال أين المفر فقيل كلا لاوزر فعلم انه لاملجأ من الله الا اليه فثبت جاشه وحاشيته وتوكل عليه وقال ان الروس فى مثل هذا المقام انما يكونون تحت الاعلام فاحطموا نحو قلب هؤلاء الئام فاما أن تبلغوا المرام أو تعرتوا على ظهور الخيل وأنتم كرام اذ لا ينجيكم من هذا الكرب سوى الطعن الصادق والضرب قلت شعر

كر عامت والامت انتيما * فلا والله بعد الموت موت

فتعاضدوا بهمة صادقه وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه وقد أحاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه وصاروا فى وسطهم كالقطب فى الفلكه وقصدوا الراية وحاملها ومن يليها وذويها فساعدهم ساعد سعد الملك بنصرته وحل منهم البعض الداخل انعكس عقلته فأسالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء حمره وفتحت لجماعتهم طريق الى عقبة النصره فلاح لهم فلاح ونجح لهم نجاح فنجوا من الشرور وحصل لهم السرور بعد ان قتلوا من العسكر أميرين أحدهما قيلغ تيمور ولما وصل هذا الخبر اليه اسودت الدنيا فى عينيه بل انقلب المكون والمكان عليه ثم نهض اليها بنفسه ورتض عليها بحرسه وأحاط بجوانبها والقم

الحرس أفواه مضاربها

(صفة قلعة النجاه)

وهذه القلعة أمنع من العقاب وأرفع من السحاب يناجي السماك سماكها ويباهي الافلاك استقساكها كأن الشمس في شرفها ترس من الابريز على بعض شرفها وكأن الثريا في انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فأنى يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خطاف خيال وافتكار فضلا عن أن يعلق على معصم معصمها من مساكر الاساور سوار وكان التتون قد ترقى في تراقي ترابها وأهل مكة أخبر بشعابها فصار كأنه جنى الليل الساجم وأرصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم يهبط من تلك القلال ويسري سري طيف الخيال ودب دبيب النعاس في اللحم والماء في العود والنار في الفحم من درب لم تتوهمه الظنون يعود من لا تراه العيون بحيث لا يشعر به الحرس ولا يبصره العسس ولا يزال يتلو عليهم آيات الاغفاء وينفث بطلسمات الاستخفاء ويتقرب ويترقب حتى يلوح له في الحي مضرب فيقتل ويسلب وينهب ويهرب فيكر سالما ويفر غانما فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه حتى أعجز تيمور وأصحابه فلم ير تيمور أوفق من الارتحال لضيق المجال وعسر المنال فارتحل عنها بعد أن رتب عليها الحصار البرك واستمر الحصار مدة تطول الاعمار القضاعية ولقد أخبرني فلان أن تحرك قيل انهم مكثت في الحصار اثني عشر سنة وسبب أخذه لها ان التتون المذكور كان له أخ بالفسق مشهور فحصل بينه وبين أم السلطان طاهر خيانة أوجبت عليها ما يجب على العاهر فاطلع على ذلك طاهر ابن السلطان أحمد فقبض عليهما وقتلهما سالكا في ذلك الرأي الاحمد وكان اذ ذاك التتون من القلعة غائبا قد خرج منها وقصد للغارة جانبا فلما رجع التتون أغلقوا باب القلعة عليه ورموا بأخيه من فوق السور اليه وأخبروه خبره وعجره وبجره فقال جزاكم الله أحسن الجزاء وجعل حظكم من الخيرات أوفر الاجزاء لو كنت هنا لفعلته أو حاضرا لقتلته لما ملته عما هواه له وفعلت به ما يجب فعله ويحل به من الزمان دواهيه ولا رثيتكم العبر فيه ولا شهرته في خلق الله تعالى وبريته ونادت عليه هذا جزاء من يخون ولي نعمته ثم

طالب

طلب الدخول فقطعوه من الوصول فقال اما أنا فانه حين ذاق ثمرة ما جناه
وأما أنا فقائي على الوفاء بعهدكم من الازل والى حين الوفاه ولم أزل موالي وليكم
ومعادي عدوكم فان طردتموني فالى أين أذهب وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن
أرغب فقالوا رب ما أدركتك الحميه ولحقتك العصبيه فتذكرت أهلك وتمكنت
شد تلك بعد رضاك فنقمت وانتقمت واعوججت بعد ما استقمت وتكدر منك
ما صفا وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا وقلت شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ۞ ولكنه يبقى به عقدة الربط

فأنشأ لهم أيمانا واثقه ان كلماته وعهوده صادقه فقالوا له لا تطل فما بيت مالك
عندنا مقيل ولا مبيت فارجع من حيث جيت وهذا آخر العهد منك غضبت أم
رضيت فأخذ يدم دهره ويعض يديه ندامة وحسره على انه أنفذ عمره في طاعة
من لم يعرف قدره ثم دلى فتدلى وعبس وتولى وسيب فرسه وماله وفرق خيله
ورجاله ولما لم يكن له ملجا سوى قلعة النجا وقد خرجت من يده وألقت النار
في كبده ضرب أخماسا لأسداس فيمن يقصده من الناس ثم أورى برأيه الزند
أن يقصد مدينة سمرقند وكانت تحت حكم تيمور وفيها أوامره تمور فسألها وقصد
حاكمها لا بسالبها وتاركا مالا وولدا ولما اتصل بحاكمها الخبر أحاط به الجبن
والخور فاضطرب واقشعر واضطرم واعتكر واتخذ الحذر ورام المفر فقيل انه
وحده من غير رجال وعدد فرجع عقله اليه ودخل القرن عليه فأخذ في
التفتيش عن أموره ثم قطع رأسه وأرسله الى تيموره فتحرق لذلك واشتكى
وتأسف عليه وبكى وأرسل الى قاتله فعزله ثم صادره وقتله ثم ان السلطان
طاهرا لما أحدث هذا الحدث وتنجس بهذه الخبائث والخبث لم يمكنه الاقامة
فأذن بالرحيل وأم بجماعته قبلها التحويل اذا انتشر عنه مخدرات القلعة فعجز عن
احصان تحصينها وعثى في اقتضاض أبكارها وعونها وقل جيشه وانفل فسل
مفاتيحها وانسل فذل لتيمور صعابها وفتح له من غير معالجة بابها فولى فيها من يثق
به من الاعوان ووصى به لعل المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان ثم ثنى عنان
الفساد الى صوب بغداد فهرب السلطان أحمد كما ذكر الى الشام في فئه وذلك في
خمس وشوال سنة تسعين وسبعمائه فوصل اليها عادي عشريه يوم السبت فكبتها

ومن حواليها أي كبت ثم صدره وقبيله من ولاية بغداد قاصدين ديار بكر
وأرزنجان

﴿ذكر أخبار صاحب بغداد وأسماء آبائه والاجداد﴾
(وكيفية دخوله الى هذه البلاد)

وهو السلطان غياث الدين أحمد ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن
ايلكان صاحب بغداد وآذربيجان وما أضيف الى ذلك من ولايات ومسالك
وايلكان جده الأعلى ابن الخان الكبير المجيد شرف الدين سبط الملك ارغون ابن
أبي سعيد كان والده الشيخ أويس من أهل الديانة والكيس عادلا كاملا واماما
شجاعا فاضلا مؤيدا منصورا صارما مشكورا قليل الشر كثير البر صورته
كسيرته حسنه وكانت دولته تسع عشرة سنه وكان محبا للفقراء معتقدا للعلماء
والكبراء وكان قد أبصر في منامه لوقت موافاة حمامه فاستعد لحلول فوته ورصد
نزول موته وخلع من الملك يده وولاه حسينا ولده وهو أكبر بنيه والافضل من أهله
وذويه ونبذ دانيه ودنياه وأقبل على طاعة مولاه واستعطفه الى الرضى والعفو
عما مضى ولازم صلاته وصيامه وزكاته وقيامه ولا زال يصلي ويصوم حتى أدركه
ذلك الوقت المعلوم فاظهر سره المصون وتلا اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون فدرج على هذه الطريقة الحسنه وقد جاوز نيفا وثلاثين سنه ومن
مغرب تبريز افل قمره وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره واستقر
ولده جلال الدين حسين مكانه وأفاض على رعيته فضله واحسانه وكان كريم
الشمائل جسيم الفضائل وافر الشهامه ظاهر الكرامه أراد أن يمشي على
سنن والده ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده فخذلته الاقدار وخالطت
صفو مساعيه الاكدار وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وصل من قصاده الى
الشام ثقة وهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان
العبادي الشافعي قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف الدين ابن الحاج عز الدين
الحسين الواسطي وزير السلطان وغيرهما ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة
وثب السلطان أحمد على أخيه المشار اليه فقتله وقام لينصر الملك والدين مكانه

فخذله فلاحق حياته من المناسبه وعمره اذ ذاك نيف وعشرون سنه ولما
استولى السلطان على ممالك العراق مدة تمهيده وضم جناح الشفقة والارفاق
وشرع يظلم نفسه ورعيته ويذهب في الجور والفساد يومه وليلته ثم بالغ في
الفسق والفجور فتجاهر بالمعاصي وتظاهر بالشرور واتخذ سفك الدماء الى
سلب الاقراض وثلم الاعراض سلما فقيل ان أهل بغداد هجروه واستغاثوا بتيمور
فأغاثوا اعباءه كاهل بشوى الوجوه فلم يشعر الا والتتار قد دهمته وعساكر الجغتاي
خيلا ورجالا حطمته وذلك يوم السبت المذكور من الشهر المشهور فاقتحموا
بخيلهم ورجله وقصدوا الأسوار ولم يمنعهم ذلك الجهر البتار ورماهم أهل البلد
بالسهام وعلم أحمد انه لا ينجيه الا الانهزام فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام فتبعه
من الجغتاي طائفة للشام فجعل يكر عليهم ويردهم ويفرهم فيطمعهم وحصل
بينهم قتال شديد وقتل من الطائفتين عدد عديد حتى وصل الى الحلة فعبر من
جسرها اثم رد رجله ثم قطع الجسر ونجا من ورطة الامر واسرعت التتار في عقبه
تكاد انوفها تدخل في ذنبه فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا فتراموا في الماء
وعبروا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعيه ومتبوعا فما تم ووصل الى مشهد الامام
وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام

﴿ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر في بلاد أرزنجان وديار بكر﴾

ووصل الى ديار بكر واستخلصها من أيدي ولاتها اخلاصها فعصت عليه قلعة
تكريت فتسلط عليها من عساكره كل عفريت وذلك يوم الثلاثاء رابع عشر ذي
الحجة وقد ارتجت منه البلاد أشد رجة فحاصرها وأخذها في صفر بالامان ونزل اليه
متوليها حسن بن بولتمور متدرع الاكفان وفي حضنه وعلى عاتقه أطفاله وقد ودعه
اهله وماله واسلمه خيله ورجاله وذلك بعد ان عاهده أن لا يريق دمه فارسله الى
حائط فقضى عليه وردمه وقتل من بها من رجال وسبى النساء وأسر الاطفال
وجعل يعيث ويستأصل ويقطع في البلاد ويوصل حتى اناخ يوم الجمعة حادي
عشر صفر سنة ست وتسعين الى الموصل فأخربها وكسرها ثم أتى رأس عين ونهبها
وأسرها ثم الى الرها فحول ودخلها يوم الاحد عشر شهر ربيع الاول فزادهم بشا

وعادى وجارى فيما عاند وعاد وخرج من تلك البلاد ثانى عشرية يوم الاحد
ثم اختار من نسور قومه طائفة على ورد الدماء حائمة وعلى قتل المسلمين عاكفة
فأخذهم واندفع وفى ممالك ديار بكر انقمع ولم يزالوا بها ما بين ولاة وقاصدين
وعليها طالبين وفيها ماردين فقصدها بتلك العفاريت المصاليت وواصل السير
اليها فوصل فى خمسة أيام من تكريت ومسافة ما بينهما للمجد اثنى عشر يوما ان لم
تزد وكان سلطانها الملك الظاهر تحقق انه لا مفر من التجائه اليه وقدم فى ثوب
الطاعة عليه فما وسعه الا التشبث بذيل ذمه والانتظام فى سلك خدمه

﴿ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الظاهر
من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر﴾

لكنه خاف غائلته فجمع حاشيته وغاشيته وقال انى ذاهب الى هذا الرجل
ومظهر له الانقياد فان ردنى حسبما أريد فهو المراد وان طالبنى بالقلعة فكونوا
أنتم على التأبى والمنعة واياكم ان تسلموها اليه أو تعتمدوا فى الكلام عليه وان
دار الامر بين تسليم القلعة وبين اتلافى فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا اتلافى فى تلافى
فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم وأتى بالهلاك على أولكم
وآخركم وخسرتم شعاركم ودثاركم وغبنتم أنفسكم ودياركم واذا كان كذلك فانا
أجعل نفسى فداكم وأكفيكم برحى عادها كم وبعض الشر أهون من بعض
وها انا أجس لكم النبض ثم قصد ذلك الكالح المفسد الطالح بعدما استخلف
ابن أخيه الملك الصالح شهاب الدين أحمد ابن الملك السعيد اسكندر ابن الملك الصالح
الشهيد ونزل يوم الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين
وسبعمائة واجتمع به فى سفح مكان يسمى الهلالية وقابله بشنعه وقبض عليه
بسرعه وطلب منه تسليم القلعه فقال القلعة عند أربابها وبيد أصحابها وأنا
أملك الا نفسى فقدمتها اليك وقدمت بها عليك فلا تحملنى فوق طاقتى ولا
تكلفنى غير استطاعتى فأتى به القلعة وطلبها منهم فأبوا فقدمه اليهم ليضرب عنقه
أو يسلموه فتأبوا فطلب منه فى مقابلة الامان من الدراهم الفضية مائة تومان كل

تومان ستون ألفا غارجا علاية تقرب به اليه زلفا ثم انه شد وثاقه وسد عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقة وشمر للفساد ذيله وجعل يجر رجله ويمعن خيله ويتعوق كاسات فساده ويعربد على عباد الله وبلاده واستمر على ذلك لا يعي ولا يفيق ويتردد ما بين الفردوس الحرمل ونصيبين والموصل العتيق ثم أمر عساكره في جمادى الآخرة أن يغزوا قاصدين ويقصدوا ماردين فسابقوا الطير ولاحقوا السير وجاوزوا بالنهار الانهار وبالليل السيل فقطعوا قفار القفار قطع الهندي وعلوا في تلك الجبال والقلال بما قاله الكندي وهو

سموت اليها بعدما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفلة واحتووا عليها من غير مهلة وذلك يوم الثلاثاء ثاني عشره وقد سل الصبح حسام فجره وطار غراب الدجى من وكره فصار واسوارهم تلك الاسوار وأحلوا الدمار هاتيك الديار فعموها رجفا وساموها خسفا وعقوها رجفا ودكوها وحفا وتعلقوا بأهداب أرجائها وتسلقوا بالسلالم من أرضها الى سمائها وكان متسلقهم على الاسوار من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار فأخذوا المدينة عنوة وقهرا وملؤوها فسقا وكفرا وترفع أهل المدينة الى القلعة ولم يكن لاحد سواهم علو المنزلة والرفعة واقعدوا الملتجين الى قواعدها وخوافيها وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها فقتلوا من ظفروا به ذكرا وأنثى صغيرا أو كبيرا ولم يرتضوا عما فيها أثاثا ومن فيها أسيرا فقاتل بعض الناس وأظهر لهم بعض الجلادة وأراد بتثبيتهم أن يغتنم الجهاد الى الشهادة ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى واستمر ذلك من قبيل طلوع الشمس الى أن صار اليوم أمس وحين التقى على وجنتي السكون عارض الليل واستوفى أولئك الطغمون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل وبادرتون الظلام يونس الشمس بالالتقام طار أهل تلك الحركات السكون فتراجعوا ونزل العسكر مقابل عربون وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد وأكثرهم كان من أهل البلد فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه ويتنظرون الصباح ويستبطئونه الى أن شق الليل مكتوم جيبه وأظهر الظلام مكنون غيبه وأمر السكون وجه النهار أن يغرب على جثي الآفاق أطراف شيبه بكروا بكور

الغراب وبدروا الى الخراب والتراب وعمروا أهل المدينة وحاصروها أشد
حصر وهدموها وأسوارها من الظهر فمحوا آثارها بعد العصر ثم باؤا بالآثام
وقد انتشر كظلمهم الظلام

﴿ايضاح ما أخفاه من الحيلة وصلود زند تلك الافكار الوبيلة﴾

ولما آب أمله بالخيبه ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه شحذ فكرا وحدد مكرا
وتاب عن المقابحه وثاب الى المصالحه فودع ذلك الخسيس في نهار ذلك الخميس
وأرسل اليهم يقول في كتابهم الرسول نعلم أهل قلعة ماردين والضعفاء
والعجزة المساكين أننا قد عفونا عنهم وأعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم
فيأمنوا وأيضا فوالنا الادعية وهذه الرسالة نقلتها كما رسمتها فما استتب كيده
ولا أنجح قصده لان رصدها كانوا غير راقدين وشياطين حرسها كانوا كوين
ماردين فارتحل ذلك البليه بكرة السبت الى البشريه وأرسل الى آمد الجنود
مع أمير يدعى سلطان محمود فتوجه بجيش طام وحاصرها خمسة ايام وأرسل
يستمده عليها فتوجه بنفسه اليها وأسلها الغوات فطلبوا الامان فأمن البواب ففتح
له الباب فدخل من باب التل ووضع السيف في الكل فأباد الجميع العاصي
منهم والمطيع وأسروا الصغار وهتكوا أستار الحرم وحرم الاستتار وأذاقوا
الناس لباس الباس والتجى بعض الناس الى الجامع فقتلوا منهم نحو ألف
ساجد وراكع ثم حرقوا الجامع ورحلوا وتركوها بلاقع وهداه ابليس الى أخذ قلعة
أرتبس ثم بادر بالتحريك وحط على قلعة أونيك وفيها مصر بن قرا محمد أمير
التركمان فحاصروها وأخذوها بالامان وذلك في سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد
عيد رمضان ثم قتل كل من كان بها من الجند وسير مصر الى سمرقند

﴿فصل﴾ ثم استصحب الملك الطاهر بسوفيه ورحل سابع ذي القعدة سنة
ست وسبعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانيه وحبس عنده من أمرائه الامير
ركن الدين وعز الدين السليماني واستنبوغا وصيا الدين وضيق عليه بأن
يقطع عن أهله خبره بحيث لا يدري أحد بجره وبجره ولما أحكم وثاق الوثاق قصد
التوجه الى دشت قبجاق فأجرى نحوها ما أقام من الفتنة على قدم وساق ومكث

الملك الظاهر سنة لا يدري أحد خبره في يقظة ولا سنة ثم وفدت الملكة الكبرى
الى سلطانيه وخففت عنه ما به من ضيق وبليه وفسحت له في مراسلة جماعته
وحرضته على طلب الدخول في رضى تيمور وطاعته زاعمة أنها ناصحة له وطالبة مصلحته
وكان ذلك من مكائد تيمور وباشارته ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان سنة
ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همذان ومكث بها
الى ثالث عشر شهر رمضان ثم استدعى من سلطانية الملك الظاهر باكرام تام
وانشراح صدر وخاطر ففكوا قيوده وقيود متعلقيه وعظمه وغاية التعظيم
مع ذويه وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره ودخل عليه يوم السبت سابع عشره
فتلقاه بالاحترام واعتنقه واذهب عنه دهشه وقلقه وقبله في وجهه مرارا
واعتذر اليه عما فعله معه جهارا وقال له انك لله ولي ورفيع القدر كابي بكر وعلي
وتحال منه عما صدر في حقه منه واضافه ستة ايام وخلع عليه خلع الملوك
العظام وأعطاه تحلا جميلا وأعطاه عطاء جزيلا من ذلك مائة فرس وعشرة بغال
وستون ألف دينار كبكية وستة جمال وخلعا مزركشة مكللة وانعامات وافرة مكملة
ولواء يخفق على رأسه منصورا وستة وخمسين منشورا كل منشور بتولية بلد
وأن لا ينازعه فيه أحد أول ذلك الرها الى آخر ديار بكر الى حدود أذربيجان
وأرمينية وكل ذلك من الدهاء والمكر وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت
طاعته معدودين في جملة خدمه وجماعته يحملون اليه الخراج والخدم ولا ينقلون
الا عن امره قدما عن قدم بحيث يكون شخص كل من يجاوريه عما أتاه الله عليهم
اتكالا فيأ ويبقى هو ولا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيأ وهذا وان كان في الظاهر
كالاكرام فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام وفيه كما ترى ما فيه والقاء العداوة
بينه وبين مجاوريه وبتجرد ذلك الى أن يلتجي اليه ويعول في كل اموره عليه
ويشتغل بكثرة الاعداء عن مصادمته فيصل اذ ذاك منه الى بغيته ثم انه شرط عليه
أنه كلما طلبه جاء اليه ثم عانقه وودعه وأمر أمراءه بتشييعه فخرج من الضيق
الى السعة لثالث عشري شهر رمضان ليلة الجمعة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة
فوصل الى سلطانيه في عيشة رضية وحالة هنية ثم عزم على تبريز في جحفل نفيس
عزيز واجتمع بأميرانشاه فزاد في اكرامه وعطاياه وشيعه في أحسن هيئة

وأما تيمور فجاء على وسطان وبدليس وارزن الى الصور ووصل خبره الى قبائله والعشائر فابتهج الناس ودقت البشائر يوم الجمعة حادي عشري شوال وخرج اهل المدينة والاكابر للاستقبال وسبق الناس ولي عهده الملك الصالح فدخل المدينة بفال سعيد وأمر ناجح وتوجه الى مدرسة حسام الدين وزار والده وأموات الماضين وعزم على ترك التخت المنيف والتوجه الى الحجاز الشريف فلم يتركه الناس خاصة وعامه وتراموا عليه وقبلوا أقدامه فصعد الى محل كرامته واستقر في كرسي مملكته وسيأتي لهذا الشأن مزيد بيان وما جرى من الأمور عند قدوم تيمور وحلول عسكره الشام ماردين بعد خرابه ممالك الشام قيل لما استقر الملك الطاهر في مملكته اجتمع عنده جماعة من أدباء قدماء حضرته فاقترح عليهم أن يقولوا في ذلك شيأ فقال أولا بدر الدين حسن بن طيفور شعر

طغى تمر واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له الخلائق الكبائر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر أحد الموقعين ثانيا شعر

كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واعتصموا
فسلموا الامر لما أن رأوا خطرا * لذي الجلال فلما سلموا سلموا

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا شعر

طويل حياة المرء كاليوم في غد * فخيرته أن لا يزيد على الحد
ولا بد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش ينقص للعبد

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني أحد الموقعين رابعا دوبيت شعر

لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون
ما بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون

فأعجبه ذلك وأجازه خمسة آلاف درهم وصرفه والله أعلم

﴿ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قفجاق ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها﴾

ثم انه رجع من عراق العرب والعجم وقد ثبتت له في ممالكها الاقدام وذلك بعد

ان

أن قدم عليه الشيخ ابراهيم وسلمه مقاليد ما بيده من الاقاليم فتقلد طوق عبوديته ووقف فى مواقف خدمته وانتظم فى سلك عبيده وأحله محل ولده وسنذكر كيف تعرف عليه ومن أى طريق تقرب اليه فقصد دشت قفجاق وجلق الوهد والاعناق وهو ملك فسيح يحتوى على ممالك فيح وسلطانها توقتاميش وهو الذى كان فى حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش اذ هو أول من بالعداوة بارزه وفى بلاد تركستان واقعه وناجزه وأنجده فى ذلك كما مر السيد بركه وبلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق ودشت بركه والدشت باللغة الفارسية اسم البريه وبركة المضاف اليه هو أول سلطان أسلم ونشر بها رايات الملة الاسلاميه وانما كانوا عباد أوثان وأهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان فتوجه الى ذلك الاقليم من طريق الدربند الجارى تحت حكم الشيخ ابراهيم وهو سلطان ممالك شروان ونسبه متصل بالملك كسرى أنوشروان وله قاض يدعى أبا يزيد يفضل على جميع أركان دولته بالقرب اليه ويزيد هو دستور مملكته وقطب فلك سلطنته فاستشاره فى أمر تيمور وما يعمله أيطيعه أم يتحصن منه أم يفر أم يقاتله فقال له القرار فى رأيى أصوب والتحصن فى الجبال الشواهق أوثق عندى وأنسب فقال ليس هذا رأى مصيب أنجو أنا وأترك رعيتى ليوم عصيب وماذا أجيب يوم القيامة رب البريه اذا رعيت أمورهم واضعت الرعية ولا عزمت أن أقاتله وبالحرب والضرب أقابله ولكنى أتوجه اليه سريعا وأتمثل بين يديه سامعا للامر مطيعا فان ردنى الى مكانتى وقررنى فى ولايتى فهو قصدى وغايتى وان آذانى أو عزلنى أو حبسنى أو قتلنى فتكفى الرعية مؤنة القتل والنهب والاسار فيولى اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار ثم أمر بالاقامات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وتفنت وبعث الى الولايات أن تتزين وتتزوق وبسكانها برا وبحرا أن تأمن فتتعامل وتتأنق وبالخطباء أن تقرأ فوق المنابر باسمه وبالدنانير والدراهم أن تضرب بوسمه ورسمه ثم حمل التقادم والخدم وتوجه اليه بأطيب جاش وأثبت قدم ولما وفد عليه وتمثل بين يديه قدم الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف وعادة الجغتاى فى تقديمهم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة والرفعه فقدم

الشيخ ابراهيم من كل جنس من أصناف ما قدمه تسعه ومن المماليك ثمانيه فقال
له المتسلمون لذلك وأين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي الجانيه فأعجب تيمور هذا
الكلام ووقع من قلبه بمكان ومقام وقال له بل أنت ولدي وخليفتي في هذه البلاد
ومعتمدي وخلع عليه خلعة سنيه ورده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه ثم
فرقت تلك الاقامات وتوزعت الفواكه والطعامات ففضل منها أمثال الجبال عن
ذلك العسكر الذي هو كالحصا والرمال ثم تركه وسار الى بلاد الشمال والتتار
وسبب آخر لقصده تلك الممالك وان كان لا يحتاج الى ذلك ان الامير ايدكو كان
عند توقتاميش أحد رؤس أمراء الميسره والاعيان المتخذين في النائبات لدفعها
وأرباب الرأي والمشوره وقبيلته تدعى قونكرات وقبائل الترك كقبائل العرب
واللغات كاللغات وكان ايدكو اقد أحس من مخدومه تغير خاطر فخاف منه على نفسه
وكان توقتاميش شديد البأس تخشى منه حلول بأسه فلم يزل منه متحرزا وللفرار
اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا وجعل يراقبه ويراقيه ويداريه ويداريه
ففي بعض ليالي السرور ونجوم الكاسات في أفلاك الطرب تدور وسلطان الخمره
قد انفذ في أسير العقل أمره طفح أن قال توقتاميش لايدكو ونور البصيرة يخبو
ويذكو ان لي ولك يوما يسود لك الخسف سوما ويوليك من موائد الحياة صوما
ويعلمك بقاءك من سنة الفناء نوما فغالطه ايدكو وباسطه وقال أعيذ مولانا
الخاقان ان يعتقد على عبد ما خان وان يذوي غراسا هو أنشاه أو يهوي أساسا هو
بناه ثم أظهر التذلل والخشوع والتمسكن والخضوع وتحقق ما كان ظنه وأعمل
في وجه الخلاص ذهنه واستعمل في ذلك الذكاء والفطنه وعلم أنه ان أهمل أمره أو
أمهله أنه فمكث قليلا واشتغل السلطان ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان
وخرج في حاجه كأنه يريد قضاء حاجه وأتى اصطبل توقتاميش بجاش يجيش ولا
يطيش وعمد الى فرس مسرجه مخبية مخبيه أقيمت معده لمثل شده وقال لبعض
حاشيته الموثق على سره من حاشيته من أراد أن يوافيني فعند تيمور يلاقيني ولا
تفش هذه الاسرار الا بعد أن تحقق أني قطعت القفار ثم تركه وسار فلم يشعر به
الا وقد سبق وركب طبقا عن طبق ووطئ على أذوال السير أطول الشقق فلم
يدركوا منه آثار ولا لحقوا منه ولا الغبار فوصل الى تيمور وقبل يديه وعرض

بحكاياته

حكاياته وأخباره كما جرت عليه وقال أنت تطلب البلاد الشاسعه والاماكن الوعرة
الساقطه وتركب في ذلك الاخطار وتقطع قفار القفار وتتلو اسفار الاسفار وهذا
الغنم البارد نصب عينيك تدركه متى شئت بيديك وليديك ففيم التوانى والتقاعس
وعلام التقاعد والتقاعس فانهض بعزم صميم فانك به زعيم فلا قلعة تمنعك
ولا منعة تقلعك ولا قاطع يدفعك ولا دافع يقطعك ولا مقابل يقابلك ولا مقاتل
يقاتلك فما هو الا أوشاب وأوباش وأموال تساق وخرش بارجائها مواش ولا زال
يحرضه على ذلك ويطالب ويفتل منه في الذروة والغارب كما فعل مع عثمان قرا
أيلوك حين جاء الى تبريز ووسواسه وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان
برهان الدين احمد ومحاصرة سيواسه كما يذكر فتحرك تيمور باوفى حركه الى
استخلاص دشت بركه وكانت بلادا بالتتار خاصه وبأنواع المواشي وقبائل الترك
غاصه محفوظة الاطراف معمورة الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة الماء والهواء
مشهورا رجاله ونزهة آماله افصح الاتراك لهجه وأزكاهم مهجه وأجملهم
جبهه وأكملهم بهجه نساؤهم شموس ورجالهم بدور وملوكهم رؤس واغنياؤهم
صدور لا زور فيهم ولا تدليس ولا مكر بينهم ولا تلبيس دأبهم الترحال على العجل
مع أمان لا يدانيه وجل مدنها قليله ومراحلها طويله وحد بلاد الدشت من
القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم وهذان
البحران كادا يلتقيان لولا أن جبل الجركس بينهما برزخ لا يبغيان ومن الشرق
تخوم ممالك خوارزم واترار وصغناق الى غير ذلك من البلاد والآفاق آخذة الى
تركستان وبلاد الجتا متوغلا الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا ومن
الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال كالجبال وكم في ذلك من تيه تحير الطير
والوحش فيه وهو كرض آكل الزمان غايه لا تدرك ونهايه لا تسلك ومن الغرب
تخوم بلاد الروس والبلغار وممالك النصارى والافرار ويتصل بتلك التخوم
ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم وكانت القوافل تخرج من خوارزم
وتسير بالعجل وهم آمنون من غير ريب ولا وجل والى قريم طولا ومسيرة ذلك نحو
من ثلاثة أشهر وأما عرضا فهو بحر من الرمل أمده سبعة أشهر لا يهتدي فيه
الخريت ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت فكانت القافلة لا تحمل زادا ولا

عليها ولا يصحبون معهم رفيقا وذلك لكثرة الأمم ووفور الأمن وأما الأكل والشرب
من الخيم فلا يصدرون إلا من قبيله ولا ينزلون إلا عند من يكرم نزيله وإنه قيل
فيهم شعر

مكتنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

وأما اليوم فليس بتلك الأماكن من خوارزم إلى القريم من تلك الأمم والخيم
متحرك ولا ساكن وليس فيها من أنيس إلا اليعافير وإلا العيس وتخت الدشت
سراى وهي مدينة إسلامية البنيان بديعة الأركان ويأتي وصفها وكان
السلطان بركة رحمه الله لما أسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها وحمل أمم
الدشت على الدخول في حمى الإسلام ورعاها فلذلك كانت محل كل خير وبركه
وأضيفت بعد إضافتها إلى قفجاق والبركه أنشدني لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا
عصام الدين ابن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل
برهان الدين المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد عوده من
الحجاز الشريف سنة أربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا أعني سنة أربعين
وثمانمائة انتهت إليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى في درب الدشت أنواع
النكال شعر

قد كنت أسمع أن الدهر يوصلني * حمرا تعزى إلى سلطانها بركه
بركت ناقة ترحالي بجانبها * فما رأيت بها في واحد بركه

وأنشدني أيضا لنفسه معرضا بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين
محمد الكردي البزازي تغمده الله تعالى برحمته في الزمان والمكان المذكورين شعر

متى تحفظ الناس في بلدة * مصالحها في يدي حافظ
محافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ

ولما تشرف بركة خان بخلعة الإسلام ورفع في أطراف الدشت للدين الحنيف
الأعلام استدعى العلماء من الأطراف والمشايخ من الآفاق والأكناف ليوقفوا
الناس على معالم دينهم ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم وبذل في ذلك
الرغبات وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات وأقام حرمة العلم والعلماء وعظم
شعائر الله تعالى وشعائر الأنبياء وكان عنده في ذلك الزمان وعند أوزبيك بعده

وجاني ببلغشان مولانا قطب الدين العلامة الرازي والشيخ سعد الدين التفتازاني
والسيد جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية ثم من
بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي ومولانا أحمد الجندي رحمهم الله فصارت
سراي بواسطة هؤلاء السادات مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من
العلماء والفضلاء والادباء والظرفاء والنبلاء ومن كل صاحب فضيلة وخصلة
نبيلة جميلة في مدة قليلة مالم يجتمع في سواها ولا في جامع مصر ولا قراها وبين
بنيان سراي وخرابها من الامكنة ثلاث وستون سنة وكانت من أعظم المدن
وضعا وأكثرها للخلق جمعا حتى أن رجلا من أعيانها هرب له رقيق وسكن في مكان
منحي من الطريق وفتح له حانوتا يتسبب فيه ويحصل له قوتا واستمر ذلك المهين
نحوا من عشر سنين لم يصادفه فيه مولاه ولا اجتمع به ولا رآه وذلك لعظمها وكثرة
اهلها وهي على شط نهر متشعب من نهر آتل الذي أجمع السياحون والمؤرخون وقطاع
المناهل أنه لم يكن في الانهار الجارية والمياه العذبة النامية أكبر منه وهو يأتي من
بلاد الروس وليس له فائدة سوى اغتيال النفوس ويصب في بحر القلزم وكذلك
سيحون وسائر أنهار العجم مع ان بحر القلزم محصور وعليه بعض ممالك العجم تدور
مثل كيلان ومازندران واستراباد وشروان واسم نهر سراي سنكلاو ولا يقع أيضا
الا بالمراكب ولا يثبت عليه قدم الراجل ولا الراكب وكم فرق تتفرق من ذلك البحر
العريض الطويل وكل فرق أعظم من الفرات والنيل

﴿ذكر وصول ذلك الطوفان وتجمعة أمم الدشت بعد كسره توقتاميش خان﴾

فوصل تيمور الى تلك الداره بالعساكر الجراره بل بالبحار الزخاره ذوي السهام
الطياره والسيوف البتاره والرماح الخطاره والاسود الهصاره والنمور
الكراره من كل شان الغاره مدرك في العدو ثاره حام سقيفته وجاره وعرينه
ووجاره وفريسته وشجاره والج من بحر الحرب غماره مقاوم أمواجه وتياره فارسل
توقتاميش الى زعماء حشمه وعظماء أممه وسكان أحقافه وقطان أطرافه ورؤس
أمرائه وضروس ميمنته وميسرته فاستدعاهم والى المقابلة والمقاتلة دعاهم
فأتوا في ثوب طاعته يرفلون وهم من كل حدب ينسلون واجتمعوا وشعوبا وقبائل

ما بين فارس وراجل وضارب ونابل ومقبل وقابل ومقاتل وقاتل بمرهف
وذابل وهم قوم نبال النبال ونضال النضال لا يطيشون سهما وهم من بني ثعل
أرمى اذا عقدوا الاوتار أصابوا الاوتار وان قصدوا الاوطار وجدوا المقصد
جنبهم أوطار ثم نهض للصادمه واستعد للقاحمة والمقاومه بعساكر كالرمال كثره
وكالجبال كره

﴿ذكر ما وقع من الخلاف من عسكر توقتاميش وقت المصاف﴾

وحين توقف الصفان وتناقف الزحفان بر زمن عسكر توقتاميش أحد رؤس
الميمنه لعدم على أحد الامراء فطلب منه وفي قتاله استأذنه فقال له اينهم بالك
واجب سؤالك قلت شعر

لكن ترى ما قد طرى * على الورى وما جرى

فأمهلنا حتى اذا انفصلنا وعلى المراد حصلنا أعطيتك غرضك وناولتك تحصيلك
فأدرك منه ثارك واقض أوطارك قال لا ولكن الساعه والا فلا سمع لك ولا
طاعه فقال نحن في كرب مهم وهو من أمرك أهم وخطب معظم وهو من مصابك
أعم فاصبر ولا تعجل واطمئن ولا توجل فما يذهب لك حق ولا يضيع مستحق
فلا تلجئ الاعمى الى الجرف ولا تكن ممن يعبد الله على حرف فكأنك بليل الشده
وقد أدبر وبصباح الفلاح وقد أسفر فالزم مكانك ونازل أقرانك وتقدم ولا تتأخر
واصدع بما تؤمر فانجر ذلك الامير بجمع كثير واتبعه كل باغ وغاو وقبيلته كلها
واسمها اقتاو فانطلق يروم ممالك الروم فوصل هو وحشمه الى ضواحي أدرنه
واستوطن تلك الامكنه فانخذل لذلك عسكر توقتاميش وصارت سهام مرامه عن
مراميه تطيش ولم يجد بدا من اللقاء وصدق الملتقى فثبت جأشه وجيشه وعزم وقاره
وطيشه وقدم من اجلائه الابطال ورتب الخياله والرجال وقوى القلب والجناح
وسد الخلل والصفاح

﴿فصل﴾ وأما تيمور فانه مستغن عن هذه الامور لان أمره معلوم ووصفه
مفهوم وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم ثم تدانى الجيشان واصطدما
واصطليا بنار الحرب واصطلما والتقت الاقران بالاقران وامتدت الاعناق

للضراب وضرمت النحور للطعان واكفهرت الوجوه واغبرت وكشرت ذئابه
للضراب وأهرت وتهارشت نمور الشرور واسبطرت وتناوشت أسود الجنود وازبأرت
واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت وهوت جياد الجباه ورؤس الرؤس
في محراب الحرب للسجود فخرت وثار الغبار وقام القتام وفاض بحار الدماء
كل فاحص وطام وصارت نجوم السهام في ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوما
رواشق ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق
ولا زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول وضراغم السرايا تصوب وتصول وتقيم
السنابك الى الجو رواقيا وتجري السوافك على الدقعاء سواريا حتى غدت الارض سما
والسموات كالبحار غمانيا واستمر هذا اللدد والخصام نحوا من ثلاثة أيام ثم انجلى
الغبار عن انهزام جيش توقتاميش وولى الادبار وفرت عساكره وانذعرت
وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت واستعرت واستولى على قبائلها وأتى على
ضبط اواخرها وأوائلها واحتوى على الناطق فحازه وعلى الصامت فحازه وجمع
الغنائم وفرق المغانم وأباح النهب والاسر وأذاع القهر والقسر وأطفأ فتائلهم
واكمأ مقاولهم وغير الاوضاع وحمل ما استطاع من الاموال والاسرى والمتاع
ووصلت طرائقه الى أزاق وهدم سراى وسراجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق
وعظمت منزلة ايدكو عنده ثم قفل قاصدا سمرقنده وصحب ايدكو معه ورام
أمنه أن يتبعه

(ذكر ايدكو وما صنعه وكيف غلب تيمور وخدعه)

فأرسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه وقبائل الميسرة كلهم من أصحابه وأخدانه من
غير ان يكون لتيمور بذلك شعور أن يرحلوا عن مكانهم وينفروا عن أوطانهم وأن
يخفوا جهتهم فيها وأماكن بينها صعبة المسالك كثيرة المهالك وان أمكنهم أن
لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم
وأبادهم كلهم فامتثلوا مارسم به ايدكو وارتحلوا ولم يلووا ولما علم ايدكو أن
جماعته فوزوا وعن مدى تيمور أعجزوا قال له يا مولانا الامير ان لي من الاقارب
والحشم الجم الغفير وانهم عضدي وجناحي وبصلاح معاشهم صلاحي ولا آمن

عليهم أن يلقوا بعدى من توقتاميش الجور والتعدى بل لا أشك انه يفنيهم
ويبيدهم عن آخرهم وحيث حتم عليه جاءه منا بل جانبي ينتقم لسوء طويته
من حشمي وأقاربي لان سداه هذه اللاحم انا ألحمته وفي مضائق البلاء ومآزق
الانكسار أنا أنقذته وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه وكيف يهنأ لي
العيش واصدقائي مجاوروه فان اقتضت الآراء المنيره ارسال قاصد الى تلك
الاماكن والقبائل الكثيره صحبة مرسوم شريف وأمر عالى منيف باستمالة
خواطرهم وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم والامر بترحالهم وترفيه حالهم
فنسكون بجميعنا تحت الظل الشريف في روض عيش وريق وريف ونتخلص
من هذا الدشت الخالي الدست ونقتضي ما مضى من الاعمار ونقضي الباقي في
جنات تجري من تحتها الانهار فالرأى الشريف أعلى واتباع ما يبديه بالجملة
أولى فقال له تيمور أنت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ومع وجودك أنت من
يسلك هذا المسلك فقال كل الانام عبيدك وتابع مرادك ومريدك ومن تراه
لشيء أهلا كان كل حزن عليه سهلا فقال بل أنت أولى بهذا الامر فكن ضمينه
اذ لا يفي وما لك في المدينه فقال أضف الى واحدا من الامراء ليكون لي عليهم
وزراء مع مراسيم شريفه بما تقتضيه الآراء المنيفه فأجابه وقضى مراده
وأضاف اليه من أراده فقضيا مآربهما ونجزا وتحوطا بهما ما تجهزا ولما انفصل
ايدكو عن تيمور استدرك فارطه وعلم ان ايدكو خلبه بعقله وغالطه فأنفذ اليه
قاصدا أن يكون اليه عائدا لامر قد سنح ورأى قد جنح فلما قدم القاصد عليه
وبلغ ما أرسل به اليه قال له وللامير الذي معه وقد نهى كلا منهما ان يتبعه اقتضيا
مآربكما واقضيا حاجتكما وبعد الايديه وابلغاه ان امد اجتماعنا هذا منتهاه وانى
برىء منه الى أن ألقى الله ولم يمكنهما مكاشفته ولا وسعهما في تلك المضايقة الشديدة
الا ملاينته فودعاه وانصرفا وانحرفا وما وقفا ولما بلغ تيمور ذلك تقهر وتضرم
وتبرح وتبرم وحرق عليه الارم وتندم ولات حين مندم وكاد يقتل نفسه حنقا
عليه وتجرع كاسات ويوم يعض الظالم على يديه ولم يمكنه التقيد به فلم يتحرك له
بحركه وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه فكان هذا آخر أمره من دشت بركه
قيل انه لم يخدع تيمور ويدهيه ويغلبه قولا وفعلا ويطغيه سوى ايدكو المار

ذكره أقول وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي الآتي
حكايته وأمره

(تتمة ما جرى في نواحي الشمال بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال الى ان تغير أمر كل منهما وحال)

ولما انفصل تيمور بما حصل واستقر في مملكته بعد ما وصل واتصل ايدكو
بحاشيته واجتمع بصاغيته وغاشيته أخذ في التفتيش من أمور توقتاميش
وتحفظ منه وتحرز ولمداراته انتصب وتجهز اذ لم يمكنه رتق ما فتقه ولا رقع ما خرقه
وأيضا ما أمكنه الاستقلال بادعاء السلطنة اذ لو أمكن ذلك لادعاه تيمور الذي ملك
الممالك فنصب من جهته سلطانا وشيد في دار الملك خانا ودعا رؤس الميسرة
ووجوه قبائلها اليه فلبوا دعوته وأقبلوا عليه اذ كانوا أقوى من غيرهم
آمنين من ضير الجغتاي وضيرهم فقوي بذلك سلطانه وعمر بعقول الجنود خانه
وثبت في دار الملك أساسه وعلت أركانه وأما توقتاميش فبعد أن تراجع وهله
واستقر في دماغه عقله ورحل عدوه وحصل هدوه جمع عساكره واستنجد
قومه وناصره فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب بينه وبين ايدكو فاتحة
وعيون السكون بجفون الزمان المتعامي عن صلحهما نائمة الى ان بلغ مصافهم خمس
عشرة مرة يدال هذا على ذاك تارة وذاك على هذا كرة فأخذ أمر قبائل الدشت
في التنقص والشتات وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث والانبتات
لا سيما وقد تناوشهما أسدان وأظل عليهما انكدان وقد كان حلهم ذهب مع
تيمور وأمسى وهو في أسر مقهور وفي حصره مأسور فانفلذت منهم طائفة
لا تحصى ولا تقصى ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر وانحازت الى الروم والروس
وذلك لظلمهم المشؤم وجدهم المعكوس فصار وابين مشركين نصارى ومسلمين أسارى
كأنهم جبلة بني غسان واسم هذه الطائفة قراوضان فبواسطة هذه الاسباب
آل أمر الدشت الى الخلاء والخراب والتفرق والتباب والانفلات والانقلاب
وصارت بحيث لو سلكها أحد من غير دليل ورصد فانه لا بد أن يقع في الحقيقة
لاضاعته في المجاز طريقه اما صبا فلان الرياح لا رمال تسفي فتخفي الطريق على

المارة وتعوق وأما شتاء فلأن الثلج النازل فيها يترا كم عليها ويغطيها اذ كل ارضها مجاهل ومنازلها مناهل ومراحلها مهامه ومناهل فعلى كل تقدير سلوكها مهلك عسير فكانت الوقعة الخامسة عشر على ايدكو فتشتت وتشرد وتبذر وتبدد وغرق هو وبحو من خمسة رجل من أخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به أحد واستبد توقتاميش بالمملكة وصفا له دشت بركه وكان مع هذا متشوفا لاخبار ايدكو وأحواله متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله ومر على ذلك نحو من نصف سنة وانقطع أثره من الاعين وخبره من الالسنة وايدكو كان دخل في تلك الاقاص والاحقاف وبمن قطع بسير أقدامه أديم تلك النعال والاخفاف فصار يتربص ويتبصر ويتفكر معنى ما قلته ويتدبره وهو شعر

ارقب الامر وانتظر فرجها * وانتهز وقتها اذا ما جا

وامزج الصبر بالتجلي فيه * ورق التوت صار ديباجا

فلما تيقن أن توقتاميش ايسه وتحقق ان ليث المنايا افترسه شرع يتجسس أخباره ويتتبع ويستشرف آثاره ويتطلع الى أن تحقق من الخبر أنه في متنزه منفرد عن العسكر فامتطى جناح الخيل وارتدى جنوح الليل ووصل السير بالسرى واستبدل السهر بالكرى فارعا الى الهضاب فروع الهضاب مقروعا من الرعب اقراع الندى حتى وصل اليه تيمور وهو لا يعلم وانقض عليه كالقضاء المبرم فلم يعق الا والبلايا احتوشته وأسود المنايا انتوشته وذئاب الرماح وأفاعي السهام نهشته فحاولهم قليلا وجاولهم طويلا ثم انجدل قتيلا وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر شاعة التلاق وحاكة الفراق فاستقر أمر الدشت على متولي ايدكو وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسمه يصغو وتفرقت أولاد توقتاميش في الآفاق جلال الدين وكريم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق واستمر أمر الناس على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء ويعزله منها اذا شاء ويأمر فلا يخالفه أحد ويعهد ولا يجاوز ذلك العهد فمن ولاه قوتليغ تيمور خان وأخوه شادي بيك خان ثم فولاد خان بن قوتليغ تيمور ثم اخوه تيمور خان وفي أيامه تخبطت الامور فلم يسلم لايدكو زمامه وقال لا عز له ولا كرامه انا الكبش الطاع فاني أكون مطيعا والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا فالتحم بينهما

الشقاق ونجم من ذوي الضغينة نجم النفاق وجرت شرور وفتن وحروب واحن
وبين ظلمات الفتن احتبكت ونجوم الشر ورق دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت
واذا ببدر الدولة الجلالية من مشارق السلالة التوقتاميشيه بزغ متهللا وفرع
من بلاد الروس متهللا وكانت هذه القضية في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائه
فتعاظمت الامور وتفاقمت الشرور وضعف حال ايدكو وفقد له تيمور واستقر
النفاق والشقاق بين ملوك ممالك قفجاق الى ان مات ايدكو غريقا بجا
واخرجوه من نهر سيحون بسرايجوق والقوه طريحا رحمه الله تعالى وله حكايات
عجيبه واخبار ونوادر غريبه وسهام ذراه في اهداف مصيبه وافكاره كائد
وواقعات مصائد وله في اصول فقه السياسة نقود وردود والبحث فيها يخرج عن
حصول المقصود وكان اسمر شديد السمرة ربعة مستقبل البدن شجاعا مهابا ذا رفعه
جوادا حسن الابتسامه ذا رأي مصيب وشهامه محبا للعلماء والفضلاء مقربا
للصلحاء والفقراء يداعبهم بألطف عباره واظرف اشاره وكان صواما وبالليل
قواما متمسكا باذيال الشريعه قد جعل الكتاب والسنة واقوال العلماء بينه وبين
الله تعالى ذريعه له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع وله ولايات على حدة
وجنود واتباع وكان في جماعات الدشت اماما نحوا من عشرين عاما وايامه في جبين
الدهر غره ولياليه دولته على وجه العصر طره

﴿رجعنا الى ما كنا فيه من امور تيمور ودواهيه﴾

ولما وصل تيمور الى اذربيجان وابث عسكره في ممالك السلطانية وهمذان واستدعى
الملك الطاهر سلطان ماردين واطلقه واتم عليه مكائد كروا ستوثقه وولاه ما بين
الشام والعراق واحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق ولم يمكنه الاقامة
بتلك الجهة لما همه من الدشت من امر بجمعه عنان قصده الى ممالك سمرقند فنفض
فيها اوطاره وفرغ مما كان ملأه من الدشت جرابه ثم خرج من غير توان وقطع
جيحون بالطوفان ووصل الى خراسان وواصل السير الى اذربيجان وتوجه اليه
طهرتن حاكم اذربيجان متلقيا طوق مراسيمه بجيد الاطاعة والاذعان واهمل امر
ماردين وتناساها ولم يتعرض الى ما يتعلق بها من مدنها وقراها

﴿ابتداء ثوران دولة القتام فيما يتعلق بممالك الشام﴾

ثم انه قصد الرها ورام تملكها فخرج اليه شخص من أعيانها ورؤسائها وقطانها يقال
له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه واشتراها بجمل من الاموال وحملها
اليه وأداها فعند ذلك أرسل الى القاضي برهان الدين أبي العباس أحمد الحاكم
بقيصرية وتوقات وسيواس من الرسل عدة ومن الكتب شدة يبرق فيها ويرعد
ويرغي في بحرها ويزبد ويقيم بقوافيها قيامته ومن جملة فحواه ومضمون ذلك
وما حواه أن يخطبوا باسم محمود خان أو سيورغتمش خان وباسمه ويضربوا السكة
على طرز ذلك ورسمه كما هو دابه ويحمله رسوله وكتابه فلم يؤمن له السلطان
برسول ولا بكتاب ولا تقيد له بجوابه عن خطاب بل قطع رؤس الروس من قصاده
وعلقها في أعناق الباقين وأشهرهم في بلاده ثم جعلهم شطرين وقسمهم نصفين
وأرسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم
والجزء الآخر الى السلطان أبي يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم
وأخبرهما بالقضية عن جليه وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت وانه جعل
في ذلك جوابه السكوت وقتل قاصديه نكايه ولم يزد على هذه الحكايه وانما
فعل ذلك برسله وقصاده استهوانا به واستعظاما لما عمله بعباد الله تعالى وبلاده ثم
قال القاضي اعلموا أني جاركما وديارى دياركما وأنا ذرة من غباركما وقطرة من
بحاركما وما عملت معه هذا مع ضعف حالي وقلة مالي ورجالي وضيق دائرتي
وبلادي ورقة حاشية طريفي وتلادي الا اعتمادا على مظاهرتكما واتكالا على
مناصرتكما واقامة لاعلام حرمة دولتكما ونشرا لرايات هيبة صولتكما فاني جنة
ثغركما ووقاية نحركما وشاويش جنودكما وجاليش بنودكما وربيئة طلائعكما
وطليعة وقائعكما والآن أين لي مقاومته وأنى تيسر لي مصادمته وقد علمتم
أهواله وعرفتم مشاهده وافعاله فكم من جيش كسر وقبيل أسر وملك ملك
ومالك أهلك وستر هتك ونفس سفك وحصن فتح وفتح منح ومال نهب وعز
سلب وصعب أذل وخطب أحل وعقل أزل ووهم أخل وخيل هزم وأس
هدم وسؤال قطع وقصد منع وطود قلع وطفل فجع ورأس شدخ وظهر
فضخ وعقد فسخ ونار أشب وريح اهب وماء أغار ورهج أثار وقلب شوى
وكبد كوى وجند قسم وطرف أعمى ودمع أدمى وانى لي علاقة بسيل العرم

ومصادمة

ومصادمة الجيش المتسلم فان جبنت عنه وحدت عنه وان خف اليه بذاتي
ويكفيكما هيبة وشهرة ونباهة كما أبهة ونصره اني من خدامكما وقدامكما من كماتكما
ومادتكما وان أصابني والعياذ بالله منه ضرر أرتطام الى ممالككما من جراته شرره
شرر ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به وثان وثالث
قلت شعر

والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شراره فاذا بادرته خمدا
وان توانيت عن اطفائه كسلا * أورى فتائل تشوي القلب والكبدا
فلو تجمع أهل الارض كلهم * لما أفادوك في اطفائها أبدا

وانما أهملت خطابه وأهملت جوابه لترجمان اتفق وتأمر فاكتفى وتوسلا
وأبى عليه وتجاوبا فيه فلذلك كدلك مني اليه

﴿ذكر ما أجاب به السلطان أبو يزيد بن عثمان للقاضي برهان الدين أبي العباس سلطان ممالك سيواس﴾

فأما السلطان أبو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل أعجبه ونمّ هذا القول أطربه
واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه وأرسل اليه يقول ان ارتدع تيمور
عنه وانتهى والا فانا آتيه بجنود لا قبل له بها فليقابله بحسن تدبيره وليثبت له
بحسن البصيرة واخلاص السريرة ولا يجزع من جنوده الغزيرة فكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة وان اقتضت آراؤه السديدة وأحكامه السعيدة توجهه
بنفسه اليه وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه ليرفع أعلامه وينفذ أحكامه ويكون
لسيفه يدا ولجناحه عضدا ثم أرسل كتابه وانتظر جوابه وأما الملك
الظاهر فما رأيت له كتابا ولا حققت منه له جوابا والظاهر أن جواب الملك
الظاهر أبي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي أبي يزيد اذ أنهما
وافقا وتوافقا في الباطن والظاهر كانت من باب توارد الخاطر ثم اني رأيت كتابا
يتضمن خطابا وجوابا وذكرا ان الخطاب من ذلك الغادر والجواب من الملك الظاهر
وكلاهما سوى آي الكتاب غير زاه ولا زاهر أما صورة الخطاب فهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

يشتاقون اعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه
لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل
لمن لم يمتثل أمورنا فانا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا في الارض
الفساد قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال خيولنا سوابق ورماحنا خوارق
ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام فان أنتم قبلتم شرطنا وأصلحتم أمرنا كان لكم
ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وأبيتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا
انفسكم فالحصون منا لا تمنع والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم علينا
لا يستجاب ولا يسمع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذلة والجزع
فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم أننا كفرة فقد ثبت عندنا أنكم فجرة قد
سلطنا عليكم من بيده أمور مقدرة وأحكام مدبرة كثيركم عندنا قليل وعزيزكم
عندنا ذليل قد ملكنا الارض شرقا وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا وأرسلنا
اليكم هذا الكتاب فأسرعوا في رد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ولم يبق
لكم باقية فينادى عليكم منادى الفناء هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
وقد نصفناكم اذ راسلناكم ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم والسلام وهذه
صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما أظن لذلك صحة
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير حصل
الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية والدولة العظيمة الكبيرة السلطانية
قولكم (انا مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لشاك
ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبكم) فهذا من أكبر عيوبكم وهذا
من أقبح ما وصفتم به أنفسكم ويكفيكم هذه الشهادة واعظا اذا اتعظتم قل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون ففي كل كتاب ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وزعمتم
أنكم كافرون ألا لعنة الله على الكافرين من تمسك بالاصول لا يبالي بالفروع
نحن المؤمنون حقا لا يصدنا عيب ولا يداخلنا ريب القرآن علينا نزل وهو رحيم
بنا لم يزل وقد علمنا بركة تأويله وقد خصصنا بفضل تنزيله وتحليله انما النار لكم
خلقت ولجلودكم أضرمت اذا السماء انفطرت ومن اعجب العجاب تهديد

الليوث

الليوث بالليوث والسباع بالضباع والكماة بالكماة فنحن خيولنا عربيه وهممنا عليه والقنا شديدة المضارب ذكرها فى المشارق والمغارب ان قتلنا كم فنعم البضاعه وان قتلتمونا بيننا وبين الجنة ساعه ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وقولكم (قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال) فالجزار لا يبالى بكثرة الغنم وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار لا من الرزايا نحن من المنيه فى غاية الامنيه ان عشنا فسعدا وان متنا فشهدا الا ان حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعه لا سمع لكم ولا طاعه وطلبتم ان نوضح لكم أمرنا فهذا الكلام فى نظمه تركيك وفى سلكه تفكيك لو كشف لبان قبل التبيان أ كفر بعد ايمان أم اتخذتم ربا ثان لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا قل للكاتب الذى رصع رسالته ووصف مقالته حصل الوقوف على كتاب كصرير باب أو طنين ذباب وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى ثم انى وجدت فى نسخة خامرت الدهور بتقادم مدادها وبعض كر العصور على وجه الزمان من شيبها اسوادها صورة هذا الكتاب وهيئة هذا الخطاب من انشاء نصير الدين الطوسى على لسان هلاكو التترى مرسلا ذلك الى سلطان مصر وصورة الجواب بعينه انشاء من كان فى ذلك العصر

﴿فصل﴾ ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق ورنق بحماقى الغضب وفاردم قلبه ورنق وغص غضبا وكاد من الغيظ أن يختنق ولكن علم ان فى الزوايا خبايا وللاسلام جنودا ورايا وفى عزيز الدين من ليوث المسلمين بقايا وان امامه اسودا وعواصر وجوارح كواسر فتصبر لازمان وربع القهقرى وتربص بهم الدوائر

﴿ذكر توجه العساكر الشاميه لدفع تلك الداهيه﴾

ثم ان ملك الامراء بالشام هو تمم خرج بالعساكر الى ارزنجان وربع وهو مقدم

ولم يوافق ذلك ضميرا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وعاد من جيش
الاسلام كل أسد هصور وقد اصطاد من عساكر الكفر ما ضاهى صورته وجاء نوره
على نور

﴿ذكر رجوع ذلك الكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود﴾

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه انتقل من زحمة الدنيا الى رحمة الله ولم
يكن له ولد يكون له خليفه فسعى تيمور لان يتولى بحكم الوفاة والشغور تلك الوظيفه
ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى ومرج بحر أمر الهند ماج بجعل كل
يخوض خوضا فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه ملو
فرأب من أمر الناس ما انصدع ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق
ارتفع فعصى عليه أخوه سارنك خان متولى مدينة ملتان ووقع بينهم التخالف
وافترق ملأ الهنود فرقا وطوائف فكان اختلافهم لتيمور أحسن مساعد وأقوى
عضد وساعد قلت شعر

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى ملتان عصى عليه سارنك خان فأقام يحاصرها وقعد
يضاجرها وكبت عساكرها أياما عديده وليالي كأنها السود مدلهمه حتى قيل ان من
جملة عسكرها الثقيل كان ثمانمائة فيل مع ان كل أمير من أطراف الهند
ورئيس من أكناف السند كان قد أفلت أذياله وأطلق رحاله ورجاله وضبط
بلواحقه أثقاله وربط بلواحقه أفياله واستمر ذلك الدد والخصام نحوا من ثلثة
عام الى ان استخلصها وممن بها خلصها

﴿فصل﴾ ولما استولى ملو واستقر أمر الهند عليه وبلغه توجه تيمور اليه
جد واجتهد واستمد العدد والعدد واستعد الامداد والمدد وأهلك المال الى الابد وحسب
ان لن يقدر عليه أحد وفرق الاموال وجمع الخيل والرجال واحضر ما في مملكته
من الافيال ثم حصن مدائنه ومكن كمائنه وشيد على الافيال للمقاتلة أبراجا
وأحكم في تحرير المناضلة طريقة فقهية اذهب ومنهاجا وجد تيمور في السير حتى كاد
يسبق الطير اذ لم يكن له في ذلك الارتقاء من يجيبه ولا في عساكر سلطان الهند من

يقربه

بقربه فلما بلغ الهنود بالجنود برزت اليه بالجنود الهنود وقدموا الفيول لتلقى
الخيول وقد بنوا على كل فيل من الابراج برجا وعبوا فى كل برج من المقاتلين
من يخشى فى المضائق ويرجى بهم ما حملوها من أكابر كستوانات فى حصار
وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدهو العفاريت الى الفرار وشدوا
فى خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال انها سيوف الهند تدهو الرؤوس شعلة لهيبها
فتخر لها ساجدة فيحق أن يقال لها نار السند وهذا خارج عما لتلك الافيلة من
الانياب التى هى فى الحروب كالحراب اذ هى فى أداء ما وجب عليها نصاب كامل
وسهامها التى هى مصيبة فى نحور من يقابلها تقصم كل نابل وذابل فكانت تلك
الافيال فى وصف القتال كانها قيل بأسودها ماشيه او صياصى بجنودها جاريه
وأطواد بنمورها غاديه أو بحار بأمواج أمواجها طافحة جاثيه أو ظلل من الغمام
بصواعقها هاميه أو ليالى الفراق بنوائبها السود ساريه وخلفها من الهنود فوارس
الحرب وأبطال الطعن والضرب سود الاسود وطلس الذئاب وغبش الفهود
بالذابل الخطى والصارم الهندى والنبل الخلنجى مع قلب زكى وجنان جرى
وعزم قوى وصبر رضى

﴿ذكر ما فعله ذلك المحتال من الخديعة فى أعمال الافيال﴾

وحين اطلع تيمور على هذه الحال وتحقق أن شقة عساكر الهند تضيق على هذا
المنوال أعمل المكيده فى قلع هذه العصيده ومرق لهم مرقة قدر طبخها أمر من
العصيده فبدأ أولا فى الاحتيال بدفع مكيدة الافيال فاستعمل العسكر الحديد
فى اصطناع شوكات من حديد مثلثة الاطراف مستبدعة الاوصاف كانها فى
شكلها الخبيث طرق القائلين بالتثليث او وضع أصحاب الاوفاق أعدادها
المنسوبة الى الوفاق فصنعوا له من ذلك الالوف ثم عمد الى مجال الفيول فى
الصفوف فنثر ذلك هنالك وجلب لاهلها حربا وويلا ورقم لذلك حدا ورسم
أن فعل ذلك الحد لا يتعدى ثم ركب اقياله وأبطاله ورتب أسوده وأشباله وهذب
خيله وشذب رجاله وأرصد ثمة الاوعينا من عسكره للعدو كمينا وحين بث سلطان
السيارة فى جوانب الآفاق خيله وضم جيش الظلام رجالة أنجمه وشمر الهزيمة ذيله

مشى عسكره الى ذلك الحد ويدا حتى وصل اليه ولما ترآى الجمعان نكص على
عقبيه ثم نكب بالخيول على طريق الفيول فتصوّروا أن خيوله جفلت وشمس
نصرته انكسفت وكواكب جيشه أفلت فاقلعوا واقلاع الفيول فانهزمت انهزام
الخيول وساقوها خلف عساكره سوقا على ذلك الشوك الملقى واتبع الفيالة
من الهنود الرجالة والخيالة فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى
المقاسم وأخذ ذلك الشوك فى تقبيل أيديها وأرجلها وتشبث بتلك المناسم وأحست
قوائمها بشوكها رجعت القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها فنهنهوها وثنوها
عن التولى فلم يفدها النهى والنهنهة وصارت فى التقدم الى جهة العدو كفيل أبرهة
ثم لم يسعها لما أضرها الشوك فى تلك الحرار الا التولى من الزحف والفرار فحطمت
الفيول الرجال والخيول وصارت القتلى كالجبال والدماء فى أوديتها سيول وخرج
عليهم الكمين من ذات الشمال وذات اليمين فبادروا اسارهم وألحقوا بأولهم
آخرهم وقيل ان بلاد الهند ليس فيها أباعر وان منظرها يجفل الفيل فيصير أبعد
نافر فأمر تيمور أن يهيأ خمسمائة بعير جفول وتعبأ رواحلها أحمالا قصبا
محشوة بقنابل وقطن بالدهن مبلول وان تساق امام الركبان الى أن يترآى الجمعان
فلما تصافوا ولم يبق الا القتال أمر أن تطلق النيران فى تلك الحشايا والاحمال
وتساق الى جهة الافيال فلما أحس البعران بحرارة النيران رغت ورقصت
ونحو الفيول شخصت وصارت كما قيل شعر

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

فلما رأت الفيلة النيران وسمعت رغاء البعران ونظرت الى الابل كيف خلقت
وشاهدتها وقد رغت ورقصت وبأخفافها صفقت الموت على عقبها ناكصة لسائقها
وامصة ولراكبها واقصة فحطمت الخيالة وهشمت الرجالة وتلا الكافرون آية
النصر على أصحاب الفيل وأرسلوا عليهم من السهام طيرا أبابيل فلم ينتفعوا
بالافيال بل أفنت الافيال غالب الخيل والرجال ثم تراجعت عساكر الهنود
وأبطال الخيالة من الجنود وكتبوا الكتائب وجندوا الجنود ثم تراموا وتصافوا
وتضاموا وتكافوا وهم ما بين مجوسى ومسلم ومبارز منتسب ومنادى بالشعار معلم
وكل فى سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم ثم تدانوا مع التتار وتزاحفوا

وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا ثم بالسيوف تضاربوا ثم تلاتبوا وارتقبوا
ثم تراموا عن ظهور الخيل واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل ولا زالت تختلف
بينهم الضربات وتصول فيهم الحملات وتخمد منهم الصولات حتى تلا لسان القضاء
والقدر ان في اختلاف الليل والنهار الآيات ثم تناهى الاقتحام وانفرج الازدحام
وأسفرت القضية عن أن بردعاى الهند فانهزم جيش هام وحل بالهنود الويل ومحا
الله آية الليل ولما تفرقت الهنود وفلوا وانتهى عقد عملهم في المحاربة حلوا وقتلت
سرواتهم وهرب سلطانهم ملوا وثبت تيمور وسكه في هنده الى الآن كانت أوتاده
في سمرقنده فجمع أقيالها وربط أفيالها وضبط أموالها وما غفل عن ضبطه
ما عليها ومالها وسلم أفيالها فيالها ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلى مصر عظيم
يجمع فنون الفضل وأرباب الفخر الجلي ومعقل التجار ومعدن الجواهر والبهار
فقنعت عليه بالحصار فأحاط بذلك السواد الاعظم من عساكره السواد الاعظم
ومن معه من الخلائق والامم فقال ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها لم
يقدروا أن يكتنفوها لسعة دائرتها وانه أخذها من أحد جوانبها بالمحاصرة ثم
الجانب الآخر ثلاثة أيام في المجاذبة والمشاجرة لم يدر من في الجانب المحاصر لبعد
المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الآخر

﴿ذكر وصول ذلك الخبر الى ذلك المعوق بوفاة الملكين أبي العباس أحمد والملك الظاهر برقوق﴾

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وأمصاره واحتوى على ممالكه وأقطاره
وبلغت من اسمه أعماق أنجاده وأغواره وأثبت جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا
وظهر فساده في رعاياها برا وبحرا اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام ان القاضي
برهان الدين أحمد السيواسي والملك الظاهر أبا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام
فسر بذلك صدره وانشرح وكاد أن يطير الى جهة الشام من الفرح فنجز بسرعة أمور
الهند ونقل الى ممالكه من فيها من العساكر والجند بما أخذ من الاثقال ونفائس
الاموال ووزع ذلك الجمهور من ذلك الجند المأسور على أطراف ما وراء النهر من
الحدود والثغور وأقام في الهند نائبا من غير وجل ثم صدر عن سمرقند قاصدا الى

الشام على عجل ومعه من الهند ومن اجنادها ووجوه أعيانها وسلطان افيالها
وأفيال سلاطينها ثم انه صار قرير العين بتلك الطوائف الطافيه في أوائل سنة
اثنين وثمانمائة وانصب بذلك الطوفان من سيحون الى خراسان وكان قد قرر
ولده لصلبه أميرانشاه بمملكة تبريز وتلك الديار والسلطان أحمد قد رجع الى بغداد
وهو مستوفز للفرار وسبب حركته الى بلاد الشام ما فعله القاضي برهان الدين حاكم
سيواس بقصاده الاغنام لكنه أراد أن يتم مقصده ويغطى عن الناس مصدره
ومورده قلت بديها شعر

وأنى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحو النهار
وكيف يستر ذفر المسك حشو * خياشيم الورى في يوم حار
وأنى يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النقار

فان قصده كان بعيد المدى طويل الامد محتاجا الى اعداد اهبة السلوك ويخشى
أن تضاهي غزوة تبوك وأظهر سببا أبطن فيه ما رامه من مكره ودواهيه وأشاع
ذلك وأذاع فامتلأت منه القلوب والاسماع

(معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه زعم ان ولده اميرانشاه أرسله اليه)

وذلك انه أميرانشاه المذكور راسله وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض
ما قاوله وطاوله انك قد عجزت لكبر سنك وشمول الضعف بدنك ووهنك عن
اقامة شعائر الرياسه والقيام باعباء الايالة والسياسه والأولى بحالك ان كنت من
المتقين أن تقعد في زاويه متعبد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد تم في أولادك
واحفادك من يكفيك أمر رعيتك واجنادك ويقوم عنك بأعمالك في بلادك وأنى
لك البلاد والممالك وأنت عن قريب هالك فان كان لك عين باصره وبصيرة في نقد
الاشياء ماهره فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخره ولو ملكت ملك شداد ورجع
اليك اقتدار العمالقة وعاد وساعدك النصر والعون حتى تبلغ مقام هامان
وفرعون ورفع اليك خراج الربع المسكون حتى تفوق في جمع المال قارون
وصرت في خراب البلاد كبختنصر الذي طول الله تعالى له في القصر وبابل فلو بلغ
سلطانك الاقطار وقضيت من دنياك غاية الاوطار وصار عمرك فيها أطول الاعمار

وخدامك

وتقدمك فيها ملوك الاعصار فقصر جندك قيصر وكسر كسرى فانكسر وتبعك
تبع والنجاشي وأوساط الملوك والاقيال فغدوا لك خدما وحواشي وتفغر لك
فغفور بالثناء فاه وأثنيت على الخان وخاقان فرده كل في رقعة دستك شاه
وأذعن لك فرعون مصر وسلطانها وجيء لك على يد خير الدين ايران الدنيا وتورانها
وآل أمرك الى أن كان لك سكان الاقاليم وقطانها أليس قصارى تطاول قصورك
الى القصور ونهاية كمالك النقص وحياتك الموت وسكناتك القبور وقلت شعر

فعش ما شئت في الدنيا وأدرك * بها ما رمت من صيت وصوت
فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بفوت

وقيل شعر

قميص من القطن من حله * وشربة ماء قراح وقوت
ينال به المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت

فأين أنت من نوح وطول عمره ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره ولقمان
ووعظه ولده وتربيته طول الحياة ابده وداود في ملكه الفسيح مع قيامه بأوامر
الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير
والوحش والريح وذي القرنين الذي ملك المشرقين وبلغ المغربين وبنى السدين
الصدفين ودوخ البلاد وملك العباد وأين ذلك من سيد الانبياء وخاتم الرسل
وصفوة الاصفياء المرسل رحمة للعالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين محمد
المصطفى وأحمد المجتبى الذي زويت له مشارق الارض ومغاربها وتمثل بين
يديه شاهدها وغائبها وفتحت له خزائنها وعرض عليه ظاهرها وكامنها وكانت
جنوده الملائكة الكرام وآمن به الانس والجن والطير والوحش والهوام وأيده
الله الكريم المتعال بأن أرسل لطاعته ملك الجبال وكان حامل رايات نصره
نسيم الصبا باليمين والشمال فملك الجبابرة بالهيبة والقهر وكانت الاكاسرة
والقياصرة تهابه من مسيرة شهر وأيده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار
وتولى نصره اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار وان الله سبحانه به
أسرى في بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان مركوبه
الشريف البراق ثم عرج به الى السبع الطباق وقرن اسمه الكريم مع اسمه

وتعبد عباده بشريعته الى يوم القيامة من غير تغيير لملته ورحمته وخلق لاجله
الكائنات وأنار بوجهه الموجودات ولم يخلق في الكون أشرف منه ولا أنظر
اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير من
القرص الشعير وسقى الكثير من الرجال عند نبعه من بين أصابعه من الماء الزلال
وانشق له القمر وسعت اليه الشجر وآمن به الضب وسلم عليه الحجر وهل تحصى
معجزاته وتحصر كراماته وناهيك بمعجزاته المؤيدة وكرامته المؤبدة الخالدة على
ممر الزمان الباقية ما دار الحدثان الساكنة ما تحرك الملوان وهو القرآن المجيد
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذه منازله في
الدنيا غير ما ادخر له في العقبى وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف
يعطيك ربك فترضى مع ان الله تعالى أخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو
أدركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال أمره فهو دعوة ابراهيم الخليل ومتوسل
موسى وعلماء بني اسرائيل والمبشر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل وحامل
لواء الحمد به يوم لقائه فآدم ومن دونه تحت لوائه وهو صاحب الحوض المورود
والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود وبمعنى ما قلت مفوفاً مقتبساً شعر

قل تسمع اشفع تشفع سل تنل تجد * تفويف خلعة عز واقتبس نعمى

فانظر الى هؤلاء السادة معادن الخير ومفاتيح السعادة هل رغبوا في الدنيا
واعتمدوا عليها أو نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها أو هل كان نظرهم
غير التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وناهيك بالخلفاء الراشدين وأعظم
بالعمرين اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين وهلم جرا بالعلماء العاملين
والملوك الكاملين والسلاطين الفاضلين الذين تولوا ورعوا حقوق الله تعالى في
عباده ومحوا عن عباد الله الظلم في بلاده وأسسوا قواعد الخير وساروا في نهج
العدل والانصاف أحسن سير فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم واصبحت بعد موتهم
أيامهم أخبارهم فمضى على ذلك مثل الاولين وبقي لهم لسان صدق في الآخرين
اذعنوا لموجب ما علموا شعر

فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس أحاديث

وأنت وان كنت تسلطت على الخلق فقد عدلت أيضاً ولكن عن الحق ورضيت

ولكن

واسكن أموالهم وزروعهم وحيث واسكن بالنار قلوبهم وضلوعهم وأسست واسكن
قواعد الفتن وسرت واسكن على سير اماتة السنن ومع هذا فلو عرجت الى السبع
الشداد ما بلغت منزلة فرعون وشداد ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد
ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فانظر ان نهى وأمر ثم مضى
وغبر ولا تكن ممن طغى وفجر وتولى وكفر واقنع بهذا الخطاب عن الجواب واعط
القوس باريها واترك الدار لبانيها وتول الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا ممن
تولى في الارض ليفسد فيها فاني اذ ذاك امشي عليك واضرب على يديك وامنعك
من السعي في الفساد بان أسوي بين رجليك مع قلة آداب كثيره وعبارات ذنوبها
كبيره فلما وقف تيمور على هذا الكتاب وجه الى تبريز عنان الركاب وكان عند أميران
شاه من المفسدين جماعة سعوا في الارض مفسدين منهم قطب الموصلي أعجوبة
الزمان الدوار وأستاذ الموسيقا والادوار اذا استنطق البرابط أسكت أهل
البراعه واذا وضع الناي بفيه محق عود العشاق وأبيه وان أخذ في الاغاني
أغنى عن الغواني تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عن أنيني فتشير براعته
بالاصبع وتقول على عيني ثم ينفخ فيها الروح فيشفي كل قلب مجروح ويداوي
كل فؤاد مقروح فان أقامت قامتها الرشيقة راقصة في معاهدها جني الجنك ثمره
خاصرها الطيب اسقامها وان فتحت فاها التقرى اسماع القلوب ألحانه عمل
العود عنقه صغيا اليها مار كابا باهل الادب آذانه قيل انه كان يؤدي جميع الانغام
الفروع والمركبات والشعب والاصول من كل قضيب من أثقب الاصول وله مصنفات
في أدوار المقامات وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات وكان
أميرانشاه به مغرما بعد صحبته والعشرة معه مغنيا وكان تيمور لا يعجبه اللعب ولا
يستهويه اللهو والطرب فقال ان القطب أفسد عقل أميرانشاه كما أفسد عبد
القادر أحمد ابن الشيخ اويس واطغاه ووصل ذلك الطاغي سابع عشر شهر ربيع
الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ فاناخ بها ركابه وأراح بها دوابه وضبط الك
اذربيجان وقتل أولئك المفسدين وأهل العدوان ولم يتعرض لاميرانشاه لانه
ولده وهو ان شاه وبينهما أمور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله ثم توجه بذلك الخميس
ثاني جمادى الآخرة يوم الخميس وأخذ مدينة تفليس وقصد بلاد الكرج وهدم

ما استولى عليه من قلعة وبرج وقلعهم الى الصياصي والقلاع العواصي وقتل من
ظفر به من طائع وعاصي وبرعهم ما بين قص ونواصي ثم ثنى عنان الفساد وحرش
البغاة على بغداد فهرب السلطان أحمد من ذلك الجلب الى قرا يوسف في ثامن
عشري شهر رجب فسكن تيمور زعازعه وطمن بذلك سرادقه ومغارمه وتجول في
السير واستعمل في نحوهم مناظريه مباحث سوى رغير وصار يتجاوز ويتجاول
وينشدوهو يتغافل شعر

أموه عن سعدى بعلوى وأنتم * مرادي فلا سعدى اريد ولا علوى

فتراحم السلطان أحمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام منصورين لانه لم يبرح من
بلاد السكرج الا تمام فلما تحققا منه الخروج وكانا حققا انه اذا هرج على شيء فما
يعوج وطار ط ترهما نحو الروم وترك ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم فتوجه
ذانك القمعان الى مصيف التركمان فاغمد السيف وكف عن الحيف وتصرم
الصيف

﴿ذكر ما وقع من الفتن والبدع وما حصل للشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس والشام﴾

وكان اذ ذاك قد تخبط امر الناس ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام الى سيواس
اما مصر والشام فلموت سلطانها واما سيواس فلقتل برهانها وكان موتهما متقارب
الزمان كموت قرا يوسف والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان فان
مدى ما بين موت هؤلاء الملوك العظام كان نحوا من نصف عام وكذا كان ما بين
موت ذينك السلطانين

﴿ذكر نبذة من امور القاضي وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي﴾

وسبب قتل القاضي برهان الدين شكالة رقمت بينه وبين عثمان قرايلوك رأس
المفسدين سيرداد بيانها اذا اتى مكانها وهذا السلطان ابو العباس كان قاضيا عند
السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض مملكة قرمان وكان بين الامراء والوزراء ذا
مكانة وامكان وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه من طلبة العلم
الشريف واصحابه المجتهدين في تحصيله واكتسابه فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم

وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم وكان ذا فطنة وقادة وقريحة نقادة ومقلة
غير رقادة فحصل من العلوم عدة في أدنى مدة فبينما هو في مصر يسير واذا هو
بفقير جالس على الطريق كسير فناوله شيأ بيده خاتمه ويجبر بفقره وكسرته
فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم وكشف له عن السر المكتوم وقال لا تقعد في هذه
الديار فانك سلطان الروم فصدع بهذا الكلام قلبه فاشتغل باعداد الاهبة وقطع
العلاق ودخل الطريق صحبة الرفاق ولما وصل الى سيواس ابتهج به والده
واعيان الناس وشيد له بين الخلق أشد بنيان وأشد أساس وشرع في القاء
الدروس ومصاحبة الاعيان والرؤس وكان ذا همة أبيه وراحة سخيه ونفس
زكيه وخصائل رضيه وشمائل مرضيه وتحرير شاف وتقرير واف يحقق
كلام العلماء ويدقق النظر في مقالات الفضلاء وله مصنفات في المعقول
ولطائف في المنقول ينظم الشعر الرقيق ويعطي عليه العطاء الجليل ويحب
اللفظ الدقيق ويثيب عليه الثواب الجزيل وهو في ذلك يتزيا بزي الاجناد
ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد ويلازم أبواب السلطان ويتخذ
الخدم والاعوان فمات السلطان عن ولد صغير فأجلسوه على السرير وكان
عنده من الأعيان الامراء ورؤس الوزراء أناس منهم غضنفر بن مظفر
وفريدون وابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن أكبرهم أبو القاضي
برهان الدين فصار هؤلاء الامراء والرؤس من الوزراء والكبراء يدبرون مصالح
الرعيه ولا يفصلون الا باتفاق ما يقع من قضيه فمات أبو القاضي برهان الدين
وتولى ولده مكانه وفاق بالعلم وحسن السياسة أباه وأقرانه ففرق ولايات تلك
الاقاليم على ابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم وبقي حوالى السلطان محمد
فريدون وغضنفر وبرهان الدين أحمد ثم توفي السلطان محمد عن غير ولد فبقيت
الولاية بين الثلاثه على سبيل الاشتراك وراثه وقلما اتفق ضرتان على زوج
واحد والتقتا ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومائة فقير ينامون في حصير
وملكان لا يسعهما اقليم كبير فأراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال
فنصب لشريكيه أشراك الاحتيال اذ الملك عقيم فرصد لذلك الطالع المستقيم
ونظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فرأى شريكاه ان العيادة عباده فطلبا

بعبادته الحسنى ورام هو الزياده فعاداه وقد عاداهما وماراهما وماراه ولكن راعهما
وماراعاهما فدخلا عليه وقد أرصد لهما رصدا وأعد لهما من الرجال العدة عددا
وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك وخلص توحيد السلطنة الاحدية من
الاشراك فقوى بالتوحيد سلطانه وأضاء به للدين حجته وبرهانه ولكن ناواه
انداده وعصى عليه من النواب اكفاؤه وأضداده وأظهر كامن العداوة أعداؤه
وحساده وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا أجداده ونحن كنا سواسية اذ تهيأنا
فأنى يكون له الملك علينا وحسد الرياسة هو الغل المقل وقلما سد الا كلمه جرح
لا يندمل فمنهم شيخ نجيب صاحب توقات القاسيه ومنهم حاجي كلدي وكان نائب
أماسيه فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان وكان استولى اذ ذاك السلطان علاء
الدين على ممالك قرمان فقال السلطان برهان الدين ان رواة التواريخ حدثتنا
وأسمعتنا وكتب السير أنبأتنا وأخبرتنا ان ما حوالينا من الممالك متعلق بنا من
سلطاننا وارثنا ثم شرع في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه وجعل يشن
الغارات على من يتمادى في عصيانه فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا
واستصحبه معه طوعا وقهرا والحارث تتار الروم اليه وهم الجم الغفير وعثمان
الملقب بقرايلوك قال له أنا تحت أوامرك أمشي وفي قبضة طاعتك أسير فكان
قرايلوك من جملة خدمه وفي حساب تراكمه وحشمه فكان يرحل هو ومن معه من
الناس شتاء وصيفا بضواحي سيواس

(ذكر قرايلوك عثمان آثار انوار برهان الدين السلطان)
(بسبب ما أظهره من العدوان واصره حالة العصيان)
(وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان)

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره أدت الى المشاجره وانتهت الى المراجمه
والمنافره فنقض العهود والذمم وامتنع من حمل التقادم والخدم وتمنع في
الاماكن العاصية بمن معه من التراكمة والحشم فلم يكترث به السلطان لانه
كان أقل الاعوان وجعل يتوجه الى أماسيه وأخرى الى أرزنجان وكان بالقرب
من سيواس مصيف منظره ظريف وترابه نظيف وماؤه خفيف وهواؤه لطيف

كأن الخليج خلع على أكناف رياضه سندسه الاخضر والفردوس تفجر في خلال أشجاره من نهره الكوثر على هذا الفته من رياض الجنان شبه وفي ربوة جبهته للابصار دهشات وللبصائر نزه قلت شعر

عليه شقيق قد زهاه كأنه * عيون شقيق أترعت بالعنابر

فقصده قرابلوك ورام في طريقه السلوك فتزل على سيواس وبها القاضي أبو العباس فجاز بركابه ولم يعبأ به ذات تهيّئ وزقيظه وكديد من غيظه وقال بلغ من هذا الهوان أن يلج برج الاسد ويقدم قدم أقدامه وأنا حل بهذا البلد ثم أمر جماعته بالركوب وقصد عليه الوثوب واستفزه الغضب والطيش ان ركب وسبق الجيش فقال له بعض من معه من الجماعه لو تلبث مولانا السلطان ساعه حتى يتلاحق العسكر كان أحزم وأوفق وأجدر وان كان حركة مولانا السلطان فيها كفاية ولها أيد لكن قرابلوك تركمانى ذو دهاء وكيد فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام ولم يزل هاجما وراءه حتى هجم الظلام فعثر عليه قرابلوك بجماعته فقبض عليه باليد من ساعته ولم يدر بحاله العسكر وتمزق أمراؤه وجنده شذر مذر

﴿ذكر ما كان نواه قرابلوك من الرأى المصيب ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب﴾

ثم ان قرابلوك عزم أن يجدد معه العهد والميثاق ويقلع غراس الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق ويرده الى مكانه ويصير كما كان أولا من أنصاره وأعوانه ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح واذا بالشيخ نجيب الذى كان متولى قلعة توقات وناصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات ثم قهره وغلبه وأخذ قلعته بالكراهة استغصبه وجد فرصة فانتهزها وكان في قلبه كامن حشمة فأبرزها فجاء الى قرابلوك ووقف في خدمته كالمملوك وقال أخيد عالم عقلك ان يزل ودليل فهمك ان يضل ومصيب رأيك ان يصاب وجميل فكرك أن يعاب قد أمكنك الله من العدو وانى لك مع هذا السكون والهدو

قلت شعر ما الدهر الا ساعة وتنقضى * والمرء فيها حازم أو نادم

فلئن أبقيت عليه لا يبقى عليك ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله لا ينظر اليك

فانه رجل غوي وبأنواع المكر واصناف الخديعة عني عسر القياد وابيل لا يجتمع
فيه الخير واني وهبك والعياذ بالله منه مكانه منك أ كان يرق لك أو يصفح عنك
هيهات هذا والله محال فقد وقع لك والله محال فما كل أوان يسمح بالمراد الزمان
والدهر فرص وأكثره غصص فإياك أن تفوت الفرصه فتقع في الغصة وأي
غصه ولا ينفعك الندم اذا زلت بك القدم وتفكر فيما أقول واستنبط دليل
هذه المسئلة من المعقول واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه وحسن استمرار ملك
بابتذال حرمه وتذكر يا أمير أمور قابوس بن وشمكير ولا زال ذلك الشيطان
يحسن له الرأي في قتل السلطان ويقول هذا الرأي أنفع لك وعليك أعود كما قال
بسطام أمير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان أحمد فرجع قرا يلوك عن
رأيه لما خدعه ودهاه فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله وكان قتل
قرا يوسف السلطان احمد ابن الشيخ أويس في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة
وثمانمائة والقصة مشهورة وكان السلطان رحمه الله كما ذكر أولا عالما فاضلا كريما
متفضلا محققا في التقرير مدققا في التحرير قريبا من الناس مع كونه شديد
البأس رقيق الحاشية أديبا شاعرا ظريفا لبيبا أريبا جوادا مقداما قرما هماما
نهاب الدنيا وهابها يهب الالوف وان بها بها يحب العلماء ويجالسهم ويأتي الفقراء
ويكايسهم قد جعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصه
لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الامم الغاشه وكان قد أقلع قبل وفاته عن جميع
ما كان عليه وتاب الى الله تعالى ورجع اليه وله مصنفات منها الترجيع على التلويح
وكان عنده نديم للفضل حريز بغدادي الاصل يدعى عبد العزيز وكان أعجوبة الزمان
وفي لطائف الشعر والنظم فارسيا وعربيا طاروقة الدوران سرقه من بغداد من
السلطان أحمد ابن الشيخ أويس فكان عنده رأس ندمائه ومن أهل الفضل
والكيس والقاضي كان يربي الفضلاء متطلعا من كل جهة الادباء والشعراء
وكان أهل الفضل والادب يفدون عليه من كل فج حتى صار مقامه كعبة الحاج
لا كعبة الحج وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصافه أحبه فاراد قربه فالتمسه من
مخدومه فلم تسمح نفس السلطان أحمد بفراق نديمه ثم اختشى من القاضي رهبه
وخاف اشتداد هيبه هربه فوصى به وحرج عليه وأقام له مرقبات يحفظونه من

خلفه ومن بين يديه فأرسل القاضي اليه رسولا ذكيا فناداه نداء خفيا وأجزل
له العطيه ووعده مواعيد سنيه وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح
كفرق ما بين البحرين العذب والملح والملوين المساء والصبح فلبى دعوته بالقبول
وواعده للخروج بعض القفول ثم خرج وطيب الحرس قد رقد والسلطان أحمد عند
الحريم قد رقد ووضع ثيابه على ساحل دجله ووجد الى داخل النهر في الطين رجله
ثم غاص في الماء وشمر وخرج من مكان آخر ولحق برفقائه واختفى بينهم اختفاء
اليربوع في نافقائه فطلبه السلطان أحمد ففتشوا عليه فلم يوجد فبالغوا في طلابه
الى ان وقفوا على ثيابه ورأوا آثار رجليه في الطين فلم يشكوا ان الموج اختطفه
فكان من المغرقين فكفوا اقدام السعي عن طلبه ولم يضيقوا على أحد بسببه ثم
بعد أيام يسيره أخرج غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي برهان الدين من
تحت الحصيره فغرقه في أبحر نواله وأسبغ عليه ذيل كرمه وافضاله فصار عنده
مقدما ولديه مبجلا معظما ألف له تاريخا عظيما سلك فيه مهيعا رفيعا وانتهج
منهجا منيعا ذكر فيه من بدو أمره الى قرب وفاته مع مواقفه ووقائعه ومصافاته
ووشحه بظريف كناياته ولطيف استعاراته وفصيح لغاته وبليغ كلماته
ورشيق اشاراته ودقيق عباراته مما تقف عنده فرسان اللسان وهو موجود في ممالك
قرمان في أربع مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره واستخرج دره ووقف
على تاريخ العتبي في اليميني السلطان محمود بن سبكتكين وأن هذا أحسن من ذلك
أسلوبا وأغزر ينبوعا وأعذب مشروبا مع أني لم أقف عليهما ولا وصلت لقصر
الباع اليهما ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد طيب هذه النائره انتقل الى القاهره
ولم يبرح على الابتهاج ومعاقرة راح الافراح حتى خامرته نشأة الوجد فصاح
وتردى من سطح عال فطاح ومات منه كسرا ميتة صاحب الصحاح والله أعلم

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين بعد قتل قرا يلوك السلطان برهان الدين

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في أولاده من يصلح للرياسه وينفذ أحكام
السلطنة والسياسه توجه قرا يلوك الى سيواس ودعا الى نفسه الناس فلم يجيبوه

واعتدوه وسبوه فأخذ بحاصرهم ويناكدهم ويضيق عليهم ويعاندهم فاستعدوا
عليه التتار فأمدّوهم وأتت طائفة منهم فنجدوهم فكسرهم قرايلوك ففروا
واستنجدوا طوائفهم وكرّوا وأقبلوا بالقضّ والقضيض وملأوا البقاع والحضيض
فلم يكن لقرايلوك على حربهم وقتالهم طوق فدخل عليهم من تحت وجاءهم من فوق
وتوجه الى تيمور وكان بعسكره في أذربيجان يجور فقبّل يديه وانتمى اليه
وسهّل بناديه الى هذه البلاد ويدعوه كما فعل معه الامير ايدكو حثّه في الدبره
فأجابه اجابة برصيصا بأمره

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس الى من يسلكون ومن يملكون

ثم ان أهل سيواس والاعيان من رؤسائها والاكياس تشاوروا فيمن يملكون
قيادهم والى من يسلمون بلادهم لسلطان مصر أم لابن قرمان أم السلطان الغازي
بايزيد بن عثمان ثم اتفق رأيهم السديد على المرحوم ابراهيم بايزيد فارسلوا اليه
قاصدا واستحضروه اليهم وافدا وأنشدوه وقد استنجدوه شعر

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

فتوجه من ساعته اليهم وقدم بالعساكر والجنود عليهم ومهّد القواعد والاركان
وولّى عليهم أكبر أولاده أمير سليمان وأضاف اليه خمسة أنفار من أمرائه الكبار
يعقوب بن أورانيس وحمزة بن بجار وقوج علي ومصطفى وداوادار واستمال خواطر
الاعيان وتوجه الى أرزنجان فهرب منها طهرتن الى كور وقصد في انهزامه
تيمور فاستولى ابن عثمان على مدينة أرزنجان وأخذ أموال طهرتن وذخائره
وحرمه ومكّن منهن سواسه وغلمانه وخدمه ورجع بالاموال والحمول واشتغل
بمحاصرة استنبول

فصل فنبّه قرايلوك وطهرتن من تيمور قائم الفتن وان كان المتحرك منه
في الفساد ما سكن حتى توجه الى هذه البلاد وعمّ فساده البلاد والعباد فوصلوا
الى ارزنجان واردين ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين فعصى عليه الملك الظاهر
لما كان قاساه أولا من طاعة ذلك الغادر فندم على اطلاقه أول مرة كما سيندم
يوم القيامة ولم تنفعه الندامة والحسرة وكان ذلك في سنة اثنين وثمانمائة والحالف

قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئة وتفرقت آراؤهم أيادي سبا ومال هؤلاء كل منهم الى دبور وشمال وصبا وأهملوا أمور الرعايا وغفلوا عن حلول الرزايا قلت شعر

من يهمل الأعداء ويأمن كيدهم * مثل النؤوم وراءه مستيقظ

قلت شعر والص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبقى كنوم الحارس

ثم قتل هو وتم ملك الأمراء بالشام المحروس أعيان الأمراء والأعلام الرؤس في شهر رمضان من العام المذكور وبيان هذه الأمور في كتب التواريخ مسطور قلت

واذا العرين تصرمت آساده * عوت الثعالب فيه آمنة الردى

ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من هذه الديار

ثم ان تيمور وجه عنان الباس نحو مدينة سيواس وبها كان كرامير سليمان ابن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان فأرسل يخبر أباه بهذا الأمر المهول ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر اسطنبول فلم يطق ان يعد اليه يدا لاحتياجه الى المدد وابعد المدى فاستحضر من جنده أهل النجدة وحصن المدينة والقلعة واستعد للقتال واستمد للحصار وفرق رؤس أمرائه على أبدان الأسوار وجهز تيمور من جيشه العيون ليتحقق ما هو عنده مظنون ولما كشفت جيوشه لامير سليمان رينها فر لما أن رأى عينها فعزم على التوجه الى أبيه واشترط مع أمرائه وذويه أنهم يحفظون له البلد ريثما يجهزهم العدد والمدد فلم يسعهم الا الموافقة والتخلف وعدم المرافقة فرام لنفسه الخلاص وأفلت وله حصاص فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهامية سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائة واما أهل سيواس رحله الشومى قال انا فتح هذه المدينة في ثمانية عشر يوما ثم أقام في محاصرتها ثلاثات الشهر وفتحها في اليوم الثامن عشر بعدما عتى فيها وعاث وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث وبعدان حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم ولما فرغت المقاتلة واستمكن من المقاتلة ربطهم في الوثاق سربا وحفر لهم في الارض سربا وألقاهم أحياء في تلك الأخاديد كما ألقى في قليب بدر الصناديد وعدد من ألقى في تلك الحفر كان ثلاثة

آلاف نفر ثم أطلق عنان النهاب وأتبع النهب الاسر والخراب وكانت هذه
المدينة من أظرف الامصار في أحسن الاقطار ذات عمارة محكمة وأماكن
حصينة ومآثر مشهودة ومشاهد للخير معهودة ماؤها رائق وهواؤها للامزجة
موافق وسكانها من أحسن الخلائق يتعانون التوقير والاحتشام ويتعاطون
أسباب التكلف والاحترام وهي متاخمة ثلاثة تخوم الشام وأذربيجان والروم
وأما الآن فقد حلت بها الغير وتفرق أهلها شذر مذر وانمحت مراسم نقوشها فهي
خاوية على عروشها

﴿ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام
الغرام على فرق ممالك الشام﴾

ولما استنقى سيواس لحا وتقيا واستوفاها حصادا ورعيا فوق سهام الانتقام الى
نحو ممالك الشام بجنود ان قيل كالجراد المنتشر فالجراد كان من أعوانها
أو كالسيل المنهمر فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها أو كالفراش المبثوث
فالفراش يحترق عند تطاير سهامها أو كالقطر الهامي فالديم تضمحل عند انعقاد
قتامها رجال توران وابطال ايران وغور تركستان ونمور بلخشان وصقور
الدشت والخطا ونسور المغول وكواسر الجتا وأفاعي خجند وثعابين ايدكان وهوام
خوارزم وجوارح جرجان وعقبان صغانيان وضواري حصار شادمان وفوارس
فارس واسود خراسان وضباع الجبل وليوث مازندران وسباع الجبال وتماسيح
رستمدار وطالقان واصلال قبائل خوز وكرمان وطلس أرباب طيالسة أصبهان
وذئاب الري وغزني وهمذان وأفيال الهند والسند وملتان وكباش ولايات اللور
وثيران شواهق الغور وعقارب شهرزور وحرارات عسكر مكرم وجندي سابور

شعر
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا

مع ما أضيف اليهم من أشرار الخدم وفواصل التراكمة والاوباش والحشم وكلاب
النهاب من رعاع العرب وهمج العجم وحثالة عباد الاوثان وأنجاس مجوس الامم
مالا يكتنفه ديوان ولا يحيط به دفتر حسبان وبالجملة فانه الدجال ومعه يأجوج
ومأجوج والرياح العقيمة الهوج فتوجه والعبر قائده والسعد رائده والقضاء

موافقه والقدر مساعده ومشيئة الله تعالى سابقته وارادة الله عز وجل فى تدبير العباد والبلاد سابقته فبلغ خبره البلاد الشاميه واتصل ذلك بالديار المصريه فورد مرسوم شريف الى نائب الشام وسائر النواب والحكام وغزاة الدين وحماة الاسلام أن يتوجهوا الى حلب ويقيموا عليه الجاليب ويجتهدوا فى دفعه ويتعاونوا على منعه فتجهز نائب الشام سيدى سودون مع النواب والعسكر ورحلوا الى حلب سنة ثلاث وثمانمائة فى شهر صفر ووصل تيمور الى بهسنا فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليله فأخذها ولكن كف عنها اللطيفة ربانية تيمور وواليه ثم وطا مدينة ملطية فأبادها ودك أطوادها ثم حل كعبها المشوم بقلعة الروم وكان نائبها الناصرى محمد بن موسى بن شهرى وسنذكر ماجرى له معه مشبعا وكيف اجتهد فى جهاده وسعى فأقام بها يوما فلم ينتج له روما ولم يحتفل بها حصارًا وهياج وقال هى أهون على من تبالة على الحجاج وذلك انه لما رآها من بعيد قال فيها ماقاله من لم يصل الى العناقيد والحق انه لما رآها قال ان الله لما بناها ادخرها لنفسه واصطفاها ثم انجاب ذلك السحاب الى عين تاب وكان نائبها اركماس رجلا شديد البأس فحصنها واستعد وباشر القتال بنفسه واستبد ثم خرج فهرب الى حلب فلم يرسل وراءه الطالب

(ذكر ما أرسل من كتاب وشنيع خطاب الى النواب بحلب وهو فى عين تاب)

ثم أرسل الى النواب قاصده وهو فى عين تاب وصحبته مرسوم بأنواع التفخيم موسوم وبأصناف التهويل مرقوم ومن جملته أن يطيعوا أوامره ويكفوا عن القتال والمشاجره ويخطبوا باسم محمود خان وباسم الامير الكبير تيمور كوركان ويرسلوا اليه اطلاميش الذى كان عنده فخان واقتنصه التركمان وأرسلوه الى مصر لحضرة السلطان واطلاميش هذا زوج بنت أخت تيمور وكان جاء الى الشام قبل وقوع هذه الشرور وفيما بين ذلك أمور كان لها بطون فصار لها ظهور وكان أولا فى مصر محبوسا ونال ضرا وبوسا ثم صار معززا مكرما معظما مقدما وكان تيمور عليه مغضبا فجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا ثم شرع يقول وهو يجول فى ميدان هذه الرسالة ويصول انه هو أولى بسياسة الانام وان من نصبه هو الخليفة والامام

وانه ينبغي أن يكون هو المتبوع والمطاع وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع وانى لغيره درية الرياسه وكيف تعرف الجرا كسة طرق السياسه مع كثير من التهويل والحشو والتطويل وكان يعلم ان أجابتهم سؤاله محال وانه طلب منهم ما لا ينال ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال فلم يجيبوه بالمقال ولكنهم قضوا امراده بالفعال ولم يلتفت سيدى سودون لما يقول وضرب على رؤس الاشهاد عنق الرسول واستعدوا للمبارزه واستعدوا للمناجزه

﴿ذكر ما تشاور عليه النواب وهم في حلب وتيمور في عين تاب﴾

ثم ان النواب والامراء ورؤس الاجناد والكبراء تشاوروا كيف يكافحونه وفي أى ميدان يناطحونه فقال بعضهم عندى الرأى الاسد ان نحصن البلد ونكون على أسوارها بالرصد كبرس بروج افلاكها حراسة السماء بأملاكها فان رأينا حواليها من شياطين العدو احدا أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا وقال آخر هذا عين الحصر وعلامة العجز والكسر بل نغلق حواليها ونمنع العدو ان يصل اليها ويكون ذلك أفسح للمجال وأشرح للجدال ثم ذكر كل من أولئك ما عن له في ذلك وخلطوا غث القول بسمينه وساقوا هجان الرأى مع هجينه فقال الملك المؤيد شيخ الخاصكي وكان ذا رأى مسدد وهو اذ ذاك نائب طرابلس يا معشر الاصحاب وأسود الحرب وفوارس الضراب اعلموا أن أمركم خطر وعدوكم داهر هصر داهية دهياء معضلة عضلاء جنده ثقيل وفكره وبيل ومصابه مرض طويل فخذوا حذركم واعلموا أن دفعه بحسن الحيلة فكركم فان صائب الافكار يفعل ما لا يفعله الصارم البتار ومشاورة الاذكياء مقدمة الفكر ومباحثة العلماء مقدمة النظر ان هذا البحر يا معاشر وجيشه عددا كالقطر والذر وهو ان كان كالوابل الصيب لكنه اعمى لانه في بلادنا غريب فعندى الرأى الصائب ان نحصن المدينة من كل جانب ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد وكاننا له مراقب مراصد ثم نحفر حولنا الخنادق ونجعل أسوارها البيادق والبوارق ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق الى الاعراب والاكراد والتراكمة معاشر البلاد فيتسلطون عليه من الجوانب ويثب عليه كل راجل وراكب

ويصير مابين قاتل وناهب وخاطف وسالب فان أقام وانى له ذلك فى شر مقام وان تقدم الينا صالحناه بسواعد الاسنة وا كف الدرق وأنامل السهام وان رجع وهو المرام رجع بخيبه وأقيمت لنا عند سلاطيننا الحرمة والهيبه وان كان بسلطانه علينا مرج فلنا بحمد الله سلطان وفى سلطاننا فرج وأقل الاشياء ان عاده وأنحرز من جنده فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده وهذا الرأى الاسد بعينه كان رأى شاه منصور الاسد فقال تمرداش وهو نائب المدينة ماهذه الآراء مكينة ولاهذه الافكار رصينه بل المناضلة خير من المطاولة والمناجزه فى هذه المواطن قبل المحاجزه ومقام المنازله لا تجدى فيه المغازله ولكل مقام مقال ولكل مجال جدال وهذا طير فى قفص وصيد مقتنص فاغتنموا فيه الفرص وناوشوه بالحرب وسابقوه بالطعن والضرب لئلا يتوهم فينا الخور ويستنشق من ركود ريحنا عرف الظفر فاجمعوا أمركم واحتالوا ولا تنازعوا فتفشلوا وانهضوا وثابروا واصبروا وصابروا فأنتم بحمد الله أهل النجده وأولو الباس والشده وكل منكم فى فقه المناضلة مفن ومختار وعلمه فى افاضة دماء الاعداء منار وله فى ذلك كفايه وهدايه ونهايه وغيره له بدايه وهو لجمع الاسلام كنز وافى وجامع كاف ووقايه نحو السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهى فى لفظها كافيه شافيه وتصرف أسنان أسنتكم فى مضاعفة كل ذى فعل معتل فهى فى تصريف عللها شافية كافيه فان كسرناه فزنا بالمنال وكفى الله المؤمنين القتال وتلك من الله معونه وقد كفينا عساكر المصريين المؤنه وكان ذلك أعلى لحرمتنا وأقوى فى ورود النصر لشوكتنا وأذكى لريح نصرنا وأزكى وأبكى لعين السخينة وأنكى وان كانت والعياذ بالله الاخرى فلا علينا اذ بذلنا مجهودنا وأقمنا عذرا وتخدومنا يدرك ثارنا ويحيى آثارنا فتوكلوا على الله العزيز الجبار واستعدوا لملاقاة هؤلاء الاشرار واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار ولازال تمرداش يحسن لهم هذا الرأى اللاش حتى أجمعوا عليه واتفقوا على الخروج اليه لانه كان صاحب البلد وعلى كلامه المعول والمعتمد وكان تمرداش قد خالف الجمهور ووافق فى الباطن تيمور وهذه كانت عادته وعلى المراوغة جبلت طينته فانه كان كالشاة العابره والمرأة العاهرة الغادره اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت فى أحدهما جنانه منه

ومكرا بل يعبر الى هذا امرة والى هذا أخرى مع انه كان صورة بلا معنى ولفظا بلا مجرى فاعتقد تيمور رحابيه وفوض الامور اليه وكذلك عساكر الشام وجنود الاسلام ثم حصنوا المدينة وأرصدوا أبوابها وضيقوا اشوارعها ورحابها وكانوا بكل حارة ومحلة أصحابها وفتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناة

(ذكر ما صب من صواعق البيض واليلب على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب)

ثم ان تيمور نقل الركائب فوصل في سبعة أيام الى حلب من عين تاب فحل بذلك الجيش تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس وبرز من ذلك العسكر طائفة نحوا من ألفي نفر فتقدم لهم من الاسود الشامية نحو من ثلثمائه فقلوهم بالصفاح وشلوهم بالرماح فبددوهم وطردوهم وصدروهم وشردوهم ثم أصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف الى مصاف الثقاف فتقدم اليهم طائفة أخرى ارسالا وتترى فالتحم بينهم النطاح واشتبكت بين الطائفتين أنامل الرماح فازدحموا واقتحموا واشتدوا والتحموا ولازالت أقلام الخط في ألواح الصدور تخط والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاعلام تقط ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط والارض من اثقال جبال القتال تأط حتى تجلى ليل الظلام والقتام وانطشا فتراجعوا وقد أعطى الله النصر لمن يشا وجرى من دماء العدو مع كل فريق نهران وفقد من العساكر الاسلامية نفران ثم أصبحوا يوم السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية والعساكر الاسلامية السلطانية بالعدة البالغة والاهبة السابغة والخيول المسومة والرماح المقومة والاعلام المعلمة ولم يعوز أوائك الصناديد سوى شمة من النصر والتأييد فنحوا قصده وقصد وارده وصده وأقبلت عساكره والسعد المعهود طائره والقضاء موازره والقدر مظاهره بالجنود المذكوره والجيوش المعهودة المنصوره تؤمهم الاقبال وأفيال القتال واذا به قد أضمر لهم الويل وهي عساكره تحت جنح الليل ثم قدام وأرسل عليهم رقابلهم بعقدمتهم وشغلهم بأوائلهم وأحاط الباقون بهم فأتوهم من بين

ايديهم

أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم ومن شمائلهم فمشى عليهم مشي الرمح على الشعر
وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ولما
اهتش أمر الشاميين وهاش وجاشت الوحشة والاحتياش وتهارشت الاسود
وانتطحت الكباش فرت الميمنة وكان رأسها تمرداش فانكسر العسكر وطاش وأخذ
الابطال من الدهشة الارتعاش وغلبتهم الحيرة والانبهار فلم يلبثوا الا ساعة من
نهار ثم ولوا الدبر وصارت لاقلام رماحه ظهورهم رسم الزبر واستمروا امامهم
يتواثبون وعسكره وراءهم يتخاطبون بمعنى ما قال شعر

جعلنا ظهور القوم في الحرب أوجها * رقابهم اثرا وعينا وحاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح وهم ما بين مهشوم ومجروح والسيوف تشقهم
والرماح تدقهم وقد سالت بدمائهم الاباطح ونفر من سائر جهاتهم كل كاسر وجارح
فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا وحصروا فيه يدا واحدة وتكردسوا ولازال
يدوس بعضهم بعضا حتى صارت العتبة العليا من الباب أرضا فانسدت الابواب
بالقتلى ولم يمكن الدخول منها أصلا فتشتتوا في البلاد وتفرقوا في المهامه والاطواد
وكسر باب انطاكية المماليك الاغتام وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام فوصل فلهم
الى دمشق في أبشع صوره وحكوا في كيفية هذه الوقعة أشنع سيره وصعد النواب
الى قلعة حلب وتحصنوا فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا ونزلوا
بواسطة تمرداش اليه وقد غسل كل منهم من الحياة يديه ثم انه مشى على هيئته مع
وقاره ورزانته وسكينته ودخل حلب ونال منها ما طلب وفاز بالروح والسلب
ولما نزل النواب اليه قبض على سيدي سودون وشيخ على الخاصكي وأما تمرداش
فخلع عليه وقبض على التونبغا العثماني نائب صفد وعلى عمر بن الطحان نائب غزة
وجعل الكل في صفد وشرع في استخلاص الاموال وضبط الاثقال والانفال
وقد ملأت القلوب هواجس هيبته وانتشر في الآفاق شرار صولته ثم انه لم يكتف
بما أراقه من النفوس حتى بنى المياذن من الرؤس وسبب ذلك ان ذا قرابة
البريدي الذي أرسله الى حلب وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب ذكر تيمور
بقصته وأراد القود من أهل حلب لذي قرابته فأجاب سؤاله ومكنه فيمن يختار
منهم ان يفعل فيه ما استحسنه فقتل طائفة منهم وبنى من رؤسهم كذا وكذا ميذنه

(زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة)

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر تيمور ثمانمائة ألف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال مانصه بحروفه وكان قد أبدع بجماعة تمرلنك وطراش ته مدة اقامته على عينتاب وقتل منهم جماعة وأرسل رؤسهم الى حلب وكسر تومانا كان جهزه اليه أقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بأنفسهم في الفرات وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت من أقصى بلاد سمرقند ولم يقف أحد أمامي وسائر ملوك البلاد حضروا الي وأنت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان أشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لنري من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلادك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك ان أبيت الحضور فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كلام تمرلنك فنزل اليه أوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه تمرلنك شدة حزم ورجع عن حصاره وأخذ في مخادعته وملاطفته وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لأجل حرمته فلم ينخدع منه وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا وأخذ المشار اليه في أواخره قتلاهم بأواخرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وأنشد فيه لسان الحال شعر

هذا الامير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره

ولى تمرلنك مكسورا أوائله * منه مرارا ومقهورا أواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ المحمودي وعسكر حماة

مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى المقر السيفي اختلافهم اذن لأهل حلب في اختيارهم والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأي فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي عشر شهر ربيع الأول زحف تمرلنك بجيوشه وفيلته فولى المسلمون نحو المدينة وازدحموا في الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان أهل حلب قد جعلوا غالب أموالهم فيها وفي يوم رابع عشر شهر ربيع الاول أخذ القلعة بالأمان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا ساعة ثم أمر بجلوسنا وطلب من معه من أهل العلم فقال لأميرهم عنده وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفي والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التي فتحتها فلم يفصحوا عن جواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا أعلمكم وأفضلكم وليعرف ما يتكلم فاني خالطت العلماء ولي بهم اختصاص وألفة ولي في العلم طلب قديم وكان بلغنا عنه انه يتعنت على العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم أو تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عني هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فوجم الجميع وقلنا في أنفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه وأنا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين موسى الانصاري بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زماني قلت هذا عالم قد اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه في هذا المقام

ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك ورأى تمرلنك الى سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف أجاب قلت (جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد فقال تمرلنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله اني لا اقتل أحدا قصدا انما أنتم قتلتم أنفسكم في الابواب والله لا أقتل أحدا منكم وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فاسرت الى القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم أفرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين القفصي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب لذلك غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وأنتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه أجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ عبد الجبار يسأل عني وعن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف الدين هذا رجل فصيح فسألني تمرلنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن أربعا وخمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين وأنت كم عمرك فقال أنا أكبر منه بسنة فقال تمرلنك أنتم في عمر أولادي أنا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب وأقيمت الصلاة وأمنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبي قائما يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة وأخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى أخبرني بعض كتابه انه لم يكن أخذ من مدينة قط ما أخذ من هذه القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من

العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومنجر ومسجون وضربهم عليه ونزل تمرلنك
من القلعة وأقام بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنواب في
خدمته وادار عليهم كؤس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر
وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر ربيع
الاول ثم طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين وأعاد السؤال عن علي ومعاوية فقلت
له لا شك ان الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي فقال تمرلنك قل علي
على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان
كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته
فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزول
عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى اصحابهما او من ينضم اليهما ولا تمكنوا
أحدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في
المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة ففعلوا ما أوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من
القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي
اني أخاف عليكما الذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا أمر بسوء فعل بسرعة
ولا يحيد عنه واذا أمر بخير فالامر فيه الى وليه وفي أول يوم من ربيع الآخر برز الى
ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وثاني يوم أرسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون
في أمر مريج وقطع روس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك أرسل يطلب من عسكره
روسا من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي أخذها فلما وصلنا اليه
جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألنا عن طلبنا فقال يريد يستفتيكم في
قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت هذه روس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير
استفتاء وهو حالف ان لا يقتل منا أحدا قصدا فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم
سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من أكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا
وجاءنا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار روس المسلمين وانما أمر
بقطع روس القتلى وان يعمل منها قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا امنه غيرما

أرادوا فإنه قد أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق
فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة فى الاقامة بها اذ أخذ الامير وهى أحسن الله اليه فى
الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد أحوال الناس مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا
الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك
ومرة تجىء بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد أن قاتل
مع تمرلنك وقعة عظيمة أشرف تمرلنك منها على الكسر والهزيمة وانما حصل من
بعض أمرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه ودخل آخذا بالحزم ودخل تمرلنك الى
دمشق ونهبها وأحرقها وفعل فيها أفوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل أحضر له منها
مال ولا جاوز فلسطين وعاد فمر بحلب راجعا الى بلاده ولما كان سابع عشر شعبان
من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام الى الجبول شرقى حلب ولم يدخلها بل
أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبنى الامير عز الدين وكان
من أكبر أمرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت
وكثيرا وروح معكم الى مشهد الحسين وأقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا أحد وكان
القاضى شرف الدين لا يفارقنى فطلبنا باقى القضاة واجتمع معنا نحو من ألفى مسلم
وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه وأقمنا ننظر الى النار وهى تضرم فى أرجائها
وبعد ثلاثة أيام لم يبق بها أحد فنزلنا اليها فلم نر بها أحدا فاستوحشنا وما قدرنا على
الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك فى الطرقات من ذلك شعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا أولا بأول ومات سودون بالبطن معه
فى قبة يلبغا واستقر فى نيابة دمشق تنبكرى وردى والله أعلم هذا ما انتهى من كلام
ابن الشحنة كما وجدته

﴿ذكر ورود هذا الخبر الذى أقلق ووصول استنبغا الدوادار وعبد القصار الى جلق﴾

فورد من حلب استنبغا الدوادار والفتح المعمار المدعو بعبد القصار وقالا معاشر
المسلمين الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين من يقدر على جواد فيطلب لنفسه

طريق النجا ومن أطاق أن يشمر ذيله فلا يبيتن فى دمشق ليله ولا يغالط نفسه بالمداهنه فليس الخبر كالمعاينه فتفرقت الآراء واختلفت الاهواء وماج أمر الناس موجا وتمزقوا كما هو دأبهم فوجا فوجا فبعض الناس انتصح وجهز أمره وانتزح وبعضهم كابر وأصر وكشر أنيابه لاستنبوغار عبد القهار واهر وارادوا رجم هذين الناصحين وان يسقوهما كأس حين وقالوا انما أردتما بذلك تبديل الناس وتشريدهم واجلاءهم من أوطانهم وتجريدهم وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والا فالامن حاصل والسلطان بحمد الله واصل والنواب فى حلب كانوا شرذمة قليله ولم يتم لهم معه الفكر والحيله مع انه حصل من بعضهم مخامره ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره ولم يكن لهم رأس فلا تأخذوا فى هذه المسئلة بالقياس وأما عسا كر مصر فانهم كاملوا العدة وسابغوا العدة وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة فقال نحن بعد الانبياء والتى من شره سلمنا وما شهدنا الا بما علمنا وكل منا أفصح عما أدى اليه اجتهاده وأبان ووالله انه فى نصيحته المسلمين لمذير العرفان وقد نصحنا لو كان كنتم مطيعين ولكن لا تحبون الناصحين واستمر أمر الناس فى الترديد والتشاعب والتفرق والتبديل والتشاغب فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه وتوجه بعض الى الديار المصريه وبعض تشبث بأذيال الحروف العاصيه وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصيه

(ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهره بجنود الاسلام والعساكر)

ثم ان السلطان خرج من غير توان وتوجه بالعساكر والاستعداد التام الى جهة بلاد الشام فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم وزال استيحاشهم وورد غالب من كان برح منهم وانفرج الكرب والضيق عنهم وأما أولو العزم وذووا الرأى السديد والحزم فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان بل طلبوا لنفسهم الأمان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان وكأن أنامل الدهر الدائر كتب لهم على مرآة الخاطر ما أنشده الشاعر شعر

ألا انما الايام أبناء واحد * وهذى الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذى مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اختفى ما في الزمان الآتي * فقس على الماضي من الاوقات

(فصل) ولما انجز تيمور امر حلب ضبط اثقالها وما اخذه منها من مال وسلب ووضعه في القلعة ووكل به بعض امرائه من ذوي الشجاعة والنجدة وهو الامير موسى بن حاجي طغاي وكان ذا عزم شديد ورأي وتوجه بذلك الجيش الطام غرة شهر ربيع الآخر الى جهة الشام فوصل الى حماه ونهب ما حوت يداه ولم يحتفل بامر نهب واسير ولا باسراع في مسير بل سار رويدا وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا

(حكاية) رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ووصلنا الى حماه بالجامع النوري بها من الجانب الشرقي على حائط القبلي نقشا على رخامة بالفارسي ما ترجمته (وسبب تصوير هذا التسطير) هو ان الله تعالى يسر لنا فتح البلاد حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم ارسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك ان تنعقد المودة بين الجانبين وتتأكد الصداقة من الطرفين ثم بعد ذلك عدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم الى سلطان مصر برقوق فحبسهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماه في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة

(فصل) ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها التشتيت وتبديد ووهبها السيدي خالد بن الوليد قلت بديها شعر

ألا لا تجاور سوى الخير * ين أحيا وكن جارهم في القبور

ألم تر حمص وسكانها * نجوا من بحار بلايا تمور

لأنهم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لا يبور

وخرج اليه شخص من آحاد الناس يدعى عمر بن الرواس فاستجاب خاطره وكانه قدم اليه تقدمة فاخره فولاه امور البلد وركن اليه واعتمد وولى قضاء تلك البلاد رئيسا يدعى شمس الدين بن الحداد ونادى بالامان للقاصي والدان وتبايعوا بها

وتشاوروا وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا ثم ان نائب الشام ضعف عنه ومات
على قبة يلبغا ونائب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى فوصل الى مدينته واستقر
في ولايته فاضطرم غضبا واستشاط لهبا واشتعل غيظ غيظه وقتل كل من
من ركاه بحفظه وأسر بهم سقر وكانوا ستة عشر وأما تمرداش فانه داراه ومارى
وهرب منه في قارا واستمر علاء الدين الطنبغا العثماني نائب صفد وزين الدين
نائب غزة شريرهما معه في صفد ثم ساروا وما ارتبك حتى نزل على بعلبك فخرج
أهلها ودخلوا عليه وتراموا طالبين الصلح بين يديه فلم يلتفت الى هذا المقال
وأرسل فيهم جوارح النهب والاستئصال ثم ارتحل بجريا ذلك البحر الزخار
والسيل التيار والطوفان الثرثار حتى أشرف على دمشق من قبة سيار ووصلت
العساكر المصريه والجنود الاسلاميه وقد ملؤا الفضاء وأشرق الكون منهم
وأضاء فبالق سهامها الهب قلب من نوى الخلاف فالقه وصواعق سيوفها في
دقاص كل عاص صاعقه وأسنة رماحها الزرق سماء الارواح من أرض الاشباح
فاتقه وقد طلبوا الاطلاب وحزبوا الأحزاب وعبوا الميمنة والميسره ورتبوا
المقدمة والمؤخره وسووا القلب والجناح وملؤا البطاح والبراح وساروا بالقانب
المكتبه والكتائب المقنبه والكواكب المكوكبه والمراكب الموكبه
والمراتب المقربه والمقربات المرتبه والسلاهب المجنبه والنجائب التي هي على
أكل اللحم مستاهبه وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم ومن النسور القشاعم

قال شعر

وربت ذي لجب كالطود ذي حنق * كأنه البحر في أثناه غابات
بحران في كل موج منهما اسد * يلاعب الموت في كفيه حيات
كل يرى العين معناه وصورته * عند النزال وان ينزل وشطفات
ان يسر تلق السما في الارض دائرة * أو سار تهتد ارضا منه غبرات

وقد تنكبوا حنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل النواهل
وثبتوا حيث بتوا وكأنهم خلقوا من كواهل الصواهل قال شعر

كأن الجوشن لازوردي * تزركش نقشه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا * ارتك صفاحه لم الصباح

كأن نجومه الشهاب ترمى * شياطين الكماة لدى النطاح

ولا زالت أفواج هذه الامواج على هذا المنهاج متلاطمه وأثباج هذا البحر الهجاج تحت العجاج متصادمه وكل ينادى بطريق المفهوم وما منا الا له مقام معلوم فوصلت غيلان الوغى الى قبة يلبغا يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وثمانمائة من الهجره فنزل كل من العساكر ميمنة وميسره واستقرت العساكر والامراء الاسلاميه فى البيوت والمساكن ونزلت الجنود التتاريه غربى دمشق من دار بيارالدولة وما يلى تلك الاماكن ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد ثم أخذ كل من الجيشين حذره وتجهز للمقابلة والمقاتلة أمره وحفروا الخنادق وسد كل على الآخر أفواه المضائق وشرعوا فى المهاوشة والمناوشه والمهارشة والمعارشه ثم أمر السلطان العساكر بالبروز من المدينة الى الظاهر وجعل يخرج من المدينة رؤساء أعيانها وتخارج المقاتلة الى سلطانها والأطفال الصغار والرجال يجأرون الى الجبال وينادون بحرقه كل ليلة فى الازقه يا الله يا رحمن انصر مولانا السلطان والناس فى اضطراب وحركات يستنزلون النصر والبركات ويستغيثون الليل والنهار باجتهاد دون الاسوار واستشهد من رؤساء البلد فى تلك الأيام قاضى القضاة برهان الدين الشاذلى المالكى الحاكم بالشام وشلت يد قاضى القضاة شرف الدين عيسى المالكى بضربة حسام وجعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه وربما غنموا منهم من ناطق وصامت فيشهرونه

﴿ذكر واقعة وقعت ومعركة صدمت لوامانعت﴾

ثم فى بعض الأيام تقدم من أولئك الاغتام نحو من عشر آلاف وزحفوا الى ميدان المصاف فنهض لهم من العساكر الشاميه نحو من خمسمائه ثم اتبعهم الامير استنباى فى نحو من ثلاثمائه شعر

أسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا أرسوا بحار اذا سروا

شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا هموا

صقور اذا انقضوا غور اذا سموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم اخطار تسحب قدود الملاح لخطراته وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته
وحنية تضاهي حاجبه وسهام في تشبهها بأجفانه صائبه وترس لين الملمس اذا
تغطى به رأيت البدر على شمس وعليه خوده كأنما من انار وجنته مأخوذه
أو من بوارق طلعته مفلوذه اذا نظر الطرف اليها أخذه الانبهار يكاد سنا برقها
يذهب بالابصار ولبوس أشبه لابسه وصار ملابسه ظاهره حرير ناعم كبشرته
وباطنه حديد كقلبه في قوته وقد امتطوا الفحول من نجائب الخيول فكان
بدور تلك الجموع مع الرماح الملتوية الاسنة عروس تجلى تحت الشموع وتوجهوا الى
حومة الوغى وتلاقوا في وادي خلبة بلبغا

﴿فصل﴾ ولما رأت هذه الأسود تلك الذئاب والكلاب كانوا كالمؤمنين
وقد رأوا الاحزاب فبان منهم صحيح الضرب وعليله وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
واحاط أولئك بهؤلاء لكثرة الغلبه وادار وا فرضهم على هذه الجمهور الدائرة المجتلبه
وحين صار وافي خباء هذه الدائرة كالعروض اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة
بالحرب العضرض فأول ما اضمروا لهم في ذلك الزحف قطف الراس وخبل العقل
وقطع الكف فصلموا بالرمح الطويل عقلهم وثلموا بالرشق المديد شكلهم
وبتروا بالعضب البسيط اوتادهم وشتروا بالسهم السريع كاملهم فخذوهم
وقعوهم وخزموهم وشعثوهم وثرموهم وجمعوهم ووقصوهم وعصبوهم وعقوهم
وخزلوهم ونقصوهم فردوا صدورهم على الاعجاز وسدوا على حقيقة الخلاص منهم
المجاز فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذرف ومجزوء ومنهوك وموقوف
ورجع استثناي المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك سببهم واجتث بضربه
المتقارب المتماسك ثقلهم وحسبهم وتسبيغ سوابقهم بالنصر مرفل وبالتمكين
التام مذيل وبيت دائرتهم المتفقة آمن من العلل وعروضه وضربه سالمين
الزحاف والعلل

﴿ذكر ما افتعله سلطان حسين ابن أخت تيمور من المكر والمين﴾

ثم ان سلطان حسين وهو ابن أخت تيمور اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان
وفي باطنه أمور وكان شابا ذا شجاعه وعنده طيش ورقاعه وأظهروا بقدومه

الفرح واستشعروا النصر والمرح وكان في رأسه بحة شعر فازالوه وخلعوا عليه وفي زيهم اظهروه

﴿فصــل﴾ ثم ان تيمور اشاع انه ثار وتهتم فرحل قليلا ورجع القهقرى وتحكم كل ذلك من مكائده وحبائل مصائده وبيان ذلك أنه بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصريه وانهم سيفرون فيفرقونه اذذاك فاظهر الخون وشيع انه راحل ليثبتهم ومن الفرار يثبطهم فلما عزموا على الفرار لم يبق لهم ثبات ولا قرار

﴿ذكر ما نجم من النفاق بين العساكر الاسلاميه وعدم الاتفاق﴾

وكان أتابك العساكر وكافل الملك الناصر الامير الكبير باش بيبك وتحت يده الاكابر والاصاغر والجند وان كان عدده كثيرا والجيش وان ترأى عدده غزيرا لكن كان كل منهم أميرا ولم يكن شيء منهم سوى الرأس صغيرا افتشتت آراؤهم وتصارمت أهواؤهم وانتقلت اشعار شعارهم من الدائرة المؤتلفه الى الدائرة المختلفه ونقل كل منهم من وزن بيته الى أعاريض وأخذ في عرض صاحبه بالمقاريض وظهرت في تلك الساعة آيات الرحمن في اختلاف الألسنة والالوان وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع وسلطوا على مرعى هزيلها الغر الغضوب والسبع ولحق في سنده هذا الحديث الاصاغر بالاكابر والاسافل بالاعالى والاوائل بالأواخر وصاروا كما قال الشاعر شعر

تفرقت غنمي يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وتوجه منهم رؤس الى القاهره تاركا كل منهم قوته وناصره وهم قوانيس ورقى نفيه منهم معرفة السياسه والدربة في سلوك طرائق الرياسه

﴿فصــل﴾ ولما علم الغابرون ما فعله السائرون لم يسعهم غير تشمير الذيل واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف من قوم أو أخذته سنة أو نوم وقع في الشرك وهوى به الى أسفل الدرك وكان الناس في الليل والنهار ملازمين للاقامه على الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج ففي بعض الليالي صعد الناس الى مكان عالى واذا بأماكن مخيم السلطان قد ملئت من

النيران ولم يعرف أحد ما الخبر غير أن الدنيا ملئت بالشر والشرور وأصبحوا وقد خلت الديار ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار فخشعت أصواتهم وسكنت حركاتهم فجعلوا يتهافتون وفيما بينهم يتخافتون وماج الشر واضطرب وقال الناس السلطان هرب فانقصم ظهر الناس وأيقنوا حلول الباس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم وتقطعت بهم الاسباب وشمل الخلائق أنواع العذاب وضاقت الحيل كالصدور وتخبطت الأوامر والأمور

﴿فصــــل﴾ ثم ان تيمور حمد ربه ورحل من مكانه ونزل القبه وألقى عصاه ونام مستريحا على قفاه ونادى بعض باقات شعر

الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد أدبر والمأمول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله وبث في الاطراف رجله وخيله وأرسل الطلب وراء من هرب وصار كلما أتي بأحد من أجناد الرجال أمر بالقائه بين يدي تلك الأفيال فتعمل معه الافيال في تلك الملاه ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكاه

﴿فصــــل﴾ وأما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم لانه نشز نشوز الغيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادي التيم فانتشرت شياطين تيمور في الارض وملأت الطول والعرض ووصلت غاراتهم الى أطراف البلاد وضواحيها وعامة القرى ونواحيها وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها وتقدموا الى المدينه وكانت كما ذكر بالأهبة حصينة وبأنواع الاستعداد مكينة مسدولة الحجاب مغلقة الأبواب فتمنع أهلها عليهم ولم يسلموها اليهم رجاء أن يشموا من النجدة الارج أو يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج فاستمروا على ذلك نحوا من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها أقشعت وتجلت

﴿ذكر خروج الأعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الأمان﴾

ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من المدينة الكبراء والموجود من الأعيان والرؤساء وهم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي

وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي
وقاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن أبي
الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وكان منصب
الوزارة اذ ذاك له ايضا في الجملة والقاضي شهاب الدين الحسباني الشافعي والقاضي
شهاب الدين ابراهيم بن القرشية الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فأما القاضي الشافعي
وهو علاء الدين بن أبي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو
برهان الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان وطلبوا منه
الأمان بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق ونظمت كلمتهم في سلك الوفاق

﴿فصل﴾ ولما أقلع السلطان بالعساكر المذكورون وقع في شرك العساكر
التيمورية قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون وكان من أعلام الاعيان وممن
قدم مع السلطان فلما قفل السلطان وانفرك كأنه كتاب الا فرقع في الشرك وكان
نازلا في المدرسة العادلية فتوجه هؤلاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضية فوافق
فكره فكرهم فشاركوه في ذلك أمرهم وما وسعهم الا استصحابه معهم وكان
مالكي المذهب والمنظر أصمعي الرواية والخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة
ظريفة وبرنس كهو رقيق الحاشية يشبه من دامس الليل الناشية فقدموه
بين يديهم ورضوا بأقواله وأفعاله حكما عليهم وحين دخلوا عليه وقفوا بين يديه
واستمروا واقفين وجلوا خائفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم هش
اليهم ومتضاحكا عليهم وجعل يراقب أحوالهم ويسبر بمسبار عقله أقوالهم
وأفعالهم ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا قال هذا الرجل ليس من
هاهنا فانفتح للمقال مجال فبسط لسانه وسبق ذكره ما قال ثم طووا بساط الكلام
ونشروا سماط الطعام فنكتوا الالاء من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به
يليق فبعض تعفف من ذلك تنزها وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث ولها
وبعض مد يده وأكل وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل والى الاكل أرشدهم
وناداهم وأنشدهم شعر

كلوا أكل من ان عاش أخبر أهله * وان مات يلق الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين قاضي القضاة ولي الدين وكل ذلك وتيمور يرمقهم

وعينه الخزراء تسرقهم وكان ابن خلدون أيضا يعصو بمحوتيه ورا الحدق فاذا نظر
اليه أطرق واذا ولى عنه رمق ثم نادى وقال بصوت عال يا مولانا الامير
الحمد لله العلي الكبير لقد شرفت بحضوري ملوك الانام وأحييت بتواريخي
ما ماتت لهم من الايام ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا وحضرت كذا وكذا
سلطانا وشهدت مشارق الارض ومغاربها وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها
ولكن لله المنة اذا امتد في زماني ومن الله علي بان أحياني حتى رأيت من هو
الملك على الحقيقة والمالك شريعة السلطنة على الطريقة فان كان طعام الملوك
يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف
فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا وأقبل بوجه الخطاب اليه وعول في ذلك
دون الكل عليه وسأله عن ملوك العرب وأخبارها وأيام دولتها وآثارها
فقص عليه من ذلك ما خدع عقله وخلبه وسلبه وكان تيمور في
سير الملوك والامم أمه وأبا التاريخ شرقا وغربا وأمه وسنذكر هذه المسان
بديع بيان

﴿فصل﴾ وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك المصير واذا بالقاضي صدر الدين
المناوي في أيديهم أسير وكان قد تبع السلطان في الهرب فادركه في مسلون
الطلب فقبضوا عليه وأحضروه بين يديه واذا هو بعمامة كالبرج وأردان
كالخرج فتخطى الرقاب وجلس من غير اذن فوق الاصحاب فاشتاط تيمور غضبا
وملأ المجلس لهبا وانتفخ سحره وهيج غيظ المحرور وشخر ونخر وتحرك حنقه وزخر
وأمر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضي صدر الدين فسحبوه سحب الكلاب
ومزقوا ما عليه من ثياب وأوسعوه سبا وشتما وأشبعوه ركلا ولكما ثم أمرهم
بتشديد أسره وتجديد كسره وترادف الاساءة اليه وتضاعف الكسرات على رغم
التعصب عليه وأخرج اخراج الظالم يوم يولي مدبرا ماله من الله من عاصم ثم تراجع
تيمور الى ما كان فيه من ترتيب غوائله ودواهيه فالبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه
وأقامه عنده في عزة ورفعه ثم ردهم منشرحي الصدور في دعة وسرور وفي خاطره
شرور وأمور تمور فساروا وقد حاروا قلت شعر

كالهدي زينه المهدي وعظمه * وعن قريب لسيف الموت أطعمه

وشرط لهم ولاد يهم الامان على أن يدفعوا اليه أموال السلطان وماله وللامراء
من أثقال وتعلقات وأموال ودواب ومواش ومماليك وحواش ففعلوا ما به أمر
ورفعوا اليه ما بطن من ذلك وما ظهر فأما القلعة فانها استعدت للحصار وكان نائبها
يدعى ازدار لحصنها وبالاهبة الكاملة مكنها وانتظر من السلطان نجدة او مانعا
ربانيا يفرج عنه الشدة فلم يلتفت تيمور في أول الامر اليها ولا اشتغل بها ولا عرج
عليها بل صرف همه الى تحصيل الأموال وتوسيق الأحمال بالاثقال فلما حصل
الثقل والخزائن انتقل خارج المدينة بأموال الامان واستعان على
استخلاص هؤلاء الاعيان وأقام عليهم دواوينه وكتبته وأهل الضبط والحرص
من مباشريه وحسبته وفوض ذلك الى كمالة الله داد أحد أركان دولته ومن عليه
الاعتماد وهو أخو سيف الدين المار ذكره في أول الكتاب لامه وأقام معهم كل
جبار عنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة ورضع ثدي ظلمه ونادى بالامان والاطمئنان
وان لا يبغي انسان على انسان فمد بعض الطغاة يده الى شيء بعد سماعه هذا النداء
واشتهاره فبلغ ذلك تيمور فأمر بصلبهم في مكان مشهور فصلبوهم في الحريريين
برأس سوق البزوريين ففرح الناس بهذه الفعلة وأملوا خيره وعدله وفتحوا
من أبواب المدينة الباب الصغير وشرعوا يحررون أمر المدينة على النقير والقطمير
فوزعوا هذه الاموال على الحارات وتنادى أهل الظلم والفساد من القريب
والغريب بالثارات وجعلوا دار الذهب مكان المستخلص وطفقوا يلقون الناس
في ذلك المقص وتسلط بعض الناس على البعض واصطادوا أرانب الاراضي
بكلاب الارض وكان فصل الخريف قد مضى وقد قفل ووصل الشتاء بزمهريره
وجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل فانتقل الى القصر الابلق ثم الى بيت الأمير
تنجاص وأمر بالقصر أن يهدم ويحرق ودخل الى المدينة من الباب الصغير في جمع
كثير وصلى الجمعة في جامع بني امية وقدم الحنفية على الشافعية وخطب به قاضي
القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور وجرى ما يطول شرحه من أمور
وشرور ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي وبين علماء الشام
لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي مناظرات ومناقشات
ومباحثات ومراجعات وهو في ذلك كترجمان يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه فيما

ووقائع علي ومعاويه وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه ومنها امور يزيد
وما يزيد وقتل الحسين السعيد الشهيد وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر ومن استحله
فهو واقع في الكفر ولا شك ان ذلك الفعل الحرام كان بمظاهرة أهل الشام فان
كانوا مستحليه فهم كفار وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار وان
الحاضرين على مذهب الغابرين فحصل منهم في ذلك أنواع الاجوبه فمنها ما رده
ومنها ما أعجبه الى أن أجاب كاتب السر واجاد واصاب فيما قال لو افاد اطال الله
الكبير بقاء مولانا الأمير اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان وان جدي الاعلى
كان من أعيان ذلك الزمان وحضر تلك الوقائع وخاض هاتيك المعامع وكان من
رجال الحق وابطال الصدق ومما تواتر من فعله ووضعه الشيء في محله انه توصل
الى رأس سيدنا الحسين ونزهه عما حصل له من ابتذال الوشين ثم نظفه وغسله
وعظمه وقبله وطيبه وبجله وواراه في تربه وعد ذلك عند الله تعالى من أفضل قربه
فلذلك أيها الهمام الصيب كنوه بابي الطيب وعلى كل تقدير أيها الامير فتلك أمة
قد خلت وغموم غيومها انجلت وعجاجها انقضت وعما اذاقت مرت وحلت
وفتن أراح الله العباد أزاحها عنها ودماء طهر الله سيوفنا منها وأما الساعه فاعتقادنا
اعتقاد أهل السنة والجماعه فلما سمع هذا الكلام قال يالله العجب وما سميتم
باولاد أبي الطيب الا لهذا السبب قال نعم ويشهد لي بذلك القاصي والداني وأنا
محمد بن عمر بن محمد بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبي الطيب العمري العثماني
فقال لك المعذرة يا طيب الاسلاف لولا اني طاهر العذر لحملتك على عاتقي والاكتاف
ولكن سترى ما أفعله معك ومع أصحابك من التكريم والالطاف ثم انه ودعهم
وبالتعظيم والاحترام شيعهم ومنها انه سألهم كابه سؤال اضرار ونكايه فقال
ما أعلى الرتب درجة العلم أو درجة النسب فادركوا قصده وفهموا ولكن عن رد
الجواب وجموا وعلم كل منهم انه قد ابتلي فابتدر بالجواب القاضي شمس الدين
النابلسي الحنبلي وقال درجة العلم أعلى من درجة النسب ومرتبتها عند الخالق
والمخلوق أسنى الرتب والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والقرف المنيف
أولى للامامة من السيد الشريف والدليل في هذا جلي وهو اجماع الصحابة على تقديم
أبي بكر على علي وقد أجمعوا على ان أبا بكر أعلمهم وانبههم قدماء الاسلام واقدمهم

وإثبات هذه الدلالة من قول صاحب الرسالة لا تجتمع أمتي على ضلالة ثم أخذ في
نزع ثيابه بحضرة تيمور وبادر من جوابه ففك أزراره وقال لنفسه أين أنت
فار وكأس الموت لا بد من شربها فسواء ما بين بعدها وقربها والموت على الشهادة
من أفضل العبادة وأحسن أحوال المآل اعتقاد أنه إلى الله صائر كلمة حق عند سلطان
جائر فسئل ما يفعل هذا المهول فقال يا مولانا الجليل افترق عساكرك كما
بني إسرائيل وفيهم من ابتدع وابتدعا وتقطعوا في مذاهبهم قطعا وفرقوا دينهم
وكانوا شيعا ولا شك أن مجالس حضرتك تنقل وعقائل مباحثها تحل الصدور
فتعقل وإذا ثبت هذا الكلام عني ورواه أحد فيرسل خصوصا من ادعى
موالاة علي ويسمي في رفضه أبا بكر بالرافضي وتحقق مني يقيني وأنه لا ناصر لي
يقيني فإنه يقتلني جهارا ويريق دمي نهارا وإذا كان كذلك فإنا استعد لهذه
السعادة وأختم أحكام القضاء بالشهادة فقال لله هذا ما أفصحه وأجراه في
الكلام وأوقحه ثم نظر إلى القوم وقال لا يدخل هذا علي بعد اليوم

﴿فصل﴾ وهذا الرجل أعني عبد الجبار كان معلم تيمور وإمامه ومن يخوض
في دماء المسلمين أمامه وكان عالما فاضلا فقيها كاملا بحاثا محققا أصوليا جدليا
مدققا وأبوه النعمان في سمرقند كان وهو في الفروع من أعلم أهل الزمان حتى
كان يقال له النعمان الثاني وكان من القائلين بعدم الرؤية في الأخرى فأعمى الله
تعالى بصره كبصيرته في الدنيا وأكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع
ونقل عنه مسائل المشروع ولا خلاف في الفروع بين أهل السنة وأهل الاعتزال
وإنما اختلافهم في أصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبل الضلال

﴿فصل﴾ وتصدى لاستخلاص الأموال من أهل الشام كان غشوم ظلام
كفور صدام وكان في قلة رفاقه كصدقة ابن الحاني وابن المحدث وعبد الملك بن
التكريتي المنبوذ بسماقه وغيرهم من نظرائهم من عواقب الظلم وأبنائهم مع
حضور أكابر المدينة وأعيانها المبادر ذكرهم ورؤساء قطانها فإنه لم يمكنهم في ذلك
أن يتخلفوا ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا وحضور دواوينه وحسابه وضابطي
أمور خزائنه وكتابه ومنهم خواجه مسعود السمناني ومولانا عمر وتاج الدين
السلماني كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور ونزل الله داد داخل الباب

الصغير في دار ابن مشكور وجعل كل من في قلبه من أحد ضغينة أو حفيظة ودفينة أو غل أو حسد أو حقد أو نكد يغمز على اخوته أولئك الظلمة الفظاظ والزبانية الشداد الغلاظ شعر

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

بل بأدنى اشاره وأقل عباره يبنون على أرض وحود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق ويشيدون على حدائق ذاته من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق وتبرق له من الدمار والبوار بوارق

(فصل) ثم انه صار في هذه المدة يحاصر القلعة وبعد ما استطاع من هدم أمر أن يبني مقابلتها بناء يعلوها ليصعدوا عليه فيدقوها فجمعوا الاخشاب والاحطاب وصبوها وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودككوها وذلك من جهة الشمال والغرب ثم علوا عليه وناوشوها الطعن والضرب وفوض أمر الحصار لامير من أمرائه الكبار يدعى جهانشاه فتكمل بذلك ومناه ونصب عليها المجانيق ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق وكان فيها من المقاتلة فئة قليلة أمثالهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي وشهاب الدين أحمد الزردكاش الحلبي فأبليا في عسكره بلاء حسنا ونكايا على جيشه فما افاء الى قتالهم وباء مصيبة وفنا فأهلكا من جيشه بالاحراق وارهاد المدافع والابراق مافات العد وتبدد من دائرة الحد ولكنه لما احاط بهم من بحار تخريبه سيل عرم ساقاتها وأمطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق كانه صيب وابلها أتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن أيمانها وعن شمائلها وكانت عن المجاذبة والمنابذة أيدي مقاتليها فطلبوا الامان ونزلوا اليه من غير توان وكل هذا الامر المهول والقضاء العجيب في أواخر شهر ربيع الآخر وجمادين وشهر رجب ولكن ما نال من القلعة رما الا بعد محاصرتها ثلاثة وأربعين يوما وصار في هذه المدة يتطلب الافاضل وأصحاب الحرف والصنائع وأرباب الفضائل ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب ليس له درز فاذا هو شيء عجب وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم أكثر من غيرهم وقدم

(ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل به الباس ووقى بنفائسه النفوس والانفاس)

وكان في صفد تاجر من أهل البلد أحد الرؤساء والتجار يدعى علاء الدين وينسب
الى دوادار كأنه تقدمت له خدمة على السلطان فولاه حجابة ذلك المكان فلما توجه
النواب الى حلب والعادة أن ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب ناب عن
نائبها التونبغا العثماني وصاحبها علاء الدين الدواداري فغرق في أسر ذلك الطوفان
كل النواب ومن جملتهم العثماني وابن الطحان ومات منهم من مات وفر من فر واستقر
في قيد الاسر التونبغا وعمر فلما قدم تيمور الشام وحل بها منه ما حل من قضاة السوء
بأموال الايتام شرع كل متول في بلاد يفعل ما أدى اليه الاجتهاد فبعض
حصن أماكنه وبعض مكن كائنه وطائفة استحرزت للفرار وفرقة استوفزت
للفرار وقوم سالموا وساكنوا وهادوا وهادنوا ففكر علاء الدين المذكور
وقدر وتأمل في خلاص صاحبه وماله وتبصر وكان من أبناء الناس وعنده
ذوق الاكياس واستشار مصيب عقله في ذلك واستنطقه فقال داره بما معك من
مال واترك درب الفرار ونفقه وما كذبه اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له
وصدقه وكان ذا مال ممدود فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا
للايام السود فطلب من تيمور الرياضه وأراد أن يجس أولا بمجاملته مخاصه
فعالج هذا الامر علاج النطاسي المريض وبادر بالمهادنة وعمل الجريض دون
القريض وأرسل الى تيمور أجناسا من ماله الطويل العريض واستمال خاطره
واستدعى أوامره ثم أردفها باضعافها وأضعف خواصرها بارادفها فشكر
تيمور له صنعه وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه وأرسل اليه مرسوم أمان وان
يعامل هو وأهل بلده بالمجاملة والاحسان فليؤمن روعهم وليسكن جأشهم
ونومهم ولتؤنس وحشتهم ولتذهب دهشتهم بحيث انهم يتبايعون ويتشارون
والى معاملاتهم من عساكره يتجارون وان استطال أحد من اجناده ولو أنه من
اخوته واولاده فليقابله بالمنع والانكار والضرب والاشهار وصار يطلب منه
ما أراده فيرسله اليه بزياده وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا زاد
علاء الدين لذلك نشاطا وطربا ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك القبض حمل اصل

ابيض

أبيض بناء على أن ذلك لا يوجد في الشام بأسرها فصلا عن صفد ففي الحال وجد
من ذلك ثلاثة أحمال فأرسلها اليه كما هي وكان ذلك من الفضل الالهي حتى أحبه
وتمنى قربه وقال فيه معنى ماذاك شعر

داريت وقتك واحتميت ببذل مالك يا بشر
لو كان مثلك آخر * في الشام ما عبت بشر

وتوجه طوائف من العسكر اليهم واشتروا منهم وباعوا عليهم واستمرت عقود المصادقة لم تصل الى أن قوّض خيامه من دمشق ورحل فلما أقشع من الشام ضباب شره واعتدق ميدان الرحيل حبل سيره أعقب علاء الدين الدوادارى قاصدا الى ذلك الاسد الضارى ومعه تحف سنيه وتقف ملوكيه ومطالعة فحاويها رائقه ومعانيها فائقه وألفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه فيها من الترقيات ما تقشعر منه الجلود ويلين له الحديد والصخر الجلمود ويجرى فى طبائع الأبدان اليابسة جرى الماء فى العود وطلب فى أثنائها مراحمة فى أمر العثمانى وابن الطحان وجنسيه بجوديهما بقراض الاعتاق والامتنان وأن يجعل العفو عنهما شكرا لقدره ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره وانهما أقل من أن ينسبا الى أسره اذ ملوك الارض تودّلو كانت اطفالا تحت حجره ورأيه الشريف أعلى وامتثال ما يبديه من المراسيم أولى فلما اطلع تيمور على فحواه وفهم ما أبداه وما انهاه وشاهد تحفه وهداياه وفكر فى أول أمره وما أجمعه من الهدم وما أسداه والخيرله تأثير والبادى اكرم والشركاء تقصير والبادى أظلم قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا أنت لا تسئ

(وقيل شعر)

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

لان قلبه وان كان حديدا فقد هان عنده الذى لم يزل شديدا فدعاهما وأكرم مثواهما واحسن اليهما وذكرهما شفاعة علاء الدين فيهما ثم ألبسهما اللباس وأعطاهما ثلاثة افراس للعثمانى اثنان وواحد لعمر بن الطحان ثم أضاف اليهما من يلغهما المأمن فوصل كل منهما الى دار عزته وحل ذلك فى صفده وهذا فى غزته

﴿فصل﴾ ولما انجزاته وراخذ القلعه حوزأمره ورام الرحمه وقد استخرج منها ما أراده من نفائس وأموال بأنواع العقاب وأصناف العذاب والنكال

﴿ذكر معنى كتاب ارسل اليه على يد بيسق بعدما فرّوا من بين يديه﴾

وقيل ان السلطان الهارب أرسل اليه كتابا اثارت منه الغضب في معناه ومجرى ماعناه لا تحسب انناجزعنا منك وقررنا عنك واغا ابعض عالكاتوى أنفاسه وأخرج عن ربقة الطاعة راسه وتصوران كل من خرج عرج ولم يمتد بن رام الارتقاء سلما فدرج وأراد بذلك مثالث القاء الفساد وهلاك العباد والبلاد وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد والكريم اذا بحبسه مرضان داوى الاخطار ورأيناك أنت أهون الخطبين وأحقر فنثنى عزمنا الشريف عشانه ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه ويقيم في نظم طاعته ميزانه وأيم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان ولنحصدنكم حصد الهشيم ولندوسنكم دوس الحطيم فلنا منكم رحى الحرب في كل طريق لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق ولنضيقن عليكم سبل الخلاص فلتنادن ولات حين مناص ونحو هذه الترهات ومثل هذه الطرافات التى هى كالملح على الجروح وكالريح عند خروج الروح ولو كان بدل هذا الكلام الذى لاطائل فيه والخطاب الهذيان الذى تمجه الآذان وتربه مايستميل خاطره ويطفئ من لهيب غضبه نائره مع شئ من الهدايا والتقادم وابراز قضاياهم فى صورة المعتذر النادم ربما كان كسر من غيظه أوخمد من حنقه وبرد من قيظه واغا فعلوا ذلك المعذره بعد حريق دمشق وخراب البصره وأرسلوا الخدم والهدايا صحبة النعام والزرافات وقد اعجز التدارك وفات وصاروا كما قيل شعر

ذوالجهل يفعل ماذو العقل يفعله * فى النائبات ولكن بعدما افتضحا

وكماقيل مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

﴿فصل﴾ ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه وأديت الرسالة اليه وقرئ الكتاب عليه قال لى قل الحق ما اسم ملكك قلت بيسق قال مامدلول هذا اللفظ المزرى قلت له يامولانا لا أدرى فقال أنت لا تعرف مدلول اسم ملك باثماله

فكيف تصلح لحمل الرسالة ولولا ان عادة الملوك أن لا يهيجوا الرسل وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبيل وأنا أولى من يتبع آثار السلاطين ويحيي سنن الملوك الماضين لفعلت معك ما يجب فعله ولا وصلتك ما أنت أهله وبعد هذا فلا عتب عليك وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك ولا حرج عليه أيضا لان ذلك مبلغ علمه ومدرك عقله وفهمه وقد ظهر بفعله الوبيل نتيجة ما قيل

تخير اذا ما كنت فى الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها

ثم قال لى توجه الى قلعتكم ومكان عزتكم ومنعتكم فذهبت ووجدتها قد دكت دكا وسيم حرامها وحريمها خسفا وهتكا ثم أتيته وذكرت له ما رايته فقال ان مرسلك أقل من أن أجاوبه وأذل من أن أراسله ولكن قل له انى واصل اليه عقبك وها أنا منشب مخاليب اسودى بذنبك فليشمر للقرار أو للفرار الذليل وليعد لأيامه الاختيار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ثم أمر بى فأخرجت وما صدقت ان تصوبت الى جهة مصر ودحرجت

﴿فصل﴾ وحين ملأ جراب طمعه من نفائس الاموال ودنه واستدر خلفانها شيأ فشيأ أصافيا ورنقا حتى صماها بقطنه أمر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار واستخرجوا جذا الاموال منهم استخراج الزيت بالعصار ثم أطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام والسبي الطام والفتك والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتتريب والتخريب انقضاض النجوم واهتزوا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على المسلمين وأهل الذمم صولة الذئاب الضوارى على ضوانى الغنم وفعلوا ما لا يليق فعله ولا يجمل ذكره ونقله وأسروا المخدرات وكشفوا غطاء المستترات واستنزلوا شموس الخدور من أفلاك القصور وبدور الجمال من سماء الدلال وعذبوا الكبار والاصاغر بأنواع العذاب وبدا للخلق ما لم يكن فى الحساب واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب وصنفوا فى استخراج النفائس من النفوس بأصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب وفرقوا بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت

وجاز واكل نفس بما سنعت وبغير ما سنعت وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه وذل العزيز والكريم وهان الطاهر والجسيم وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم وتبلدت الفهوم وتراكمت غير الغموم فأقسم بالله لقد كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيام وأسفرت تلك الساعة عن أشراط الساعة واستمر هذا النهب العام نحوا من ثلاثة أيام

﴿ذكر اقتحامهم النار في البلد ومحو الآثار﴾

ثم انهم لما أتم والعيث والعبث وقضوا في حج فسادهم التفث وأتموه بالفسق والجدال والرفث وطافوا وسعوا في المنكرات ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات وأفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار ورملوا في أشواط الاحراق فأرسلوا في حرم المدينة شواظا من نار وكان فيهم من روافض الخراسانيه فأطلقوا النار في جامع بني أميه فتشبثت النار بلهيبها وساعدت الريح بهبوبها فتسارقا في محو الآثار ريحا ونارا واستمر على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس وأمست تلك الافاق لا تسمع فيها الا غيبة ولا الهمس وأصبحت حصيدا كان لم تغن بالأمس وذلك بعد أن أظهروا ما أخذوا من أموال وأوسقوا منه الاحمال

﴿اقلاع هاتيك الرزايا وانقشاع غمام تلك الدواهي والبلايا عن بلاد الشام بما تحمله من أوزار وخطايا﴾

ثم ارتحل ذلك الفتان وأقلع صبيب بلائه الهتان يوم السبت ثالث شعبان وقد أخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم وحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم فصاروا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل ويلقونه شيأ فشيأ في أوعار المراحل وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل وأضحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الامتعة والاقمشة كأنها أسواق الدهشة وكأن الارض فتحت خزائنها وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها وألقت بديها شهر

وصار لسارقهم ينادى * على قنن السواهق والبوادى

الاذى شنشنة عرفناها وعادة فساد ألفناها ومن عادة الكافر وديدنه اقترفناها نهبنا أموال المسلمين وحفظناها ومافى وجوهها صرفناها ولكن حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها ومع ذلك فلو أخذ من نفائس دمشق أضعاف ما أخذ وفاق من اكياد ذخائرها آلاف ما فاذ ما فاض ذلك ما فى عينها ولا نقص من بحار معينها ولكن النار كانت هى البلاء الداهى والمصاب المتناهى لانها أحرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث فتلف ما يكون من العمار والامتعة والاثاث وضربت الكلاب بأكل لحوم من مات داخل البلد فما صار يجسر على العبور الى جامع بنى امية أحد

﴿ذكر ما جرى فى مصر وسائر الاقطار عند سماعهم هذه الاخبار واستيقانهم هذه الاهوال والاخطار﴾

فأما مصر فدونها من البلاد فانها اضطربت واختلت قواها وأيديها ارتبطت وعدمت القرار واستعدت للفرار فلو رأيت الناس وهم حيارى سكارى وما هم بسكارى أبدانهم راجفه وقلوبهم واجفه وأصواتهم خافته وأبصارهم باهته وشفاههم يابسه وصورهم بائسه ووجوههم باسره تظن أن يفعل بها فاقره وقد استوفز كل أهل الامصار وسكان الانجاد والاغوار وقد أصاخ لما يرد عليه من جلى الاخبار فيبنى على ذلك ما يكون من متعلقات الحركة والسكون وأخذ تيمور على طريقته العوجا ورجع على سبيل بغيه التى اتخذها شرعة ومنهاجا وقد سدت مسالكه الآفاق والاكناف وعمت هيبته الارجاء والاطراف

﴿ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق ووقع فى مخالب أسره من أعيان دمشق﴾

وأخذ من اعيان الشام ومشاهيرها الاعلام قاضى القضاة محيى الدين بن العز الحنفى بعد أن عاقبوه بأنواع العذاب وكووه وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه وولده قاضى القضاة شهاب الدين ابو العباس فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة فى شدة وباس ثم رجعا الى الشام واخذ أمرهما فى الانتظام وقاضى القضاة

شمس الدين النابلسي الحنبلي وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي فتوفي
الى رحمة الله الوهاب غريقا في نهر الزاب وشهاب الدين أحمد بن الشهيد المعتبر
وكان متحملا أوزار الوزر بعد ان راموا عذابه وطلبوا اعقابه وكان قد جهز
متعلقيه الى الاماكن البعيده وأقام هو في دمشق جريده فذكر لهم حكايته
وبذل لهم في دفع موجوده طاقته فأخذوا ما أخفاه خفية ولم يعذبوه واسكنهم بالاهبة
والقلة استصحبوه فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن أنواعا من
غربة وفقر ومحن ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى ومن الامراء
الخاص الامير الكبير بتخاص وكان مقيدا معهوما فمات عند وصوله الى الفرات
فأما القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب فانهم عاقبوه ونكلوا به وكان رقيق البدن
لطيف المزاج سوداويه فما كان عنده لذلك ثبات فأعجزهم عيار وهون منه
بالموت وفات فمات واستراح وشرب من الشهادة كأس مدام جاءه وراح
فدفنوه عشيه بالمدرسة الكروسيه ولما شرع في النهب العام المبرح استشهد
عاطا قاضي القضاة تقي الدين بن مفلح وبرهان الدين بن القويشة ضعف سبعة عشر
يوما وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما وكانوا قد خرجوا على الاحياء
والاموات وخافوا أن لا يكون لاحد منهم من أيديهم بحجة الوفاة فوات فضبطوا
بيوت المدينة بيتا بيتا وحرجوا أن لا يخرج الاحياء ولا تجوز الموتى فلما مات
المذكور تعسرت الامور فتحيروا في تجهيزه وتقلبوا في أمره وتجهيزه ثم بعد
جهد بليغ وسعي كثير دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من الباب الصغير وخرج
مع تيمور بالاختيار من الشام عبد الملك بن التكريتي فولاه نيابة سيرام فمكث
فيها القليل من الايام وهي وراء سيحون وشخص آخر يدعى بلبغا المجنون وكان
مقربا عنده وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده وأخبره على ما قيل بمداوي
تخلصه بذلك من المهالك والمهاوي وحصل له بذلك قربه وزيادة ملازمة وصحبه
فولاه ذلك الجساس نيابة مدينة تدعى بنكي بلاس وراء نهر خجند نحو خمسة
عشر يوما عن سمرقند بينها وبين سيرام نحو من أربعة أيام وكان اسم ذلك الملعون
أحمد فتلقب ببلبغا المجنون وأخذ من دمشق أرباب الفضل واهل الصنائع وكل
ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين

والاقباعية والمباطرة والحيّيه والنقاشين والقواسين والبازداريه وفي الجملة
أهل أي فن كان وجمع كما ذكر السودان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤس الجند
وأمرهم أن يوصلوهم الى سمرقند وأخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين أحمد
الزردكاش وكان في القلعة كما ذكروا بادمن عسكره خلقا لا يحصون ولا يحصرون
كثرة ولا يستقصون وكان في حدود التسعين وقد احدودب فلما رآه قابله
بالسخط والغضب وقال له انك أفنيت صافيتي وعصيت غاشيتي وقضيت حاشيتي
فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي غليلي ولا يبرد أغاليلي ولكن أعذبك على كبر سنك
وأزيدك كسرا على كسرك ووهنا على وهنك فقيده بقيد من فوق ركبتيه زنته
سبعة أرطال ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه فلم يزل مقيدا مكتوب
على قيده مخلدا أبدا حتى مات تيمور وارتفعت الشرور وخلص من القيد ذلك
المأسور ثم توفي الى رحمة الله تعالى وربما يكون أخذ أناسا من الفضلاء والاعيان
والسادات والنبلاء ممن لا أعرفه فكيف أصفه وكذلك كل أمير من أمرائه
وزعيم من زعمائه أخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ القرآن والفضلاء وأهل
الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسع الضبط ولا
يحل الربط وكذلك كل من عسكره أخذ كبيرا وصغيرا وامره في أسره لانه ما ثم
حرج على من نهب شيأ وعزله وكل من سبقت يده الى شيء فهو له وهذا اذا أطلق
عنان الاذن بالنهب العام تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام ولو كان
المنهوب أسيرا فيهم أو دخيلا عليهم والسالب من غير طينتهم ولكن أبيح له ذلك
المسار بسيرتهم وتخلق بشيمتهم وأطلق عليه حكمهم وأجرى عليه شكلهم فأما قبل
الاذن فلو تعدى أحد على أحد وكان عند تيمور بمنزلة الوالد أو الولد أو استطال
بمقدار حبه أو تلفظ بغارة أو نهبة فانه يهدر ماله ودمه ويهتك حرمته وحرمه ولا
ينجيه استعماره ونعمه ولا يجديه أهله وخدمه ولا يقال لعاثر زلت به قدمه وكانت
هذه قاعدة لا تخرم وبنية لا تهدم

﴿ذكر ما أباد بعده الجراد﴾

ولما فرغ من مستغلات أموال دمشق الحصاد وقارب الرحيل عنها أعقبه اقاط

الجراد وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد فأعرى كل شجر او مرداً وجرّد ما على وجه الارض جرداً فوصل الى حمص وما يليها ونحالد كما ذكروها ولكن فهبوا اقراها وهدموا اقواها ثم الى حماة فنهبوا اماثلها واستخرجوا امكانها وأمر وامرائها واستملكوا كائناتها وفي سابع عشر شعبان انصب الى الجبول ذلك الطوفان وارسل الى حلب وأخذ من قلعتها ما استودعها ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها ثم الى الرها فنهبها واستحلب درها ثم أرسل ذلك الغادر رسوله الى ماردين يستدعي الملك الظاهر وديباجة كتابه الدال على ما نقل

شعر سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فأبى أن ينزل اليه ولا اسمع كلامه ولا التفت اليه فانه كان آذاه كما ذكر اول مرة فما احتاج الى تجربته آخر كره فسألك معه السلامه وقال شطر بيت

* من جرّب المجرب حلت به الندامه * ولكن أرسل اليه قاصداً من بعض الخدم يدعى الحاج محمد بن خاص بك ومعه التقادم والخدم واعتذر عن الحضور بعدة امور وعنوان جوابه موافق لخطابه وهو شعر

فشوقي اليكم زائد الوصف * ولكن تخاف النفس مما جرى لها

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام واخذ يعنف نفسه بأنواع الملام كيف خلص من مخالبه أول مرة بسلام

﴿ذكر وروده ماردين بالهيبة وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة﴾

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد ماء ماردين فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين واذا باهلها قد أخلوا المدينة وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه

﴿صفة هذه القلعة﴾

وهذه القلعة منعة قلتها كبران تصاد وعرنين عانسها يأبى أن يدخل لخاطب تحت مقود انقياد لانها في قلة من القلل على ظهر جبل لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك الا تلك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك بظهره وادبطنه أوسع من صدر الاحرار فيه جنات تجري من تحتها الانهار وبه مطارح الزروع ومسارح المواشي والضروع وحدوده حروف لا تصل هم ذوي الكرم الى ارجائها وحروف

يعجز قارئ الفكر عن تحديد جهاتها وطريقه من القلعة أو على القلعة والقلعة
في غاية المناعة والرفعة والمدينة مبنية حوالها متشبثة بذيلها تأكل من فضلات
نعمها وتشرب من فائض سيلها فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون وفي السماء
رزقهم وما يوعدون فأقام لمحاصرتها على مضايقتها يسترشد الى طرق المضايقة
ومراغمتها ولم يكن حوالها مكان للقتال ولا لنصب المجانيق مجال فعوّل على
نقبها بالمعاول والفؤوس واستعان على ذلك بالمقال والرؤس وما شادر زذيل
حشمتها وعصمتها ان يسام فتقها الا انها وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها
رتقا فلا زالت المعاول تعمل والمطاطيس تكل ومناقير الفؤوس تتقصف وخصور
المرازب كهيف القدود تتقصف قلت شعر

كأنه وهو في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر
أو عذل ذي حسد صبابة صمم * أو غمز عين معنّى فاقد البصر

واستمر على الكد والحصار الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل طائل ولم
يظفر بمرام

﴿ذكر تركه في المحاصرة العناد والمكابرة وتوجهه بمارديه ذوي الفساد من ماردين الى بغداد﴾

ولما علم انه رمى منها بالداهية الدهيا وطلاب ما لا يستطاع عيا والمكابرة مع الحق
خروج عن المنهج والبلاغة في غير مقامها عي لجلج ستر عيبه وابقى بعض الحرمة
والهيبة وخرب المدينة واسوارها ومحا آثارها وهدم مبانيها وجوامعها
ومنارها وقلع أساسها وأحجارها ثم انحدر الى بغداد بعساكر كالذر والفراش
والجراد وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد فوصلوا الى مدينة عوز وايس
بها بيت مشاد ثم الى خلاط وعيد الجوز وهي بلاد الاكراد آهلة عامرة البنيان
وأول ما هو جاري تحت حكمه من ولايات تبريز وأذربيجان فعيد الثقل بعيد الجوز
عيد رمضان ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان وكان
اذ ذاك وقد خرج فصل الشتا وفصل الربيع تزين وأتى وصفحات الرياض
بأنامل صباغ القدرة تلونت وعروس الروض قد أخذت من صوائغ الحكمة زخرفها

وازينت والاطيار في الازهار مابين مائة بلبل وألف هزار قد شنفت الاسماع واقامت السماع واستمالت الطباع برخيم صوتها واحيت آثار رحمة الله الارض بعد موتها ولازال الاثقال بين تأويب وادلاج وسير ولا سير الحاج كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام ثم قطعوا مفاوز باورده وماخان ثم الى الدخوى وانتهوا الى نهر جيحان فعبروه بالمراكب وساروا سير النجم الثاقب ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلاثا سنة أربع وثمانمائه وفيهم من أهل الشام فئة أمثلهم القاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وباقيهم بياطرة وصباغون ونساجة الحرير وهذا أول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الأسارى والأموال ثم أرسل الاثقال تترى بالاثقال واحمال الأموال والاسرى

﴿فصل﴾ ثم ان تيمور ولى آمد قرايلوك عثمان وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان وكان خامس ايار وجعل يعيث في تلك الديار وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها ثم محا من صحف الوجود صور رسوم آثارها وكانت خالية من سكانها خاربة من عامري عمرانها ثم وجه الى الموصل همه وأخنى عليها بكلكله الملمه فبعد ان أحلها الحين وهيما الحسين بيك بن حسين ثم جهز بجره الى ناحية القنطره واشاع انه كف فساده وقصد بلاده ولكن السلطان أحمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده وقد أوهم وورى كما له بذلك دأب وعاده

﴿ذكر ما فعله السلطان أحمد ابن الشيخ أويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس﴾

فلما بلغ السلطان أحمد ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد ثم عزم على ان يتبغدد وقال العود أحمد استعد ولكن للفرار واستقر رأيه على أن لا قرار ثم استناب نائبا يدعى فرج وأوصى اليه والى ان البلد في بأمور وصحبه قرايوسف الى الروم وخرج وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب ولا يسدل دون مايروم منه حجاب ولا يشهر في وجهه سيف ولا يقابل فيما يأمر به بلم وكيف فبلغ تيمور هذه الامور فجهز ذلك الختال الى بغداد عشرين ألف مقاتل وأمرهم

من امرائه ورؤسائه ووزرائه والظلمة المعتدين أمير زاده رستم وجلال الاسلامي
وشيخ نور الدين وأمر ان يكون المقدم من الثلاثة الأمير رستم فاذا تسلموا بغداد
يكون هو حاكم البلاد وحين غربت من سماء بغداد شمس السلطان أحمد في غرب
العرب به وعم ظلام الظلم جنح العساكر التيمورية على افاقها وأرسل عليها شهبه
أبي فرج المذكور رأت بسلم المدينة طوروا استعد للقتال وجمع ما عنده من أهبة
المحاصرة وأوهى فاطلعوا تيمور على هذا الامر وانتظروا ما يكون منه
من نهي وأمر فثنى نحوها عنان العنق واضمر ما تصل اليه يده من غرق وحرق
واظل عليهم بغمام غم بعد ما رعد وبرق فوصل بتلك الفرق وأحل بهم البوس
والقلق واذاقهم لباس الجوع والفرق فرجهم أي رج وحاصرهم في أشهر
الحج فثبتت مقاتلتهم وأكثروا من عساكره القتلى والجرحى فخنق أشد الخنق
وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم الاضحى فتقرب على رغمه بأن جعل
المسلمين قرابين وعليهم ضحى ثم أمر كل من هو في دفتر ديوانه محسوب والى يزنة
عساكره من الجند والجيش منسوب ان يأتيه من رؤس أهل بغداد برأسين فسقوا
كل واحد من نحره سلب الروح والمال كاسين ثم أتوا بهم فرادى رجله وجاروا
بسيل دمائهم نهر الدجلة وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين وجعلوا رؤسهم فيها
ميادين فقتلوا من أهل بغداد نحوا من تسعين ألف نفس صبرا وبعضهم عجز عن
تحصيل البغداديين فقطع رؤس من معه من أهل الشام وغيرها الاسرى وعجز بعض
عن رؤس الرجال فقطع رؤس ربات الحجال وبعض لم يكن معه رقيق فاصطاد
من وجده في طريق واغتال من معه من رفيق وفدى نفسه بعدو وصديق ولم
يلتفت الى شقيق وشفيق اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة ولا يقبل منهم عدل
ولا تنفعهم شفاعة وهذا العدد المذكور سوى من قتل وهو محصور أو قتل في
مضيق أو مات في الدجلة وهو غريق فقد ذكر ان خلقا ألقوا أنفسهم في الماء وماتوا
غرقى ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق فاحترشوه من الجانبين بالسهام
فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق وبنى من الميادين نحوا من مائة وعشرين
كذا أخبرني القاضي تاج الدين أحمد النعمان الحنفي الحاكم ببغداد كان وتوفي
في غرة المحرم سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى ثم ان تيمور خرب

المدينة بعد ان أخذ ما بها من أموال خزينة وأفقر أهلها وأقفر منازلها وجعل عاليها سافلها وصارت بعد ان كانت مدينة السلام دار السآم وأمر وامن بقي من ضعفة أهاليها فتمزق ومزقتهم ايدى الزمان كل ممزق بعد ان كانوا فى ظلال ودلال ومن مساكنهم فى جنتين عن يمين وشمال فاليوم عشش البوم والغراب فى أماكنهم وأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وهذه المدينة هى أشهر من ان توصف ومعرف عارفها وعرفانها أذكى من ان يعرف وناهيك انها كان اسمها مدينة السلام والله على ما نقول لم يعتبه امام

﴿ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته فى قراباغ﴾

ثم الوى بتلك الاتراك التى يصح ان يقال لكل منها انه فى التركية طاغية طاغ وعزم يشتى فى مكان يصلح ان يكون فى الترك والعرب كمشاته وذلك قراباغ وامسى كالبارى المطل بل كالبوم المشوم مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم

﴿ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم ايلدريم بايزيد﴾

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز وجعل السلطان أحمد وقرا يوسف سببا وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا وانهما مادة الفساد وبوار البلاد ودمار العباد ومنبع الخول والادبار وكفرعون وهامان فى العلو والاستكبار وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد صار عن معهما حتى ذراكم لاجئين وأيما حلولهما التعاسة والشوم وحاشا ان يكون مثلهما من الملوك من تحت جناح صاحب الروم فاياكم ان تؤووهم بل أخرجوهم وخذوهم واحصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واياكم ومخالفة أمرنا فتحل عليكم دائرة قهرنا فقد سمعتم قضايا مخالفينا وأضرابهم وما نزل بهم من منافى حرابهم وضرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فلا تتكثروا بيننا وبينكم القيل والقال فضلا عن جدال وقتال فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال وفى اثناء ذلك أنواع التهديد والتخويف وأصناف التهويل والاراجيف وكان ابن عثمان عنده ابن رقاعة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة مع انه كان من الملوك السادات وعنده تقوى وصلابة فى الدين وكان اذا تكلم وهو فى صدر مكان فلا

يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان وكان بواسطة عدله ساعده
الزمان وقويت شوكته في المكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل مالكها السلطان
علاء الدين وأسر له عنده ولدان واستولى على ممالك منشا وصاروخان وهرب منه الى
تيمور الامير يعقوب بن علي شاه صاحب ولايات كرمان وصفا له من حدود جبل بالقان
من ممالك النصارى الى ممالك أرزنجان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى خطابه
نهض وربض وامتعض وارتمض ورفع صوته وخفض وكأنه تجرع نقوع الحضض
ثم قال أو يخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أنني مثل
ملوك الاعجام أو تتار الدشت الاغتام أو في جمع الجنود كجيش الهنود أو
سندي في الشقاق كجمع العراق أو ما عندي من غزاة الاسلام كعساكر الشام
أوان قفل العجم كجندي أو ما يعلم ان أخباره عندي وكيف خذل الملوك وختر
كيف تولى وكفر وما صدر عنه وعنهم وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم
وأنا أفصل جمل هذه الامور وأكشف ما خزنه في الناموس وأما أول أمر هذا الاعمى
سفاك الدم هتاك الحرم نقاض العهود والذمم مارق منحرف عن الصواب في
الخطا فصال وجال وسطا ثم طال واستطال واتسع له المجال وغفل عنه الرجال
ومن حين نبغ استقصى حتى شاب الشيب بالعيب فأدرك ما أدرك وما بلغ فالتهبت
فتيلته بعد ان كانت شراره وانتشرت فروع جنته فصارت غراره أما ملوك العجم
فانه استنزلهم بدخله وختله ثم استقرهم بخيله ورجله وبادر الى قتالهم بعد ان
أمكنتهم فرصة قتله وأما توقتاميش خان فان غالب عسكره خان ومن أين للتتار
الطغام الضرب ببتار الحسام وما لهم سوى رشق السهام بخلاف ضراغم
الاروام وأما جنود الهنود فانه خذلهم في أمرهم ورد كيدهم في نحرهم فوهت
أركانهم لاسيما وقد مات سلطانهم وأما عساكر الشام فأمرهم مشهور وما
جرى عليهم فظاهر غير مستور ولما مات سلطانهم وتضعضعت أركانهم وانفض
أمرهم وانقض وبغى بعضهم على بعض فقطعت منهم الرؤس الكبار ولم يبق فيهم
الا رؤس صغار فتر الزمان نظامهم وسام التبدد ملكهم وشامهم مع أنهم في
الصور بيض وفي المعاني جمادى يزعمون بواحدة وهي أنهم يبيتون جميعا ويقومون
مثنى وفرادى لاجرم تفرقت أيادي سبا أحزاب تلك الزمر فاشتغل جيشه فيها

بالجرم فباض لما خلا له الجو وصفر ولو كان بينهم اتفاق لفتوه فتا وبددوا شمله
وبتوه بتا ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ومع اتساق نظامهم وتسديد
سهامهم وقوة نطاحهم وشدة كفاحهم وشدة رماحهم وكونهم ظهر الحاج
وأسود الهياج أنى لهم نظام عساكرنا وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا وكم فرق بين
من تكفل بأمر الحفاة العراة وبين من تحمل أمر الكماة الغزاة فان الحرب دأبنا
والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا ان
قاتل أحد تكالبا على الدنيا فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا رجالنا
باعوا أنفسهم وأموالهم من الله بان لهم الجنة وكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنة
ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنة ولنون قسيهم في خياشيم بني الصليب من غنة
لو عناهم خوض البحار خاضوها أو كلفناهم افاضة دماء الكفار أفاضوها قد
اطلعوا من صياصيهم على قلل قلاع الكفار وأخذوا عليها وأمسكوا بعنان أفراسهم
فكلما سمعوا هيعة طاروا اليها لا يقولون لمكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلا
انا ههنا قاعدون فاذهب أنت وربك فقاتلا ومعنا من الغزاة مشاة افرس من
فوارس الكماة اظفارهم باتره وأظفارهم ظافره كالاسود الكاسره والنمور
الجاسره والذئاب الحاسره قلوبهم بودادنا عامره لاتخامر بواطنهم علينا مخامره
بل وجوههم في الحرب ناضره الى ربها ناظره وحاصل الامر ان كل اشغالنا وجل
احوالنا وافعالنا حجم الكفار ولم الاسرى رضم العظائم فنحن المجاهدون في سبيل
الله الذين لا يخافون لومة لائم وأنا أعلم أن هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا
فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقاتلك
البته فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا بته ثم انهى خطابه ورد على هذا الطريق
جوابه فلما وقف تيمور على جوابه القلق قال ابن عثمان مجنون حمق لانه أطال
وأساء وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء لأن ذكر النساء عندهم من العيوب
وأكبر الذنوب حتى أنهم لا يلفظون بلفظ امرأة ولا أنثى وانما يعبرون عن كل
أنثى بلفظ آخر ويحثون على الاحتراز عنه حثا ولو ولد لأحدهم بنت يقولون ولد له
مخدره أو من ربات الحجال أو مستره أو نحو ذلك

(ذكر طيران ذلك البوم وقصده خراب ممالك الروم)

فوجد قيور الى التوجه الى ابن عثمان السبيل وطلب الرفيق والطريق ورام الدليل وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت وماج فاذا الجبال سيرت وهاج فاذا القبور بعثرت وسار فزلزلت الارض زلزالها ومار فاظهرت القيامة اهوالها وأرسل الى ولى عهده ووصيه من بعده حفيده محمد سلطان بن جهانكير أن يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير وركب الى الروم الطريق وساعده الاتفاق لا التوفيق وجرى بذلك البحر المطرخم والليل المدلهم فدار وداخ وعلى قلعة كماخ أناخ فاذا هى فى الوثاقة كيقين موحد وفى الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم ولا يهتدى الى طريق التوصل اليها ثاقب فهم مؤسس أركان هضابها معمار القدرة ومهندس بنيان قبابها اجبار الفطرة ليست بالعالية الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة غير انها فى مناعتها وحصانتها فائقة من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها ومن الجهة الاخرى واد متسع يحفظ اعلامها لا يمكن للاقدام فيه الثبات وهو مسيل ما ينصب فى نهر الفرات ومن الجهتين الاخريين هضاب يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا الشئ عجاب فأخذها من غير كلفة وو ... جرحها من غير طواف بها ولا وقفة وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه ووكل امر حصارها وقتالها اليه وسبب ذلك ان الوادى الذى وراءها كان برقة بالخيبة لو عورته من جاءها لكونه مزلة الاقدام واسم الافهام بعيد مهوى المرام لا يثلب لسان السهم له عرض عرض ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر قرار أرض فبمجرد ما وقع نظره عليها نظر بعين الفراسة اليها ثم أمر بقطع الاخشاب ونقل الاحطاب فلم يكن الا كلمح البصر حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد وطرحوها فى قعر ذلك الواد فساووا به الأرض وملأوا طوله والعرض وحين شعر أهل القلعة بهذه الفعال ألقوا النار والبارود على تلك الأخشاب فأخذت فى الاشتعال وأما أساس القلعة فلا ينال لانه راكب على قلل الجبال فلم يبدد ذلك من أمره ولم يشرد من فكره بل أمر فى الحال كل واحد من الرجال ان يأتى من تلك القفار بحمل من الأحجار فانبثوا كالنمل والجراد فى تلك الهضاب والاطواد والبرارى والوهاد وجابوا

المعصر بالواد فبقي الحال ملؤا تلك الدارة من الحصباء والحجارة ثم أمر أن يفعل
بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت
وتقول هل من مزيد فألقوا في ذلك الوادي بعض ما لموه من أكداس تلك الحجارة
فطموه وبقي في بيادر ذلك الحجر أضعاف ما رمي من البحر ولما امتلأ الوادي من
الأحجار مشوا عليها وقربوا من الأسوار ونصبوا السلالم وتسلقوا وبناصية
مراميها تعلقوا فأقلم أهل القلعة عن الكلام وطلبوا الأمان وقالوا ادخلوها
بسلام وكان هذا الحصار والحطمة في شوال سنة أربع وثمانمائة ولما استقر
فيها أمر بتلك الأحجار أن تنقل من واديها الى المحال سفوها وفي مكان أخذوها
منه رموها ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس وولى عنها كأن لم تغن بالأمس وهذه القلعة
نحو من نصف يوم من ارزنجان ومن القلاع المشهورة في الدنيا بالمناعة والعصيان
فلا جرم حين استولى عليها وأفضى بمصاره الذكر إليها وفتحها قهرا ومنحها جبرا
أبرد بهذا المغنم البارد الى كل صادر في ممالكه ووارد بكتب ترسم فيها من
الأخبار كل سانح وشارد وعنوان هذه الترجمة بلفظها من غير ترجمة شعر

بحد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه وكيف ردّ جوابه الحمق عليه ومن جملته وبعض
ترجمته انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه وقلنا له
يخرج من قروح مملكته مادة الفساد وهي أحمد الجلايري وقرا يوسف التركمان
اللذان أخربا البلاد وأهلكا العباد والرضا بالمعصية معصية والاقرار على الكفر
كفر والفاسق المحروم البائس شر من الفاجر الظلوم اللابس فصارا في الفساد
وزيريه وهو الأمير وفي العناد صغيرين وهو الكبير ومشيراه على ذلك والبطانة
فلبئس المولى ولبئس العشير فأفسداه وما أصلحا وخسراه وما ربحا فمكانه في
شأنهم من أظهر ولهم وشأنهم بقوله شعر

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجا فأشبه لما أجارهم مجير أم عامر العرجا فنهيناه فما
انتهى ونبهناه فما ارعوى وأريناه العبر في غيره فما اعتبر ونادى لسان
انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر وكان وضعنا العهد مع اسلافنا على عادة مشيختنا

وادبنا

وادبنا في المراسلات ورعينا فيه قدر طوره وأبدى جوره وكان في بعض
مراسلاته وما وضعه في مكاتباته كتب اسمه تحت اسم طهرتن وهذا هو الواجب
عليه والحسن ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا كبعض خدمنا وأقل حشمنا ثم
انه أعني بايزيد لما طالع كتابنا وردّ جوابنا وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب وهذا
لما فيه من كثرة الحماقة وقلة الادب ثم ذكر أنه توجه يروم استخلاص ممالك الروم
وتشدّق في هذا الكتاب وتفيهق في هذا الخطاب فهو أحد دساتير الكتاب
والاساطير المستعان بها في الخطاب والجواب

﴿ذكر ما عزم ابن عثمان عليه عند انصباب ذلك الطوفان اليه﴾

ولما بلغ ابن عثمان ما قصده وأنه جعل طالعه في سماء الحرب رصده توجه لمقابلته
واستعد لاستقباله وكان على مدينة استنبول محاصرا آخذا بكفارها وقد
قارب أن يفتحها وتضع الحرب عنها أوزارها وأن حينئذ كان عنده ولكن
أمر بطارقة الغزاة والشواهين من كواسر جيشه والبزاة وعمرات السرايا وكرام
كرمان وأحلاس خيل السواحل وقروم قرمان وأجناد ولايات منتشا وأساورة
صاروخان وجميع أمراء التومانات والصناجق وأصحاب الرايات ورؤس الفيالق
ونواب جميع الثغور والامكنة مما هو جار تحت حوزتي برسا وأدرنه وكل من دبج
البحر الاخضر من بني الاصفر عن رايته البيضاء بالدم الاحمر وفلق سويدا كل
عدو أزرق بسهامه السود على جواده الابلق أن يعملوا مصلحتهم ويأخذوا حذرهم
وأسلحتهم واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج مارق داخل في أمان المسلمين على
قتال كل باغ وخارجي واستدعى التتار وهم قوم دينهم يسار ناس سوادج لهم
مواش نواتج ملأوا الاقطار بمواشيهم وملوا الشواهق والبوادي بوحوشهم
ودواشيهم ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل ما منها واحد حمل ومثل
ذلك افراس ما اسرجها ظهور ولا ألجم راس وأما الغنم والبقر فلا يحصى عددها
ولا يحصر وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر لهم في ممالك الروم
وقرمان الى صواحي سيواس مشتات ومصائف وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد
كامل في أنواع المبرات وظائف لو قصدهم فقير أو غريب أو طالب علم أو أديب
جمعوا له من الغنم والبقر والصوف والشعر والسمن والاقط والوبر ما يكفيه

وذويه الى آخر العمر وكانوا يسمون لكثرتهم وماهم عليه من الامم ثمانية عشر ألف عالم فلبى كل من صدى هؤلاء الجبال صدى صوته بالاجابه وبادر الى امتثال أوامره بالاطاعة والانابه وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا وقذفت اليه أطوادهم عساكرها وبحار جنودها قذفا وحث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حثا

﴿ذكر ما فعل ذلك الخداع المكار وفعله في تخذيله من ابن عثمان جنود التتار﴾

وتلبث تيمور في أمره واستورى زناد فكره فأورى زناد ناره ان يخذل عن ابن عثمان تتاره فأرسل الى زعمائهم والكبار من امرائهم ورؤسائهم وأعيرهم يدعي الفاضل وكان في المكرمات من الافاضل غير انه ما مارس الايام ولا اطلع على مكائد اللئام ان حسبكم حسبي ونسبكم متصل بنسبي وان بلادنا بلادكم وأجدادنا أجدادكم فكلنا فروع نبعه وأغصان دوحه وان آباءنا من قديم العصر وغابر الدهر نشأوا في عش متوحد ودرجوا في وكر غير متعدد فأنتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من أغصاني وجارحة من جوارحي بل خالصتي وخلاني وانتم لي شعار وباقي الناس دثار وان كان الناس ملوكا بالاكتساب فانتم ملوك بالانتساب وان آباءكم من قديم الزمان كانوا ملوك ممالك توران فانتقل منهم طائفة من غير اختيار الى هذه الديار فاستوطنوها وهم على ماهم عليه من المكرامه وشعار السلطنة وأسباب الزعامه ولم يزالوا على هذا النشاط والعزه الى أن اندرجوا الى رحمة الله تعالى وهم على هذه العزه وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم وما كبر ما لك في بلاد الروم أصغر عاليككم وليس بحمد الله في شوكتكم قله ولا في كثرتكم قله فانى رضيتم لانفسكم بهذه الذله وان تصيروا مسخرين كأنكم من المسخرين وبعد ان كنتم أكابر مكبرين كيف صرتم أصاغر مصغرين ولستم بدار هوان ولا مضيعه وأرض الله واسعه ولم صرتم مرقوق رجل من أولاد معتوق على السلجوقي ولا أدري ما العلة في ذا والسبب ومن اين هذا الاخاء والنسب سوى عدم الاتفاق وانتفاء الاتساق وعلى كل حال فأنا أولى بكم واحق بعمل مصالحكم وتهيئة أسبابكم وان كان لابد من استبطانكم هذه التخوم وبيع تلك البلاد

الفسيحة

المسيحة بمضائق ممالك الروم فلا أقل من ان تكونوا كسلافكم حكامها ومالكي
نواصي صياصيها راقين سنامها باسطي أياديكم فيها قابضين زمامها وهذا المرام انما
يتم اذا كفيناه هذه المنازله وقضينا الارب من هذه المناصله وتمهد لنا الميدان وارتفع
من البين ابن عثمان فاذا خلا الجو من المنازع وصفت لى فى هذه البلاد المشارع
وظفرت بهذه الممالك وسلكت فيها الطرق والمسالك أعطيت القوس باريها
وانزلت الدار بانيها ورددت المياه الى مجاريها وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها
ومدنها وضواحيها وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها وان رأيتم أن
لا تعينوا علينا وامكنكم أن تنحازوا الينا فاغتنموا فرصتكم وخذوا من انتهازها
حصتكم فانكم قريبون منا ومن رهطى وأما الآن فكونوا بظاهركم مع ابن
عثمان وبباطنكم معنا حتى اذا التقينا امتازوا والى عساكرنا انحازوا ولا زال
يفتل كلامه ويبثه على جرحهم ولا يجهر من خرقا بتمريهم ان تزرى فصاحتها بكلام
الاسود بن يعفر فاتصال دردور أفكارهم ليردهم عن أن تتبع ابن عثمان وتنفر
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر حتى خدعهم بهذا المقال واستمالهم فى معنى
ما قال واستهواهم حب الرياسة الذى طالما استرق أحرار الصديقين واستعبد كبار
الاولياء والصالحين وكبكب فى النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين فوافقوه
على الانخزال عند الموافقة للنزال

﴿ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه
الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل﴾

فأما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم على بلاد الروم لان الزروع كانت قد
استحصدت وصدور المراكب والثمار قد استنهدت وخضروات الارض قد
اسودت والرعايا فى ظل الامن والرفاهية قد امتدت فخشى ابن عثمان أن يصيب
العباد منه ضرر أو يتطاير الى قبائل بلاده من لهيب ناره شرر فبادر الى ملاقاته
وساقته سوائق المنون الى شرب كأسه فى مساقاته وأراد أن يكون مصطدم الناس
خارج بلاده على ضواحى سيواس فأجرى من عساكره السيول الهامره وأخذهم
على قفار غامره سترا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف مر

رعيته شفيقا وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا يحكى انه كان في بعض مغازيه
فعطش بعض حواشيه فأتى في قرية بعض النساء فطلب منها شربة ماء وكانت
أشأم من البسوس يضرب بها المثل في اللؤم والبوس فقالت ما عندي ما تشرب
فخذ طريقك ولا تتعب وكان العطش قد غلبه ورأى عندها في بعض القصعة شربة
لبن فشربه فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت عليه لابن عثمان فطلبه
واستفسره فخاف شدة نقمته فأنكره فقال للمرأة انا ابعج قبقبه واتبين صدقه
وكذبه فان ظهر في بطنه اللبن أعطيتك الثمن وان تبينت بالصدق قوله جعلتك
مثلة مثله فقالت والله انه شربه وما فهت في حقه بكذبه ولكني فرست كربته
وأبرأت ذمته فقال لابد من اجراء العدل وانهاء هذه الحكومة بالفصل ثم دعا
بالسيف ووسطه واجرى على بطنه مشرطه فانفجر بطنه وهو منعفر وجرى اللبن
وهو بدمه متعفر فاشهروه في الوثاق ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك
العادل ابن عثمان شيئا بغير استحقاق ثم ان ابن عثمان تابع الترحال وسلك في
رمضان السفر صوم الوصال

﴿ذكر ما فعله ذلك الساقط مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه﴾

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان أخذ على الطريق الغامر نبذه نبذ اليهود كتاب الله
وراء ظهورهم وأخذ على الجادة العامر فدخل هو وعسكره في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون ولسان حالهم الفصيح ينشد في الآفاق ويصيح شعر

ولست أبالي بعد إدراكي العلى * أكان تراثا ما تناولت أم كسبا

فلم يزل في مراح وزروع ومراع وضروع بين سدر مخضود وطلح منضود
وظل ممدود وماء مسكوب وهواء بالراحة مصبوب ونعيم بالسلامة مصحوب في
أمن ودعة وخصب وسعة آمنا من الوجل سائرا على غير عجل متيقنا بالنصر
والظفر مستبشرا بالملك والوزر متبعا تدبير القضاء والقدر لا تبرد حرارة حينه
التسخين عين عدوه واحراز الغنم البارد بثره ولا في أكايل كواكب عساكره
المنتظمة نثره ولا بين أسود جيشه مكاشرة ولا نمره ولا في قراهم الاعادي
الا هدمات على مواشيهم طعامهم حين ولا كسره فلم يدق ابن عثمان من رقاده

تيمور قد مر على بلاده فقامت عليه القيامه وأكل يديه حسرة وندامه وزأر
والتهب حنقا وكاد ان يموت خنقا وسلب القرار والهجوع وعزم في
...ل على الرجوع فتلاطمت من بحرها كرأمواجه وتصادمت أثباج أطواده
وأبراجه فرسخ عوده على بدئه وأغرى بوصال السير وخببه فنهكهم السير
بسرعته والمكان بقفرته والزمان بحيره والسلطان بزئيره فلم يدركوه الا وقد
ذاب كل منهم وصبا وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

(فصــل) وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره وخيله ورجله منزعجة موقره
للقتال منتظره وللنزال متشمره بل لم يكونوا له مكترثين ولا به محتفلين وقد سبقوا
كصناديد قريش الى المياه وتركوا عسكره كساعي بدر في جانب الظماء فهلكوا
كربا وأواما وذابوا عطشا والاما وكأنه الى ذلك المنزل هو أرشدهم وبلسان حاله
أنشدهم شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وانقرة هذه هي التي ذكرها الأسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي شعر

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

فلما التقت الجيوش بالجيوش وضربت الوحوش على الوحوش وامتلأت منهم
الصحاري والقفار ومالت الميسرة باليمين واليمين باليسار اندفعت من عسكر ابن
عثمان التتار واتصلوا بعسكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر
والأوفر من عسكر ابن عثمان والأكثر حتى قيل ان جماعة التتار كانوا نحوا من
ثلثي ذلك العسكر لا بل قيل ان ذلك الجمهور كان نحوا من ثلثي جند تيمور
وكان مع ابن عثمان أولاده أكبرهم أمير سليمان فلما رأى ما عملته التتار علم
...ه البوار ...د باقي العسكر وتقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك أباه
...تبعه معه الى جهة بروسا فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن
...ماهم فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق وخاف
...تلك المعركة والمعكرة كان معه ثلاثة آلاف عنتره
...ل * ...ي وبيض الهند تسفك في دمي

(اثبت المقدور)

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم
فصبر لحادث الدهر وما أزم وأراد ان يمشي على مذهب الامام مالك [illegible]
فأحاطت به اساورة الجنود احاطة الاساور بالزنود وحين تيقنت الاسرة [illegible]
بالكسرة وعلمت انها تورطت في جيش العسرة وثبت المشاة على ال[illegible]
واستعملت الاطيار وكل صارم بتار وكانوا في ذلك المصاف نحوا من خمسة آلاف
فبددوا اندادهم وابادوا اعدادهم ولكن كانوا كساق الرمال بالكربال أو
كنقل البحار بالغربال أو كجر أوزان الجبال بقراريط المثقال فاصطروا على
قلل أو أثلال الاطواد وسقول ذوات تلك الاسود من غمام القتام صواعق ديم
المدميات وأمطار السهام السود ونادى محرش القدر وصياد القضاء الكلاب
على البقر فلم يزالوا بين وقيذ وواقذ ومضروب بحكم سهم ماض في القضاء نافذ
حتى صاروا كالشياهم والقنافذ واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى
الى العصر وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر ثم لما
كلت منهم السواعد وقل المواصر والمساعد وتحكم فيهم الابعد والباعد دققوهم
بالسيوف والرماح وملأوا بدمائهم الغدران وباشلائهم البطاح ووقع ابن عثمان
في قنص وصار مقيدا كالطير في القفص وكانت هذه ال[illegible] على نحو ميل من
مدينة أنقره يوم الاربعاء سابع عشرين ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة
وقد قتل غالب العسكر العطش والضمور لانه كان ثامن [illegible] تموز

(فصــل) ووصل أمير سليمان الى بروسا معقل ابن عثمان فاستاط على
ما فيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس ال[illegible] واشتغل بنقل
ذلك الى برادرنه وراء البحر المحيط باشرف الامكنة ال[illegible]ب في بحر مصر الآخذ
بعد ما يتدربس الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بين [illegible] بين بحر القلزم وجبل
الجركس

*(ذكر ما وقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان من تينكوا كب صاكره)

ولما حصل لرأس عاتكة الروم هذه الوعكة واندك ولانمره ولا فقراهم الاعادي
دعكه واستولى عليهم الجند المشؤم وذهق فيهم كسره فلم يبق لابن عثمان من رقاده

الاوم وتلاقى محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم خضعت
وزقابها ونواصيها وتزلزلت حصونها وصياصيها وتزعزع دانيها وقاصيها وانبهر
الداني واوعاصيها فخافوا صيحة البحر وأيسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر
اذ قد ذهب منهم الرأس ولم يبق فيهم من يقيم الباس فلما سمعوا ان أمير سليمان ضم
الناس الى نحره وعزم على العبور الى برادره بقطع بحره مالت بهم الادية والشعاب
اليه وعولوا فى خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه فصالح أهل استنبول ووادّاهم
وعاهدهم على أن لا يغدر كل منهم بالآخر وعدهم ثم قصدهم أن يعينوه على الوصول
بقطع البحر من ثغرى كاليبولى واستنبول اذ ليس لهذين البحرين من هذين البرين
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين فان بحر اسكندريه يأخذ على انطاكيه
وعلايه ثم يروم بلاد الروم فتحصره الجبال قبل وصوله بلاد الشمال فلا يزال
فى حصره يدق وشفتاها بينه ترق حتى تترآى حافتاه ويكاد تنطبق شفتاه
ومسيرة هذا الانضمام نحو من ثلاثة أيام ثم يأخذ فى المدّ والانبساط والجريان على
وجه النشاط ثم تدور كتائب أمواجه وتتكردس وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج
حتى تصل كافر الى بلاد الجركس وما أمكن أحدا من سواحل الحركة ومن عوى
النوافث أن يعبر هذين المعبرين فى مدى هذا الانضمام بثالث فثغر كاليبولى
بيد ملاحى المسلمين وثغر استنبول بيد النصارى أعداء الدين وهو أعظم الثغرين
وأجسم المعبرين وكانت النصارى ملاحيه فصار غالب الناس يقصده ويتحيه
واستطارت الفرنج فرحا واستطالت وخاضت فى دماء المسلمين وعرضهم وأموالهم
وجالت فان ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها وأباد قراها وضواحيها وأهلكها
وضيق على أهلها فى مجارى أرواحهم مسالكها فبينما هم وقد بلغ السيل الزبا وجاوز
الحزام الطبا وأنشب كل شر فيهم حدقه واذا بتيمور رجاهم بالفرج بعد الشقة
اذ حل بأبيهم بالضرورة ابن عثمان وحصل لهم بذلك الفرج والامان وزاد ذلك بأن
فى شدة البأساء والبأس وتراموا فى طلب الخلاص من العدو عليهم فبعد أن زالت
داناهم وبعض من الكفار وقابل تلك الشارات من المسلمين الفرص فجعلوا يوسقون
ان فى ان يقع عليه الطلاق وكانوا يجهون بذلك الى صوب استنبول وان استنبول
شعر ولقد ذكرتك والرماح نواهل وهى من أكبر مدن الدنيا حتى قيل

انها قسطنطينية الدنيا الكبرى فكانوا اذا عطفوا وراءهم تلك الذروة بالمراكب
واستتروا بالهضبة الشاهقة عن عين من هو في هذا الجانب يصيرون كالاموات
النازلين الى المقابر الملقين في قعر اللحود والمقابر لا يدري الى اين يتوجهون والى
اي ناد يصيرون الى بر السلامة والاسلام ام الى دار الحرب واسر الكفرة الطغام
فيذهب منهم الذاهبون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فاذا بلغت
المراكب وهي فوارغ تلاقي كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجهد بالغ ولم يدر
ماذا يجري عليه والى ماذا يصير امره اليه واشتبه على ابصارهم الكليلة وخطوبهم
الجليلة ما سلك المذكورين والسلك المذكورين في كتاب كليلة وحاصل الامر انه لم
يسلم من ذلك السواد الاعظم في كل غراب ادهم الا مثل الغراب الاعصم
واستطالت اعداء الدين كيف شاءت على المسلمين وقطع امير سليمان البحر
واستولى على ذلك البر وضبط ممالكه وربط مسالكه وهو اوسع من هذا الجانب
وافسح مرجا وادر ريعا واكثر خراجا ونخرجا واعظم حصونا واماكنه وتخته
مدينة ادرنه فاجتمع الناس على امير سليمان وسهل الامر في الجملة شيئا ما وهان

(ذكر اولاد ابن عثمان وكيف شتتهم وادباهم الزمان)

وكان للسلطان بايزيد المذكور من الاولاد الذكور امير سليمان هذا وهو اكبرهم
وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم وكل منهم طلب لنفسه مهربا وانحاز
اليه من ابيه طائفة فجماعة فكان منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه وهي خرشنة الشاهقة
العاصية التي قال فيها ابو الطيب شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا

وقلعتها شاهقة كانها بقية الفلك عالقة يعد النازل منها في نزوله منها اكثر
مما يعد الصاعد الى غيرها يسميها اهلها بغداد الروم لان قرارها يشقه نهر كبير من
الوسط مقسوم وبينها وبين توقات مسيرة يوم للمجد واما عيسى فانه لجأ الى بعض
الحصون واستمكن الى ان قتله اخوه امير سليمان وموسى فيما بعد فقتل امير
سليمان بعيسى ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى وتمحضت الاحكام المحمدية

شرائع الملة الموسوية والعيسوية الى ان مات حتف أنفه فى أوائل سنة أربع
وعشرين وثمانمائة أو مات بشئ دس اليه على يد قوم ففارق الهدايا الملكية
المؤيدية وانتقل الملك من يده الى مراد ولده وهو فى يومنا هذا أعنى سنة أربعين
وثمانمائة مستقل به وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه

عود الى ما كنا فيه من أمور تيمور ودواهيه

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان جرد الى برسا طائفة من الجنود والاعوان
وأضافهم الى الشيخ نور الدين ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين فوصل اليها ونزل
نزول القضاء المبرم عليها وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه
وأمواله وخزائنه وحشمه وخدمه وخلع على أمراء التتار ورؤسهم واستعطف
خواطرهم بتطييب نفوسهم ووزع أمراءهم على أمرائه وأضاف كل ظهر منهم
الى رأس من رؤسائه ووصاهم بهم وعليهم وبالغ فى أن يصلوا ما أمكنهم من
البر اليهم ومشى على مشيه القديم فى استخلاص النفائس واقتناص النفوس
وسبى الحريم ويجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه ويلاطفه ويباسطه ويترفق
اليه ويسخر منه ويتفضل عليه

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية عدت بأوصافه القبيحة على مر الزمان حكاية

ثم انه فى بعض الايام جلس فى مجلس عام وخفض جناح النشاط للخاص والعام
وطوى بساط النهى والامر ومد سماط الخمر والزمر وحين غص بالناس المكان
استدعى سريعا ابن عثمان فجاء وفؤاده يرجف وهو فى قيوده يرسف فسكن
قلبه وازال رعبه ثم أحسن جلوسه وازال بالاهتشاش اليه عبوسه ثم أمر
بأفلاك السرور فدارت وبشموس الراح ان تسير من مشرق أكواب السقاة الى
مغرب الشفاه فسارت وحين تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور ودار
فى سماء العشرة نجوم جعلها من راسه بروز وبدور نظر ابن عثمان فاذا السقاة
جواريه وعامتهم حرمه وسراريه فاسودت الدنيا فى عينه واستحلى مرارة سكرات
حينه وتصدع قلبه وانفرط له وتزايد كمده وتفتت كبده وتصاعدت زفراته

وتضاعفت حسراته وانكى جرحه واعتقر سهمه ونثر على جرح مصابه من قصبات الاعى ملحه وكانت هذه النكاية لابن عثمان مما اسلفه في مكاتباته بذكره النساء وحلفه لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاي وقبائل الترك من اكبر الجرم واعظم من الخيانة في الحرم وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان مع حريم طهرتن في ارزنجان ومن تمام اساءته لابن عثمان احسانه لاولاد ابن قرمان وكان قبل ذلك ابن عثمان قد استولى على ممالك قرمان وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه ونقل الى حبس بروسا محمدا وعليا ولديه فلم يزالا عنده في ضيق وضنك حتى افرج عنهما بالحبس عليه تيمورلنك فاخرجهما وخلع عليهما وابرهما واحسن اليهما واولاهما ما اولاهما وليس ذلك لحب علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معاوية قلت

ولم يرفض معاوية لحب * عليا بل لان ربي يزيدا

وقيل

وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرين

وقلت بديها

اصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء

وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء

وذاك لينتكي ضدي وبينا * فتى قد مر لي منه الاخاء

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر امير التراكمة المفسدين وقتل ولده مصطفى في البلا وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا وذلك في شهر رجب سنة احدى وعشرين وثمانمائه

﴿ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله ماثلا مطيعا بين يديه﴾

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد وهو احد ملوك الروم وله في السلطنة قدم مشيد ورث الملك من ابيه وكان مستقلا بالامره وبينه وبين الملوك العثمانيه عداوة موروثة ونفرة وتحت حكمه بعض مدن وقلاع واوعر بقاع منها مدينة سينوب الملقبة بجزيرة العشاق يضرب بنظرائها المثل في الآفاق وهي في البحر من الجرف جزيرة كبيرة سبيل الدخول اليها عسيرة بها جبل احسن من ارداف الحور متصل بجسر ادق من رقيق الخصور وهي معقل اسفنديار ومعاذه وحرز خزائنه وملاذه

أعصى من ابليس وأوثق من كف بخيل يخاف التفليس ومنها قسطمونية تحت
مملكته وبحر فملكه ومنها سامسون وهي قلعة على جانب البحر للمسلمين مقابلتها
نظيرتها للنصارى الجر من بينهما دون رمية حجر وكل منهما آخذة من الأخرى الحذر
وغير ذلك من القلاع والقرى والقصبات في الوهد والذرى ولما بلغه ما فعله تيمور
الغدار مع أولاد ابن قرمان والتتار ومع قرايلوك وطهرتن حاكم أرزنجان والامير
يعقوب بن على شاه متولي كرمان ومن توجه اليه من حكام منتشا وصار وخان وانه
لا يتبع من أطاعه وتلبس لأوامره بالسمع والطاعه سارع الى المثول بين يديه
وتهيأ للوفود عليه فأقبل بالتحف العاليه والنتف الغاليه فقابله بالبشرى
وعامله بالسرا وأقره في مكانه نكاية لابن عثمان ثم أمره وأولاد قرمان ومن
اتسم له بميسم الطاعة والاذعان من أمراء تلك الاكناف والاكنان أن يخطبوا
ويضربوا السكة باسم محمود خان والامير الكبير تيمور كوركان فامتثلوا أوامره
وحذروا زواجره وآمنوا بذلك الغارة والمصادره وتوفي اسفنديار المذكور في شهور
سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من أواخر الملوك الذين وفدوا
على تيمور واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع بينه وبين أخيه قاسم
بك مشاجرات وانحاز قاسم الى الملك مراد بن عثمان ولله الامر من قبل ومن بعد

(فصل) ثم ان تيمور أخرج مال ابن عثمان وغيره من الذخائر واستصفى
الخزائن مما كان ارثا وكسبا للملوك الاوائل من النفائس والاخاير وشتى في ولايات
منتشا وألقى لدروسها مباحث تصريفه كيف شا وانتهى الى أقصاها وحرر
البحث في مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها وانبثت جنوده في آفاقها وغاصت
في بحار ممالكها من أشباح أطوادها الى قرار أعماقها فمن فارع الى جبال جباهها
رقم صياصيها ومن متعلق بآذان مراميها ومتسلق بأذيال نواصيها ومن راكب
أكتاف أكنافها نازل في سواحلها دائس بأرجل سعيه خدود وهادها الانف
جائس بكاهل مناهلها ومن دامغ دماغها بأهداب رماحه لا بل العين بالغ من
غير حاجب لمنها مارام باليد واليدين ومن صال على نهد صدرها تال روسها
ووجوهها للجبين على ظهرها ومن مادانامل تعديه من غير كف الى معاصمها ومرافقها
كاد بأقدام الفساد في بطون معاربها وانخاذ مشارقها بجز الرؤس وحز الرقاب

وفتوا الاعضاد وبقروا الاكباد وحرقوا الاكباد وشوهوا الوجوه وأسالوا العيون وأشخصوا الابصار وبطنوا البطون وأخرسوا الالسنة وصكوا المسامع وأرغموا الانوف وأذلوا العرانين وهشموا الثغور وحطموا الصدور وقصموا الظهور ودقوا الفقر وشقوا السرر وأذابوا القلوب وفطروا المرائر واراقوا الدماء واستحلوا الفروج وأحروا الانفاس وأبادوا النفوس وسبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع وصارت جماعتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما أكل السبع

﴿ذكر فتح قلعة أزمير وسحقها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها﴾

وحاصر قلعة ازمير وهي حصن في وسط البحر ضبطه عسير بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة قلعة قد أقلعت في البحار وأضرمت في قلب خاطبها بتمنعها وعصيانها النار أعصى من قلاع الجبال وأقصى في المنال أن تنال بحبل ورجال فأعد لها أنواعا من آلات المحاصرة وأخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة سادس كانون الاول من السنين الرومية فقتل كبارها وأسر نساءها وصغارها وبنى من أبدان القتلى جوامع وشيد من رؤسها منارها ثم سلب من القلعة غناءها وأوقرها وأقوى من ذخائرها وأوفرها وأخلاها وقد استحق منها أبيضها وأصفرها وطير بهذه الامور أجنحة البشائر وأطارها على رغمه في الآفاق بأسعد فال وأسرع طائر

﴿ذكر ما سنح من أمر مرموم وهو في بلاد الروم من قصده بلاد الخطا واستخلاص ممالك الترك والجتا وافتكاره وهو في الغرب مشغول في استصفاء سائر ولايات الشرق والمغول وكيف عانده القضاء المبرم بنازل الهب فؤاده واضرم فصاده الزمان وعكس غرضه وهذه كالجملة المعترضه﴾

ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه كما ذكر أولا وكان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذا وللعلماء معاذا مخائل السعادة في غصون جبهته لائحة وبسائر النجابة من أسارير طلعته واضحة شعر

في المهد ينطق عن نجابة جده * أثر السعادة لائح البرهان

وسيف الدين هذا هو أحد رفقاء تيمور في مبداه وأس أركان دولته في منتهاه وهما
اللذان كانا بذرا أشجاره وأسسا فيها قواعد النهب والغاره وهي في ثغر بلاد المغول
والجتا وأقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا ووليا بها أميرا
يدعى أرغون شاه وأمداه بطوائف من العساكر وفي ثغر المغول أرصداه كل هذه
الامور بأوامر تيمور ولما شرعا في ذلك لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك لانهم
كانوا يعلمون أن ذلك الافعى اذا جاورهم لا بد انه في الفساد يسعى فلا يؤمنون
غائلته ولا يطيقون مجاورته فتشوشت خواطرهم وتكدرت ضمائرهم فاستوفزوا
للفرار واخلاء الديار فزاد الجغتاي فيهم طمعا ومد كل من أشرار الطائفتين الى
الاضرار يد التطاول وبرجل الفساد سعى وشرب كاسات التحرم فاكل ما حل
بيده وما تزهد في تعففه ورعا وفرح الجغتاي بذلك ووقعت العداوة بين الجانبين
فسد كل على الآخر طرق المسالك وجعلوا يرسلون اليهم السرايا ويصلون بما تصل
يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا وجعل المغول أيضا يفعلون مع الجغتاي ذلك وتربصوا
بتيمور لبعده عنهم ريب المنون وتشبثوا بمشومات المهالك واتصل الخبر بتيمور فسر
بذلك أشد السرور ثم انهما حصناها بالاهبة الكامله والعدة الشاملة والرجال
المقاتله منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان وقوم من جند عراق العرب
وأذربيجان وفرقة من فوارس فارس وخراسان وشرذمة من أناس تدعى جاني
قربان وأضافوا هؤلاء الكماه مع تومان من باشاق الجغتاي الى الامير أرغون شاه
ووصلا الى خجند وقطعا سيحون وقدما سمرقند ووليا بها أميرا يدعى خواجه
يوسف فكان في قيد الطاعة والاخلاص يرسف ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
المشوم ثم انهما ماتا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان في بلاد الروم فوقع
تيمور في الاحزان على حفيده محمد سلطان ولبس عسكره السواد وأقاموا شرائط
الحداد ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم فانهم كانوا السواد الاعظم ثم جهز عظامه
في تابوت الى سمرقند مع عظموت وجبروت ورسم أن يتلقاه أهل المدينة بالنوح
والبكاء ويقيمون عليه شرائط العزا وأن لا يبقى احد من العباد الا ويلبس من
فرقه الى قدمه السواد فخرج أهل سمرقند عند موافاته وقد انغمسوا في السواد
لملاقاته وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما فكأنما أغشي

وجعل الكون قطعا من الليل مظلما فدفنوه بمدرسته الحسينية المعروفة بإنشائه داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمائة ولما أهلك الله تعالى جنده دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده

﴿ذكر حلول غضب ذلك الصياد على الله داد ونفيه إياه إلى أقصى البلاد﴾

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد وفارقه تيمور متوجها إلى استخلاص بغداد وكان الله داد له أنداد وأكفاء وحساد وأعداء وأضداد والحسد خلق صاحبه غل قلق وحاسد إلا كما جرح لا يندمل وسدا أعداؤه للطعن فيه مجالا وفي مقام ثلب عرضه مقالا فانتهزوا فرصة غيبته وأكلوا بالإفك لحمه وتنقلوا بغيبته ووشوا به إلى تيمور وذكروا ما فعله في الشام من الأمور وأنه اختلس من ذخائرها ما لا يحصى واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من أعلاقها ما لا يستقصى وكان كما قالوا وما أعملوا أكثر مما نالوا فبددوا أمره وأوغروا عليه صدره لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين أخيه وكان من الأبهة والمهابة بحيث أن تيمور كان يخافه ويرتجيه وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهوده ونتائج فكر باقية معهوده فلما وصل الله داد إلى سمرقند أعقبه تيمور مرسوما من عنده بأن يتوجه إلى أشباره ويستعد هنالك للنهب والغارة وذلك كالنفي لله داد والقائه في أقصى البلاد وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد وانتقل منها إلى سمرقند أرغون شاه ولم يزل بها الله داد إلى أن انتقل تيمور إلى لعنة الله فجاءت المغول تجوز إلى أشبارة الفيالق ونهب ما تصل إليه يدها من صامت وناطق وتقتنص الفرصة لبعد تيمور عنها وكان الله داد يحترز أشد الاحتراز منها وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد ويحفر لهم بالمكر الآبار والأخاديد ويقتل ويأسر ويطحن ويكسر حتى أقواها بعد تيمور وسيأتي ذكر هذه الأمور

﴿أنموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط وما كان يصل إليه غواص فكره النشيط﴾

ثم لما كان تيمور بالمقوم بمخيمات بلاد الروم أبرد إلى الله داد مراسله فيها أمور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وإرسال الجواب بكيفية حالها منها أن يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر كيفية مدنها

وقراها وعمدها وزراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها
وأوعارها وصحاريها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها
وشعابها ومضائق طرقها ورحابها ومسالكها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها
ومخاليها وأهاليها بحيث يسلك في ذلك طريق الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز
وخصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين وكيفية السير بين كل مرحلتين
من حيث تنتهي اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك
الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند وعلم تيمور وليعلم ان مقام
البلاغة في معاني هذا الجواب هو أن يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل
وأطناب وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق
الخفي في هذه الرساله الى أن يفوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم وتعريف
الدمن مضغة الشيح والقيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن
هيئة وآنق تمثال وهو أنه استدعى بعدة أطباق من نقي الاوراق وأحكمها
بالالصاق وجعلها بصفة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك
الاماكن وما فيها من متحرك وساكن وأوضح فيها كل الامور حسبما رسم به
تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء
وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل
مكان ورسمه وتمييز طريقه ووسمه بحيث انه بين له فصله ووصله وأبرز الى عالم
الشهادة غيبه حتى كأنه مشاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترح
عليه كل ذلك وتيمور في بلاد الروم يمور

﴿ذكر ما فعله ذلك المكار عند تجهيزه أمر الروم من الغدر بالتتار﴾

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى السكون من أفعاله العجب
وأهل الروم النهب وجيشه من الغارة الوطر وامتلأ من المغانم وادي سيله العرم
وكان في الربيع قد أدرك وشيخ الشتاء قد هرم واندرج الى رحمة الله المجيد
السلطان السعيد الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد وكان معه مكبلا في قفص من
حديد وأغاه فعل ذلك تيمور قصاصا كما فعله قيصر مع شابور وكان قد استصحبه

الى ما وراء النهر فتوفي معه في بلاد الروم في آق شهر وفي هذا المكان توفي
حفيده محمد سلطان وعزم على الرحيل وحزم أحمال التحميل ثم جمع رؤس
التتار وقد أحضرهم الدمار والبوار وقال قد آن أن أكافيكم بما صنعتم
وأجازيكم بما فعلتم ولكن قد أضر بنا المقام وهذه الاقامة في مضائق الاروام
فهلم نخرج الى الفضاء الفسيح ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان في المهامه
الفيح ضواحي سيواس ومتنزه الناس ومثوى الاكياس فهناك نضبط أحوال
هذا الاقليم الوريف ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه رأينا الشريف فانه لابد
من تفصيل جمله وامعان النظر في كيفية تدبيره وعمله وحصر مدنه وقلاعه
وضبط قراه وضياعه وحسبان قوانينه واقطاعاته والاحاطة بأفراده وجماعاته
فاذا فصل لنا ما أجمل ووضح عندنا ما عنه استشكل خصصنا رؤسكم وجماجمكم
وتوسلنا الى معرفة أخباركم وتراجمكم وجمعنا رؤساءكم وحصرنا زعماءكم
وأحصينا أعدادكم واستقصينا آباءكم وأجدادكم واعتبرنا اخوانكم وأولادكم
ونظرنا متعلقيكم وأحفادكم وحققنا شعار الروم ودثارهم وأورثناكم أرضهم
وديارهم ثم فرضنا هذه المسألة على أعداد الرؤس وقسمنا نفائس هذه الممالك
على النفوس ثم رددناكم اليها مكرمين وكفيناكم عيالكم العيلة اذ كنتم علينا
معوانين وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله ونبقي عليكم من أعمالنا
ما يتخلد في بطون الدفاتر والتواريخ نقله فكل منهم ارتاح لهذا القول وعول
في هذه المسألة على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من الهول فلما توافقوا على هذه الحركة
بنفس ساكنة لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المماثلة مباينة
فسار بالناس حتى بلغ سيواس

(فصل) ولما برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس ورعد وحان له
أن يقطع طائفة التتار بما وعد جلس بجلسة عامة وأقام زبانية الجند طائفة طائفة
ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس والطوور والفرس ومن تخشى مضرته وتتقى
معرته والمردة من شياطينهم والعتدة من أساطينهم فاستقبلهم بوجه طلق
ولسان بالحلاوة ذلق وأجلسهم مكرمين في أماكنهم وزاد في تمكينهم وامكانهم
ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها وتبينت جميع قراها وضواحيها وقد أهلك الله

عدوكم فاستخلفكم فيها وأنا أيضا أفوض ذلك اليكم وأذهب عنكم واستخلف الله
عليكم ولكن أولاد بايزيد غير تاركيكم ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم
وأما صلحهم فقد سدت فعالكم مع أبيهم طريقه فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقة
ولا شك أنهم يرأبون صدعهم ويندبون جمعهم ويستوعبون عليكم أهل المدر
والوبر ويلبيهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم لأنكم في زعمهم آل غدر فيلبسون
لكم جلد النمر ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر فيقرضونكم من كل جانب
ويتخطفونكم من الأطراف والجوانب لاسيما وبيدهم غالب الحصون والعساكر
وتحت أوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر فان كنتم كما أنتم في الناس
فوضى فانهم يخوضون في دمائكم خوضا فعوا واسمعوا ان كنتم لم تعقلوا
ولم تسمعوا شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وأما أنا فلست منكم بدان ولا الى المداهنة عنكم بدان فلا بد لعقد أمركم من نظام
والصلاة جماعتكم من امام بشرائط وأركان يجب القيام بها أولا والسلام وأول
شرائط ذلك الامام يرجع الى الابتداء بأفعاله الخواص والعوام ثم بعد ذلك
ترتيب الجماعة وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعة ثم وضع الأشياء في محالها
وزمام المناصب والوظائف في يد أهلها وايصال كل مستحق الى استحقاقه وجمع
الرأي على أمر واحد باتفاقه فاذا اتفقت آراؤكم وائتلفت أهواؤكم وعظمت
أبناؤكم وكمدت أعداؤكم وكنتم يدا واحدة على من ناواكم وانتصرتم على من
عاندكم وعاداكم وكان ذلك أحرى أن لا تمتد اليكم بمكروه يد ولا ينال أحدكم من
مخالفيكم كيد ولا كد وهذا الغاية بالنظر في أحوالكم والتفحص عن أمر
خيلكم ورجالكم وضبط الأهبة والسلاح فان ذلك آلة الظفر والفلاح فليحضر
كل منكم ولده وأهله وليحضر خيله ورجله وليأت بعدده وعدده وجنده وولده
وليعرض ضرورته ان كانت ولا يستصعبها فقد هانت فمن كان محتاجا الى كمال
شيء أكملناه ومن كان محتاجا الى ايصال شيء أوصلناه وأضفناه الى كل
ما يجب اضافته فيحصل أمنه وتذهب مخافته فاعرضوا أول شيء علينا سلاحكم
حتى نكمله ونعمل صلاحكم وأحضر كل منهم أهبته وعرض عليه عدته وطرحوه

فى ذلك الجمع العظيم فترا كم فكان كالطود العظيم كما فعل أول الزمان بأهل مدينة سجستان فلما ساب تلك الاسود بزاثنهم وأنيابهم بهذه الاساليب وشاب أولئك الكواسر الجوارح على مناقيرهم والمخاليب وأوثج صارم فكره الذكى فى أحشاء عقولهم وأنزل وصار سهام سماء عزمهم الرائح وقد نحره سعد الذابح أعزل أمر كل من عنده أحد من التتار أن يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار ثم أمر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه وقد أشعل قبائل التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه ففت ذلك من اعضادهم وبت من اكبادهم وقصم ظهورهم واشعل نارهم وأطفأ نورهم ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه واستعطف قلوبهم بالامانى الخائبه واستصحبهم بالاقوال المموهه والافعال المشوهه ومال بهم الحال وأمر فى الحال بالمسير والترحال قيل ان السلطان بايزيد قال لذلك العنيد انى قد وقعت فى حبالك واعلم انى غير ناج من معاطبك وانك غير مقيم فى هذا الاقليم ولى اليك ثلاث نصائح هى بخير الدارين لوائح أولاهن لا تقتل رجال الاروام فانهم رداء الاسلام وانت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين وقد وليت اليوم أمر الناس وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس فان حصل لوفق اتفاقهم من تعدى يدك ببسط وتكسير تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ثانيهن لا تترك التتار بهذه الديار فانهم مواد الفسق والفساد ولا تهمل أمرهم ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم ولا تذر على أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم تأجوها من قبائلهم نارا ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا وهم على المسلمين وبلادهم أضر من النصارى وانت حين تأخذهم عن زعمت انهم أولاد اخوتك وبنو عمك وذوو قرابتك والاولى بجماعتك وناسك ان تتبعك ويكل من اولاد أخيك ان يقول لك هم خذنى معك فاعمل أفكارك المصيبة فى اخراجهم واذا أدخلتهم حبسا فلا تطمعهم فى افراجهم ثالثهن لا تعد يد التخريب الى قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة والمجاهدين وهذه أمانة حملتكها وولاية قلدتكها فتقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول واستكثرها على عقل ابن عثمان ووفى بها بقدر الطاقة والامكان

(ذكر ارتفاع ذلك الغمام بصواعق بلائه على ممالك الأروام)

وسار فثار غبار أخذ عين الشمس منه الإبصار وفار بحار التتار فكأن البحر
أمده الله بسبعة أبحار فلا يدخل قرية إلا أفسدها ولا ينزل على مدينة إلا محاها
وبددها ولا يمر على مكان إلا دمره ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد إلا كسره
ولا يقع عليه شمراخ حصن شامخ الا قصره فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى
أرزنجان وقرره فى ولايته وزاده بعض معان ومغان ووصاه بشمس الدين
الذى ولاه قلعة كماخ وأن يكون كل منهما للآخر قوة وطباخ

(ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى)

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجى حتى أرسى على بلاد الكرج وهم قوم يعبدون
المسيح ممالكهم غير فسيح ولكنهم محصنون بواسطة قلاع وحصون ومغاير
وكهوف وجبال وجروف وقلاع وحروف وكل من ذلك أعصى فى المنال من
نفس كريم سيم شيم الانذال ومن مدنهم تفليس وكان أخذها ذلك الابليس
وطرابزون وابخاص وهى التخت بالاختصاص فقصدت هذه الاماكن عليه
ولم تسلم قيادها اليه فأقام يحاصرها وقعد يناقرها وينافرها فى ذلك مغارة بابها
فى وسط جرف شاهق آمنة من البوائق سالمة من الطوارق وسقفها آمن من
صواعق المجانق وذيلها أرفع من أن يتشبث به علائق السالق مدخلها أخفى من
ليلة القدر وعدم التوصل اليها أجلى من القمر ليلة البدر فأولع بمحاصرتها
والتزم بمضاجرتها واستعمل من فكره مهندسه وجعل لا يقر من الافكار
والوسوسه ثم أنتج رأيه المتين وفكره الرصين أن يرسل عليها عذابا من فوقها
وأن يصطاد تلك الحمامة الصاعدة فى الجو بأرجلها من طوقها فأمر أن يصنعوا له
توابيت على هيئة الدبابات كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات وأوثقهن
بالسلاسل المحكمه وأوسقهن بالرجال ذوى الشكيمه وأدلاهن من تلك القلال
وأهواهن من شواهق الجبال فتدلين فى الهواء تدلية مبرم القضاء فلأن
النفانف وأرجفن من الجبال والرجال الرواجف وصار لسان حال تلك الصقور
والشواهين ينادى كل من رآه ألم تر الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن

الا الله فحين وازروا باب تلك المغارة كبتوهم بالنبال الشجارة وكفوهم بالمناصل
الطيارة وهاوشوهم بأنواع الاسلحة وناوشوهم بالأوهاق والكلاليب المفلطحة
فلا زالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن ويقبلن الى ذلك الوكر حائمات عليه
ولا يعرضن ينقرن أسرة أهله بمناقير المناقيب وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب
ويكره الناشزة انهم على الولوج وتستعين في مدافعتهم عن قهامس العلوج فلم
ينشب أحد من أولئك الجوارح ان أنشب في الباب كالوية الخارج ثم استقصد
الفتح واستنهض الظفر واعتمد على الله من دبابته الى الوكر ظفر فاستفتحه
ساعدا المساعدة واكتنفه عضد المعاضدة وقبض على رسغه كف السلامة
فنكصت النصارى على عقبهم أمامه ولم يزل وحده يبيدهم حتى قتل اوباشهم
وصناديدهم ثم أدخل رفقته فيها وأخرجوا ما كان في مخابيها واسم هذا الرجل
هراسب ستة أحرف ليس فيها شيء متحرك الا اللام مضمومة والهاء والراء مفتوحة
والالف والسين والباء واجتماع ثلاث سواكن في الفارسي كثير وفي التركي
أيضا موجود ولكنه عزيز نزر غير غزير ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة حروف
ذاتها كحروف اسمها بمشاهدتها ناطقة لا يعمل في فتحها الارتقاء لها لعل وليت لان
اسمها كما زعموا قل كوركيت اى تمثال انظر وارجع بمعنى انه لا ينال الواحد
عليها سوى النظر اليها ثلاثة أطرافها مبنية على قلل الاكام شمخت على
ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام وطريقها من الوجه الرابع
وهد دقيق في سلوكه عسر ينتهي بعد أنواع المشقة الى جرف منقطع بينه وبين
باب ذلك الحصن بجسر اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل
وأعاذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن جبل فلما اطلع على حقيقة
امرها وانكشف له مستور سرها أبي أن يرحل عنها الى أن يصل الى غرضه منها
ولم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه ولا أرض يحمل ذلك الجمع الطامي ويحويه بل
انما كان حواليها جرف وهضاب شضون حيناتها كأنها وجه شوهاء ناشز من
زوج محب عقاب في عقاب فطمع منها في غير مطمع ونصب سرادقه بحيث كان منها
بمرأى ومسمع وصار من عساكره الاسود الخوادر يتناوبون حصارها ما بين
وارد وصادر وهم يرفعون الجسر بالنهار فيأمنون مكائد القتال والحصار لانه قد

تقدم

تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال ولا مفحص قطاة يتمكن فيه النضال فكانوا
يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع
العشاق فاذا أجنهم الليل شمروا الى جهة خيمهم الذيل لانهم لم يمكنهم حواليها
مبيت ولا مقيل فتضم النصارى الجسر ويرمون الى حاجاتهم السبيل فلما لاح له
منها امارات الحرمان وبان له ان أمل ظنه من فتحها قد مان كما قالت

واعظم شئ في الوجود عناء * نتاج مرام من عقيم زمان

صمم العزيمة على الرحيل ولكن خاف العار فطلب لهذه المسألة الدليل والتعليل

﴿ذكر سبب أخذه هذا الحصن المنيع وبيان معالي ما جرى في ذلك من صنع بديع﴾

وكان في عسكره شابان نديدان أسدان حديدان يتشابهان في الخلق والخلق
لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق يتجاريان في كل وقت في ميدان
المناقب لاحراز قصب السبق فكانا كفتي ميزان وفي مضمارهما فرسي رهان
فاتفق ان أحدهما صادف علجا من الكرج في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج
فنازله ثم قتله وقطع رأسه والى تيمور حمله فعظم شانه وأعلى على الاقران مكانه
فأثر ذلك في نديده فكأنه قطع حبل وريده ثم افتكر في شئ يصنعه يضع من
نديده ويرفعه وكان اسمه بير محمد ولقبه قنبر فلم يرا كبر من مراقبة ذلك الجسر ولا
أشهر فاعتمد على الله سبحانه وحده واستكمل ماله من اهبة وعده ورصد
نجمه في بعض الليالي واطاف بمكان خالي ولا زال يترقب النجوم ويترصد
عليهم طوالع الانقضاض والهجوم ويشمر تلك الليلة بيده ويذرع ويمشي تارة
على بطنه وأخرى على أربع الى أن طرح الضوء نقابه وسلخ الجو اهابه ورجع
النصارى الى كسرهم وتعاونوا على رفع جسرهم ظفر بير محمد الى الجسر فقطع
حباله وتابع عليهم من حتفه نباله ولم يمكنهم من رفعه ولا غيروه عن
وضعه فتراكموا عليه بالنبال والاحجار وأرسلوا عليه من ذلك السحاب المدرار
وهو لا يردعه عما هو بصدده ولا يلتفت الى حتفه ويتلقى ما يصدره من مراسيم
نبالهم وأحجارهم بالقبول على رأسه وعينه ولم يزل على المكافحة والمناطحة
والمكاشحة والمكافحة حتى تعالى النهار ونهض العسكر من غفلة أغفله التعب
وأخذ عين المكان الانبهار وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيمور قد عزم

كأنه كر على الترحال وكان سرادقه منصوبا بمكان عال فناداه لسان الفتح وخاطبه
منادي النجح شعر

لا تيأسن من مطلب * قطع الورى أسبابه
ان أغلقوا أبوابهم * فالله يفتح بابه

ثم رأى على باب القلعة من بعد كان ناسا يتواثبون واشباح طائفة يتكالبون
ويتضاربون فقال لقبيله أي أولي النجدة والعون اني أرى ما ترون فأمعنوا في
النظر ثم أمعنوا واغضوا المتنكر وأتوني بحقيقة الخبر فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا
ويستكشفون لسرائره سترا وهم ما بين عاد دون الفراعدي وجار من الاسد الجري
وكل منهم في عدوه وعداوته تأبط شرا ولما نزلوا الجبارون على ذلك ارسالا وترى
كأنهم الشياطين غواص ووثاب وعداء وطيرا حتى أدركت مقدمتهم بير محمد وهو
في غمرات الموت بناره يتوقد وقد صار لسهامهم غرضا وكاد جوهره يصير عرضا
فلما رآهم من بعيد عاش وحصل له الانتعاش وزال عنه الارتعاش وتلاحقت
بهم الصناديد فكفت عنهم تلك الافسال الرعاديد وحين عجزوا عن رفع الجسر
وولوا الاعقاب عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب فاختلط بير محمد معهم
ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم فدقوه بالسيوف ورضوه بأحجار الحتوف وهو
يأبى الا المدافعة ويحتد وافي مراصده لم انه لا يشعر بما ناله من رض الحجر
وجراح الحديد كأنه مشاكله غراه الفنا في الفناء في التوحيد الى أن غشيتهم تلك
الليوث واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث
فتشبثت أسود المنايا بتلابيبهم وخلصوا بير محمد من مخاليبهم ثم قبضوا على
النصارى وأسروا اماطهم فبأوحر عهم سبايا وأولادهم أسارى وحملوا الى تيمور
بير محمد واخبروه بما قصده في ذلك وجهد وتعهدوا ما به من جراح أدمى فاذا هي ثمانية
عشر جرحا كل منها أدمى فشكر له فعله ووعده مواعيد جزله وأسلاه الحل العزيز
ووجهه الى تبريز وأمر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء أن يجمعوا عليه
كل نطيس من الاطباء وخريت من الاساة بحيث أن يبذلوا في معالجته جهدهم
ويستوعبوا في أساة كدهم ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل فامتثلوا
مراسيمه وعالجوه بأمكنهم وأراحوا العلل فاندملت جروحه وبرئت أحسن ما

كانت قروحه فلما اندمل والى تيمور وصل جعله أحد قواده ورئيس طائفة من
أجناده وقدمه على كثير بعد ان كان خلف وصيره أمير مائة فقدم ألف

﴿ذكر ما جرى للكرج مع تيمور شيخ الهرج﴾

وهذه القلعة والمغارة كانتا في قلاع الكرج دنارا أعلامهم والبواقي سرج
حين قلعت من وجوههم عيناهم تيقنوا أن قد زال بهم عناهم وأحاط بهم عزاهم
فانحلت قواهم وانخرمت عراهم وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة وتجهمت
بهم الى جهنم الزبانية وأسلمتهم السلامة وتفاءل تيمور بحصول الفلج وانثنى
عزمه الى استخلاص ممالك الكرج وانبثت شياطينه بها فأزتهم أزا وقدت
ثوب حياتهم فقدوا وجزتهم جزا وخاطت لهم أكمان المنايا بالسلاح فارستقتهم شلا
وكماودرزا وتلا عليهم لسان الانتقام ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم أزا

﴿ذكر طلب الكرج الامان واستشفاعهم الى ذلك الجاني
بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان﴾

فاستدركوا تقصيرهم واستنهضوا تدبيرهم ورقعوا خرقهم قبل الاتساع ووصلوا
حبل حياتهم قبل الانقطاع واستغاثوا الامان الامان واستعانوا في خلاصهم
بالشيخ ابراهيم حاكم شروان وألقوا الى أيادي تدبيره الزمام ورضوا أن يكون
لجامهم وان كان على غير ملتهم الامام وجعلوه خطيب ذلك الخطب واستحلوا
ما ثمر لهم سعايته من يابس ورطب وكان اذ ذاك حوش المصيف بجمع الكرج
قد راب وجنود والخريف والشتاء بجيش تيمور قد أظلت وسلطان البرد
قد صقل فرند المياه وجرد ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية ونصب على تلك
الجبال الصيوانات البلارية وألبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع
الداودية فكان ما في الكون من جوامد ونوام من جملة عساكر تيمور وحامله او
خدام قلت شعر

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه أنصارا
واذا أراد خلاصه من هلكة * أجرى له من نارها الانهارا

فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له فى شوكه أزهارا

فدخل الشيخ ابراهيم عليه وقبل الارض بين يديه وحياه بتحية الاكاسرة من الملوك ووقف فى مقام أصغر مملوك ثم استأذن فى الخطاب واستلطف فى رد الجواب فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير وحسن حنوه على المسكين والفقير وشمول عاطفته الكريمة ورحمته المنيفه حملت المملوك على عرض ما عن له على الآراء الشريفه وهو أنه بحمد الله المرام حاصل والمراد على وفق الاختيار متواصل وهيبة مولانا الامير فى الشرق والغرب أغنته عن الاستعداد للضرب والحرب ثم ان العساكر المنصورة أكثر من أن تحصى وفيهم من الاسرى والمرفق الحال ما فات عن الاحصا خصوصا جماعات التتار الذين ولى سعدهم الادبار وأحلوا قومهم دار البوار قد أضر بهم البرد وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد فان استمرت الامور على هذا الدستور رق الجليل وهلك الرقيق ودق العظيم وانطحن الدقيق وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم محال الا بأمرك أن تستقيم وان رؤساها من الفجرة والفسقه علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقه فراموا العلة المجاورة على المملوك ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغنى الكريم المحتاج الصعلوك ومهما برز به المراسيم المطاعه تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعه وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه وان كان المقصود جمع مال فالمملوك يقوم به على كل حال وأنى للمملوك مال الا من صدقات مولانا الامير وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة من الجانبين وتيسير الامر العسير ورعاية لحق الجوار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار والرأى الشريف أعلى وأحرى أن لا يخيب رجاء المملوك وأولى فأجابه الى سؤاله وطلب منه مالا عريضا سواء كان من مالهم أو من ماله فقال الشيخ ابراهيم أنا به زعيم وأبلغ ذلك الى خزانته أتم ابلاغ ثم رحل وأكمل شتويته فى قراباغ وذلك فى سنة ست وثمانمائة

(ذكر ثنى عنانه الى أوطانه وقصده بلاده بعد استكماله فساده)

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان واقام مزين الجمادات قوام الزمان

وتأججت القوى النامية وتبرجت مخدرات الذرى السامية وشبت الجمرات
ودبت الحشرات تحرك لترحيل ذلك الافق ونفث على هوام اموات الزمهرير من
احياء عساكره فاذا هي حية تسعى فدق الكوس تجاوب صداه الرعد القاصف
ولمعت مرايا اللبوس فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وعرض قبوله في
الترس فاحاط بالاطواد قوس قزح وسير خيوله في اللبوس فتجلت كتائب
الكثبان بشقوق الورد والريحان خائلة في ذلك البر المنتزح ومارت الجمال فزرت
الجبال مر السحاب وسارت الرحال فصعد العنان من النقع الضباب وفرعت
الذوابل فاذا رطب الاغصان مقاتل وهزهزت القواصل فانساب في الفصل
مرهف الجداول ونضنضت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات العذبات
ونشرت أعلام الكتائب فانبثت أشاهير الازاهير على عقبات العقبات وعلى
الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه وبرعوده صواعقه وبخمائله وروابيه
زرابيه ونمارقه وبركامه قتامه وبشقائقه أعلامه وبأشجاره المزهرة خيامه
وبأغصانه رماحه وبعواصف أمره ونهيه رياحه وبكتائبه السود كتبه الخضر
وبأزهاره الزرق مزارقه الزهر وبسيوله الجارفة سير جحافله وباضطراب بحره فيالقه
تموج خمائله عند هبوب أصائله واستقر بين ذلك العرار والرند قافلا بالبال الفارغ
الى سمرقند فسار والسرور نديمه والحبور حريمه والاقبال مسافره والنشاط
مسامره وبين التفريط والافراط موارده ومصادره حتى قطع ولايات اذربيجان
وحل ركابه بممالك خراسان وفي خدمته ملوك الاقاليم وأرباب التيجان

(ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله)

ولما تسامعت أقطار البلدان أنه قفل قاصدا الاوطان أقبلت اليه الملوك من
اطرافها والمرازبة من أكنافها وسارع الى استقباله المدارة والجحاجح وتبادرها
وراء النهر وغيرها السراة والمراجح وتطاير اليه من الاقاليم أساطينها ومن
الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها ومن كان مرابطا في ثغر ومواظبا على أكيد
أمر أرسل نائبه أو قاصده أو حاجبه أو رائده يتباشرون بقدوم أقدامه ويهنئونه
بما فتح عليه من هنده وعراقه ورومه وكرجه وشامه ويقدمون التقادم والحمولات
ويهيئون الضيافات والاقامات ثم أردفهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء

ورؤساء الالوية وعرابدة الرؤساء فجعل يدعو كل واحد منهم معا ويأمره
فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا ودهشا ويعهد له فيما ولاه قواعد ومبانى فلا ترى
فيها عوجا ولا أمتا ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه وأجازه ووصل الى جيحون وقد
أعدت له السفن والمراكب لجازه فخرج أهل المدينة للاستقبال وكل منهم منشرح
البال ملتئم الحال فدخل سمرقند أوائل سنة سبع وثمانمائة ومعه من طوائف
الأمم الاثنان والسبعون فرقة وأكثرهم قدرية ومرجئة ثم أذن لمن اختاره من
العساكر فتفرقت والطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت

(ذكر توزيعه التتار رسالا شرقا وغربا يمينا وشمالا)

فلما استقرت به الدار أخذ فى توزيع التتار فكانوا ذوى عدة وعدد ونجدة
وشدة فخشى سلبهم عدته كسر شوكتهم وشدتهم ولكن أرق الله عدتهم لخلاف
لذلك نجدتهم فشتت جمعهم وأقوى من استماعهم ربعهم فبذرهم فى فياف
وبطاح وزرعهم فى قفار وضواح وبددهم فى أقطار عناء وبراح وبددهم فى أقطار
بكاء ونواح فسد بروقهم أفواه الثغور وأوصد بظهورهم أبواب النحور فجهز
طائفة الى كاشغر وهو بين حدى الخطا والهند أحد الثغور ووجه فرقة الى دوبرة فى
وسط بحيرة تدعى أسى كول وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول فصادفهم بعض
السعد فانقطعوا عن أضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد فادهوا منهزمين
ولم يلووا وأخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ايدكو ثم أضاف
سائرهم وقبائلهم وعشائرهم من كل حزب أتواه الى أرغون شاه وجهزه بعزم
وحزم الى ثغور الدشت وحدود خوارزم وهذا كان تدبيره وما بنى عليه أوامره
وأموره فانه كان من الشياطين النقالة وفى المكر واللعب بالناس كدلة المحتالة
كلما بغى فى قطر قلعه أو استولى فى ثغر من ثغور المخالفين على بقعة أنزل بها من
العساكر من هو فى أقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر ونقل اليها من
لها من الرجال ان كان فى الشمال الى اليمين وان كان فى الجنوب الى الشمال فانه
لما استولى على ممالك تبريز وما والاه استناب فيه ولده لصلبه أميرانشاه وأمده من
الجغتاى بطائفة غلاظ شداد منهم خدايداد أخو الله داد ونقل الى أطراف

الخطا وتركستان طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان وولى عثمان بن
التكريتي الذي أخذه من الشام نيابة مدينة سيرام وهي من سمرقند الى جهة
الشرق نحو من عشرة أيام وولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو
أربعة أيام وهما كورتان مختصرتان وراء سيحون من معاملات تركستان وهما
كانا أقل من أن يذكرا أن يصيرا حكاما وأمرا وانما فعل ذلك لينتشر في أطراف
الممالك أن عنده من رؤساء الشام جماعة من أعيان الاعلام وان في جملة
من انخدم رؤساء الامم حكام العرب والعجم وان ذلك الطرف جال وسطا وملك
ما بين الشام والخطا

فصل ثم أخذ يتفقد ما حدث في غيبته من أمور بلاده ورعيته ويتفحص
عن قضايا الممالك ويسلك سلوك الممالك ويدبر مصالح الاطراف والثغور
والاكناف والجسور ويراعي أحوال الكبير والصغير ويتعاطى مصلحة الغني
والفقير ويضع الاشياء في محلها وزمام الوظائف والمناصب في يد أهلها ويبادر
عما قال الشاعر

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل
نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وأخذ يربي السادات ويكرم الاولياء ذوي الكرامات ويبجل العلم وأهله
ويعلي الفضل ويعز محله ويقلع المفسد ويقمع المارق ويخنق الزاني ويصلب
السارق حتى استقامت في زعمه أمور السياسه وتمت على تورة جنكيزخان قواعد
الرياسه

*ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع بخاتمة خواتيم سيآته
ووافى باستيفائه رائد وفاته*

ثم شرع في تزويج حفيده أي ولد الولد أولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه الذي هو
في يومنا هذا أعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من قبل أبيه وأمر
أهل المدينة أن يشرعوا في الزينه وأن يرفع عنهم الكلف والمظالم ويعفي عن
الطرحات والمغارم ويبسط لهم بساط الامان ويعامل الكبير والصغير والرفيع

والوصيع منهم بالفضل والاحسان وأن لا يشهر في ممالكه سيف ولا يجري فيها ظلم ولا حيف وأن يحضر جوازي منهم الى مكان نحو ميل من ضواحي سمرقند يدعى كان كل هواؤه أذكى من المسك وماؤه أحلى من القند كأنه قطعة من روض الجنان غفل عنها خازنها رضوان قلت شعر

رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال

روائح هوائه ألطف من نسيم السحر وروائح مائه أعذب من ماء الحياة صفاء بلا كدر وتغار بطيوره ألذ في الاسماع من نغمات الناي على الوتر قلت

بساط زمرذ نثرت عليه * من الياقوت ألوان الفصوص

وقيل شعر

كأن مدور الازهار فيه * ورادفي محاسنه تنضد

صحاف من لجين أو عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد

فهذي حشوها مسك فتيت * وهذى ضمنها تبر مبدد

أراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها أكماما من زبرجد

صباغ القوة الخيالية يتعمل لخلط أصباغ النقوش من تشاهير أزاهيره ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من نضار تصاويره قلت

كأن رباه سماوات هبة * شمس بأنواع الحلي مرصع

أفسح من أمل حريص طامع في جدوى كريم ناعم وأنزه الابصار والبصائر من غض شباب زاه زاهر ساعده الدهر بوجه بسيط وأدب كامل وعمر طويل ومال وافر وهو أحد الاماكن المذكوره والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهوره ومبدأ السعد الذي سهامه بالنعم موفرة موفوره قلت

شقائقه خدود ناضرات * تحشت من سواد المقلتين

فما كرتيمور مع أنه البحر المتلاطم فيه تضاهي بني اسرائيل في قطر من أقطار التيه ثم أمر الملوك والسلاطين وأرباب التيجان من الأساطين أن يحضروا اليه ويتجهزوا لديه وفرز لكل منهم في ذلك المرج مقاما ورتبهم ميمنة وميسرة ووراء وأماما وأمرهم أن يظهروا ما أمكنهم من تجمل وتحسين ويضرب ماله من خيام وقباب متكاملة بأنواع النقوش والتزيين ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان

ورؤساء الامراء والاعوان في ذلك الروض الاريض والمرج الطويل العريض
فاخرج كل منهم ما حواه وكثر نظراءه لينظروا ما قدمت يداه وفاخر ذووا الفخار
منهم وباهى واستقصى في المباهات والمفاخرة وتناهى فنشروا عاطوت صحائف
أيامهم على جمعهم اياه من جلائل آثامهم من طرف أطراف الأقاليم والامصار
وتحف جواهر المعادن والبحار ونفائس ذخائرهم واعلوا النفوس وأطبوا الانفاس
وعرائس أعاثرها واعلوا الكؤوس وسرقوا الأكياس ما أزرى على زهر تلك
الروضة الخضراء بالانجم الزواهر وأسرى منظره البهيج سرايات المسرات الى
سر السرائر فزاد حسن حديث ذلك المكان وغدا وعلا قدره بهجة على كل أرض
وسما ثم أمر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الداره ونقطة دائرة تلك الافلاك المداره
وهي سور محيط مضروب على ماله من خيام وقباب منصوب له باب واسع يدخل
فيه من دهليز شاسع على ما فيه من معان ومغان وله قرنان شامخان تنكسر لهما
الرؤس وتذهل عند مشاهدتهما النفوس ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين
ونصبوا له داخل هذا الجناب عدة من الخيام والأخبية والقباب ومن جملتها قبة
أعلاها وأسفلها بالذهب مزركش وظاهرها وباطنها بالريش مريش وأخرى
كلها بالحرير محبوكة وبأنواع النقوش وألوان الاصباغ مبنية مشبوكة وأخرى
من فرقها الى قدمها مكللة باللآلئ الكبار التي لا يعلم قيمتها احد الا عالم الأسرار
وأخرى مرصعة بأنواع الجواهر على صفائح الذهب مدهشة الابصار والبصائر
وجعلوا ما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا
عليها يتكئون وبين ذلك الاوراق المنقشه ورواقات الاخبية المزركشه
والمساطيط والأبنية المدهشه وفيها من أنواع الحبش الجالبات لبرد العيش
والمنافع والمرافق والمطابخ والمعالق وأظهروا الذخائر الغريبه وأرخوا على ذلك
الستائر العجيبه ومن جملتها ستارة جوخ كان أخذها من خزانة السلطان بايزيد
قطعة واحدة عرضها أكثر من عشرة أذرع بالذراع الحديد منقشة بأنواع النقوش من
صور النباتات والبنيان والعروش واشكال الهوام والطيور والوحوش وأشخاص
الشيوخ والشبان والنساء والصبيان ونقوش الكتابة وعجائب البلدان
والعروق اللامعة وغرائب الحيوان بألوان الاصباغ المبالغ في أحكامها واجادتها

أحسن بلاغ كأن صورها متحركة بتماثيلها وثمارها الدانية لاقتطافها تنادي لك
وهذه الستارة أحد عجائب الدنيا وليس المستمع كالرائي ونصبوا أمامه سرادقاته
بمقدار شوط فرش الصيوان الذي يجتمع المباشرون فيه وأرباب الديوان وهو حبتر
عالي الذرى شامخ في الهوى له نحو من أربعين أسطوانه وعواميد وأسوار شيدوا
عليها أركانه وسددوا بنيانه يتسابق الفراشون الى أعلاه كالقرده كأنهم مسترقو
السمع من الشياطين والمرده ويتبادرون على سطحه حين يرفعونه بعد بطحه
﴿فصـــل﴾ وأخرج أهل المدينة ما عندهم من تجمل وزينة ونصبوه تجاه تلك
السرادقات على مد البصر وتأنق كل واحد من أهل البلد بما وصلت اليه القوى
والقدر واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته وبالغ كل من أرباب الصنائع فيما
يليق بصنعته حتى أن ناسج القصب أخرج فارسا كامل الاهبه واستقصى في
اكمال هيئته حتى أظافره وهدبه واستوفى دقائق ما يتعلق من الآلات كقوسه
وسيفه وسائر الاستعدادات كل ذلك من القصب ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب وصنع القطانون من القطن صبية رائعة بديعة محكمة ذات قد
رشيق وصنع وثيق ومنظر أنيق ببياض جسم يسمو على الحور وكمال قوام يعلو
على القصور ونصبوها فصارت بحسنها تستوقف النظاره وبعلو قامتها ترشد في تلك
المهمة الحاره حتى غدت علما للسياره وعلى جوامع تلك الابنية مناره وكذلك أهل
الحرف من الصواغين والحدادين والخفافين والقواسين وسائر الطوائف
وأرباب الملاعب واللطائف ولقد كانت مع رقة نسيم الافاضل ومحط رحال أهل
الفضائل فرتبت كل طائفة ما أخرجته على حدة في مكانه امام سرادقاته وصيوان
ديوانه ونصبت وراء ذلك كله الاسواق وضربت بين الناس بوقات الابواق
وزينت الفيول وجياد الخيول بأفخر لباس وأطلق عنان الرخص والتمتع بأنواع
الملاهي والملاذ للناس فسارع كل طالب الى مطلوبه واجتمع كل محب منهم مع
محبوبه من غير أن يتعدى أحد على أحد أو يستطيل أعلى من يكون على أدنى من
يكون من الجند وأهل البلد أو يجري تعد ما من شريف ما على وضيع ما
﴿فصـــل﴾ ولما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته وأخذت الارض
زخرفها وازينت من جنده وأهل مدينته وتوجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته

وخرج على قومه فى زينته ثم أمر أن تجرى يواقيت الصهباء على زبرجد ذلك المرج الاخضر وسباها الكل ناظر وهام فسبح فى تيارها كل غائص وعام فدارت فى سماء تلك الارض للسرور أفلاك وهبطت فى أفقها بوحى اللذات من أفلاك الملاحة أملاك فأصبحت تلك الأسود الحواذر وهى ظباء جواذر وتنزلوا من جحيم المنازلة الى نعيم المغازلة وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة باللطافة والظرافة وأصبحوا بعد سورهم يتحاورون وبعد ما قاتلوا يتحاورون شعر

محا الظلم ما بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدى
سوى قلب صب صاده طرف أحور * وخصر نحيل آده ردف أغيد

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعشاق مهصور وصرت لا ترى الا عود ايحرك أو يحرق أو قدحا يروق أو بروقا أو شاديا يغرد أو شاربا يعربد أو جارية تدق أو ساقية تجرى أو خد ورد يعشق أو ورد خد ينشق أو كاس ثغر يرشف أو غصن خصر للعناق يقصف أو فرص عيش تغتنم أو لسان حال ينشد ويترنم شعر

فى ربيع الوصل لما * أن وفى الظبى الشرود
وسرت بشرى الصبا * للرياض تنبى بالورود
خرت الأنهار والأ * غصان مالت للسجود
واجتمعنا فى رياض * حسنها يسبى الوجود
والسحاب الصب فيها * بالمنا أمسى يجود
نثر الدر علينا * منه بلور الغمام
فوق صحن سندسى * فيه ملياقوت جام
وثغور من عقيق * زانها حسن ابتسام
وعيون من لجين * ناظرات لا تنام
وغصون الدوح حفتنا بأنواع النقود
طيرها غنى عليها * اذ علا عودا وطار
وشذاها ضاع فيها الـ * مسك لما فيه فار
والصبا أمسى عليلا * فى رباها حين سار

جنة الفردوس فيها * وجه بدري حين نار
أصبحت جنات عدن * تشتهي فيها الخلود
يا لها من عشرة * جاءت بأنواع المنا
ليس فيها غير لثم * وارتشاف واعتنا
وكؤوس دائرات * وغناء وغنى
لو رآها زاهد من * ريحها كان انثنى
لم يسعه عندها من * زهده الا التجرد
قم نديمي هاتني * فالدهر لا يسوى الحزن
كأس عيش ينمحي * في مزجها صرف الزمن
الطلا والماء والخضـ * ـرة والوجه الحسن
لا تطع في ذا عذولا * انه خب كمن
في حشاه غليان * لا تقل خل ودود

فحصل الامن والدعة والفراغة والسعة ورخص الاسعار وقضاء الاوطار واعتدال الزمان وعدل السلطان وصحة الابدان وصفاء الوقت وذهاب المقت وحصول المطلوب ووصال المحبوب مع فراغ وعند التناهي بقصر المتطاول واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت والسطوة والجبروت شيء لم أظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصيرا من الذهب ونثر على رأسها اللؤلؤ المنتخب ولم يلتفت اليه ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه حتى قال قاتل الله أبا نواس كأنه كان حاضرا حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لكن تيمور كان في عرسه ذلك بنات الملوك وصائف ونحوها عبيدا كل منهم في مقام العبودية واقف واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام ومعهم المحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة والنعام ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريدي الفرنج ومن سواهم وقصاد كل الاقاليم أقصاهم وأدناهم ومن كل مخالف وموافق ومعاد ومصادق فأخر الجميع حتى شاهدوا

عظمته وما نواه من مروته فى ذلك العرس وأبهته فباشر ذلك على تلك الحال لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال قلت شعر

قد يراه من لا يرجو الها * خلى البال لا يخشى معادا

يتناول المحرمات ويبيحها ويروج عنده مستهجنها وقبيحها فمن أمر به جماعته فى ذلك امتثلوه يتناهون فى كل قبيح عملوه ولا يتناهون عن منكر فعلوه قلت شعر

تبدل من سفك وهتك حريمة * أحل بها ما حرمته الشرائع

وجعل يدعو الملوك والامراء وسلاطين الآفاق والكبراء وقواد التوامين وزعماء الجيوش والمقدمين ويسقيهم الكاسات بيده وجعل كلا منهم محل أخيه وولده ويخلع عليهم الخلع السنيه ويجزل لهم المواهب والعطيه ويجلس كلا منهم بجنبه ذات اليمين وأما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين فان النساء لا يستترن من الرجال خصوصا فى مجالس الاجتماع والاحتفال واستقر فى ذلك بين جنك وقانون وعود وأرغون وناى مرقص مطرب وشادى مجب مغرب وساق فاتن ودهر مواتٍ وهوى متبع وأمر مستمع وشمس تدور على نجوم وبدور وكاس علا وكيس بفرغ وأمر يمضى وأمل يبلغ حتى استخفه الطرب والبطر واستفزه النشاط والاشر فضبع الى من استعضده ومد للنهوض اليه يده فتعاضدوا لمعاونته وتعاونوا على معاضدته وحين استوى قائما تهدى بينهم بشيبته وعرجته راقصا قلت

ومن عجب الدنيا أشل مصفق * وأبكم قوال وأعرج راقص

فنثر عليه الملوك والكبراء ونساء السلاطين والامراء الجواهر واللآلى والفضة والذهب وكل نفيس غالى ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته ودخل العروس منصته وانقضت تلك الامنيه وتفرقت هاتيك الجمعيه شعر

ما كان ذلك العيش الاسكرة * لا انها رحلت وحل خمارها

﴿فصل﴾ ولما بلغ من دنياه المرام وانتهى لياليه الى الكمال والتمام وعرج فيما يرومه الى معارج وصعد فى سلم ارتقائه الى أعلى الدرج وقارب بدر عمره الافول وشمس حياته ان تزول رشقه الزمان بسهم أصماه فما أمهله وناداه بلسان فصيح فرغ العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح قلت شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

فأفاق من سكره وعاد الى عسكره وارعوى عما اعتدى وعلم أنه أضل قومه وما هدى ورأى أنه قد فرط في أمر الرياسة وحط من جانب الايالة والسياسة وانه سام الملك خسفا وساس السلطنة وجد عليه ما اتطريق في التقصير وآفا فأخذ يتدارك ما كان فرط ويطلب التفصي عما فيه تورط

﴿ذكر بعض حوادث متقدمة لتعلقات ذلك العابث﴾

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا للبصرة من آثار البصر رائقا فرشه في حسن بنائه ونقشه من الرخام الابيض كبساط فرشه فأعجبه شكله وأراد أن يبني له في سمرقند مثله فغرز لذلك مكانا في فرز ورسم أن يبنى له جامع على ذلك الطرز وأن يقطع له أحجار من الرخام الصلد وفوض أمره الى رجل يقال له محمد جلد أحد أعوانه ومباشري دوانه فاجتهد في بنائه وتشييد أركانه واستقصى جهده في تحسينه من تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه وأعلى له أربع مآذن وباهى فيه أئمة البنائين والاستاذين وظن أن لو كان على ذلك أحد غيره لما قدر أن يصنع صنعه ويدير سديره وان تيمور سيشكر له صنيعه ويرفع له عنده بذلك منزلة رفيعة فلما آب من سفرته وتفقد ما حدث في غيبته توجه الى الجامع لينظر اليه فبمجرد ما وقع نظره عليه أمر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه ولا زالوا يجرونه وعلى وجهه يسحبونه حتى بضعوه على تلك الحال واستولى على ماله من اهل وولد ومال وأسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى امرأة تيمور العظمى أمرت ببناء مدرسة واتفق المعمارية وأهل الهندسة ان تكون في مواضع مقابلة لبناء هذا الجامع فشيدوا أركانها وشددوا بنيانها وعلوا على الجامع طباقها وسيطانها فكانت أرسخ منه تمكينا وأشمخ منه عرنينا وتيمور كان شرس الطبع أسدي الوضع ما تكبر عليه رأس الا شدخه ولا تجبر عليه ظهر الا فضخه وكذلك كلما أضيف اليه أو عول في النسبة عليه فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت وعلى قد

باعه

جامعه الكبير ترفعت واستطالت نغل صدره غيظا واشتعل وفعل مع معماره ذلك ما فعل فلم يصادفه فيما أمله سعد وهذه الحكاية متقدمة لما ذكر وبعد نكتة كان هذا الجامع كصاحبه أحاطت أوزار الاحجار بجوانبه وتثاقلت على غواربه ومناكبه ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت وما أمكن تيمور الاشتغال بهدمه ثم احكامه ونقض بنائه واستيفاء ابرامه فطوى ثوب عمارته على غره واستبقى خشب أخشابه على وهنه وكسره الكن أمر خاصته وذويه أن يجتمعوا ويجمعوا فيه واستمر ذلك في حياته وبعد وفاته فكان اذا استمع الناس فيه الصلاة يترقبون من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله وصار ملك الجبال في تلك الحالة يتلو واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وفي بعض الاحيان وقد غص بالناس ذلك المكان وأخذ كل منهم حذره سقط من حجارته من أهلك شذره ففر كل من كان جاثما وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما وكان من جملتهم الله داد أحد الاكفاء والانداد فلما اطلعوا على حقيقة الخبر تراجعوا وزال عنهم الحذر فلما قضوا الفرض وانتشروا في الارض قال لي الله داد وكان من الدهاة ذوي الكياد والاذكياء النقاد لهذا الى كعبة المخازي ماثة شوطا وأي طوف ينبغي أن يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلاة فيه بصلاة الخوف وقال لي الله داد وقد فهم معنى هذا الانشاد وينبغي أن ينشد في شأن هذا المعبد ويكون رقم طرازه ونقش صدره ومجازه قول الشاعر

كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لاتزني ولا تتصدق

﴿فصل﴾ ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول كان استخلاص ممالك الشرق في فكره يجول وقد ذكر أنه أرسل الى الله داد يستوضح أوضاع تلك البلاد ولما انكشفت له أحوالها وتبينت له قراها ومضافاتها وأعمالها حتى شاهدتها عين بصيرته واستقرت كيفيتها في سريرته جهز لتلك النواحي رؤس هاتيك الضواحي ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي وسعادات والياس خواجه ودولة تيمور مع زيادات وأصناف اليهم طوائف من الاجناد ورسم أن يتوجهوا كلهم الى الله داد وأن يعززا الله داد أمره ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باش خمره

وهى من أشباره نحو من عشرة أيام ومن متعلقات المفعل الطغام وكانت أمورها اضطربت واكتوتهم تنازعته بين ملكة بن حربت فتوجهوا الى تلك الداره بالعسا كر الجراره واشتغلوا على غير عادتهم بالعماره وكان توجه هذه الفئه فى أواخر سنة ست وأوائل سبع وثمانمائه وقصد بذلك أن تكون لهم معقلا وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجأ وموئلا فلما أحكموا أساسها وصنفوا أنواع بيوتها واحنامها ورضعوا من احجار الاساسات أقدامها ورفعوا على أعلام الاسوار أعلامها أرسل اليهم مرسوما أنهم يرجئون أمرها ويتناسون ذكرها ويأمرهم فيه بالرجوع والاشتغال بتعليق البلاد بالزروع بحيث أن فقهاء المدارس والديار من أهل القرى والامصار والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحى الانجاد والاغوار وأهل الزرداقات والاكاره من حدود دمرقند الى أشباره يتركون مسائل المعاملة والمبايعه ويكررون البحث قولا وعملا فى درس المساقاة والمزارعه ويؤذن فى جماعتهم أن يقيم كل منهم فى الزرع صلاته وان اضطر أحدهم أن يترك صلاته فالحذر أن يترك فلاحته ورام بذلك أن يكون لهم فى سفرهم عتادا وان نقص لهم فى الدرب قضيم وخصيم زادا فتركوا العماره وقصد كل من الامراء دياره واشتغلوا باستخراج البقر والبذار واجتهدوا فى احياء جميع الموات كارهم وأشار فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى الصيف بساطه ونشر رائد الخريف على العالم أعلامه وأغماطه

﴿ذكر عزمه كما كان على الخطا وتجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا ثم انتقاله من سفره الى سقر﴾

فلما أفاق أخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق وقصد الحواشى والاطراف واستخلاص الممالك والاكناف وصرف عنان الذهاب نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب فأرسل الى أمم عساكره أن يستوفزوا ويأخذوا أهبة أربع سنين أو أكثر ويتجهزوا فلبث كل أمة دعوة رسولها وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها وحمل كل أسد عو زاد عتاده وامتطى جدى بغيه وعند كل ثور سنبلة زاده ودلو سقيه ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان وانسابوا انسياب

الموت في بحار العدوان مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان فأبرد هلال القوس
سهم برده بعد رسومه الى كل صماخ يخبر أن جند الشتاء على عالم الكون والفساد أناخ
فليستعد له الاكفاء وليحذره العراة والحفاة ولا يكنه واقى كفه بكفافه فما كل كاف
له كفوا لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا وان قصده
بقدومه تبريد الانفاس وتشبيط الانوف والآذان واسقاط الاكارع وقلع الراس وأن
فصل الخريف رائد جنوده وقائد بنوده وفوج طليعته ومرآى عين غلته
وعنوان مكاتبته ومقدمة كتيبته ثم جر بعواصف رياحه البارده وخيم على
العالم بخيام غيومه الصادرة والوارده فارتعدت الفرائص من زئيره ولاذ كل من
الحشرات بقعر جحره خوفا من زمهريره وخمدت النيران وجمدت الغدران
وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان وخرت على وجوهها الانهار جارية من
الانجاد الى الاغوار وتخنست الاسود في أخيامها وتكنست الظباء في كناسها
وتعوذ المكون من آفته واصفر وجه المكان من مخافته واغبرت خدود الرياض
وذبلت قدود الغياض وراح ما كان بها من النضرة والارتياح وأصبح نبات
الارض هشيما تذروه الرياح فاستسمع تيمور لفظات هذه النسمات واستبرد
نفثات هذه النفحات وأمر باعداد لبوس القباب واستعداد بركستوانات الجباب
واتخذ لصفاح الجنود وسهام البرد من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد ثم ضاعف
للاقاة الشتاء مضاعفات اللباس وأفرغوا على قامة عزمه الثاقب وأمدها من كافات
كفايته بأتراس ولم يلتفت الى كلام وملام واستكفى من الشتاء ما ليسه وأعده
من كل كاف ولام وقال لعسكره لا تكترثوا بأمر الشتاء فانما هو برد وسلام وحين
اجتمعت عساكره والتأمت أموره وأوامره أمر أن يصنع له خمسمائة عجله وتضبب
بالحديد ليحمل عليها أثقاله فبادر الشتاء خروجه بالدخول وأورد بانقطاع جرائد
عمره من ديوان الفناء الوصول فبرز في شهر رجب وقد أصبح البرد عجبا وأي عجب
وسار لا يرق لمرق ولا يرثى لجسد من البرد محترق فوصل في سياحته الى سيحون وقد
تجمد وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد قلت قديما شعر

على النهر قد بانت جسرا معقدا * بناه اله العرش صرحا ممردا
بكيت مقلات الدمع في جنباته * رقيق رحيق في زجاج تجمدا

فغيره ومن مضى على ذلك واستمر وتمادى على لجاجه وأصر فدمر الشتاء عليه من
الجوانب بكل اعصار فيه نار وحطم جيشه بكل نكباء صرصر وضرب ثيابات عسكره
بصره طول فيها وما قصر وهو بذلك الجمع الكثير يسير لا يحن لأسير ولا يجير وهن
كسير يسابق البريد ببرده ويجاري الجرد بجرده ومرده فقال فيهم الشتاء بجراحف
عواصفه وبث فيهم حواصب قواصفه وأقام عليهم نائحات صراصره وحكم فيهم
زعازع صنابره وحل بناديه وطفق يناديه مهلا يا مشوم ورويدا أيها الظلوم
الغشوم فالى متى تحرق القلوب بنارك وتلهب الاكباد باوامك وأوارك فان كنت
أحد نفسي جهنم فاني ثاني النفسين ونحن شيخان اقترنا في استيصال البلاد
والعباد فنحس بقران النحسين وان كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات
زمهريري منك أبرد أو كان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصماهم وأصمهم
ففي أيامي بعون الله ما هو أصم وأجرد فوالله لا حابيتك فخذ ما آتيتك والله
لا يحميك يا شيخ من برد سم المنون لواعج جمر مجمرة ولا وهج لهيب في كانون ثم
كال عليهم من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد وأنزل عليه وعلى
عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد وارسل عقيبها زوابع سوافيه
فخشت الى آذانهم وآماقهم ودست الى خياشيمهم فاستقبلت بانتزاع أرواحهم الى
تراقيهم وجعلت تلك الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم
أصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنقضه كأنها عرصات القيامة أو
بحر ساقه الله من فضه فكانت اذا بزغت الصفراء ولم الصقيع ترا آى شيء عجيب
سماء من فيروزج وأرض من بلور ملأ ما بينهما اشذور الذهب فاذا هبت فيما بين ذلك
والعياذ بالله نسمة ريح على نسمة ذي روح أخمدت نفسه وجمدته وفرسه وكذلك
الجمل والجمال حتى أتت على كل مرة في الحال وانتهى الشان الى ان طامت النار
وردا وصارت لواردها سلاما وبردا وأما الشمس فانها ارتجفت وجمدت عينها
من البرد ونشفت وصارت كما قيل

يوما تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وكان الرجل اذا تنفس جمدت أنفاسه على سباله ولحيته فيصير كأنه فرعون
وقد رصع لحيته بحليته وان لفظ من فيه نخامة عاقده لا تصل الى الارض مع ما فيها

من الحرارة الاولى بردة جامدة فانكشف ستر الحياة عنهم وأنشد لسان حال كل منهم شعر

فيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير وأتى الشتاء على كثير من كبيرهم وصغير وشاط منهم أنوف وآذان وسقط وانحل عقد نظامهم وانفرط ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم من بحار وبحارا حتى أغرقهم فى بحارهم وما عجزون حبارى ونودى عليهم مما خطيآتهم اغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات ولا يتأسف على ما فات

ذكر رسوم أرسله الى الله داد بت منه الاكباد ووث القلوب والاعضاد وزاد ما خيله فيه من هموم وأنكاد

كان تيمور حين تحرج من سمرقند ارسل الى الله داد باشبارة من رسوما أذهب فيه قراره ونفرط ثم نومه من وكرا سفاته واطاره وفهم من فحواه بالاشارة أنه طالب دماره ومدمر أولاده وخرب دياره شدد عليه فيه المضائق وسد فى وجهه الطرق والطرائق واقترح عليه فيه بأمور يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور ويعذب عنده أدناها شرب البحور من أقلها أن يبنى له بمرده اقامة اليوم قدومه دون غده خضبا با كامله وقضيا يطعمه خيله ومن عرض ذلك مائة ألف حمل يحمل طحينا فاضه وهو مخصوص به لليلة واحدة خاصه وانه مع عساكره الجراره لا يبيت سوى ليلة واحدة باشارة الى غير ذلك فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب علم أنه قد حل به العذاب فسلت وعيه وبذل سعيه وأخذ فى اعداد الطحين واجتهد فى ادارة الطواحين وكانت الطواحين أرقف من حال أديب فى هذا الزمن العجيب وجارى مياهها أيبس من كف شحيح كان زمن القحط بذر به الدقيق فى الريح ودماء الانهار فى مجارى عروق الجبال ناضبه ودموع العيون فى آماق الغروب غاربه فبذل ما كان أعده لكل نائبة وشدة وأهان نفائس الاموال واستعان على اجراء المياه بالمال

واستغاث بأولي النجدة من الرجال واستمد المدد من كل متقلد واستنهض
آراء المتفقين من الاصحاب واستدفع بهم ما نزل به من مخالب البليات ونواب وقرع
لفتح ما ارتج عليه مما لا طاقة له به كل باب فاستجابوا دعاءه وأجابوا صداه ونداءه
وتلقوه بالصفح واستطبوا لمرضه وجمعوا من العملة والفعلة الاسود والسراحين
فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يدير الطواحين وجعلوا يعاندون البرد
ويقطعون في طريق الماء الجمد فكانوا كالضارب في حديد بارد والمكابد بتزويق
وعظه تليين قلب الجاحد حتى سهلت حزونه ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه
وصاروا لا يقطعون من الجليد مقدار ذراع بالحديد الا ارتهب نسبة يابسه على
تلك الوجوه العابسه فاذا هب بارد النسيم قابله الماء بوجه بسيم فيبرد قلبه عن
نارهم ويعرد اليه من أوارهم فيجمد ما فوق ذلك فتضيق عليهم المسالك
فيرجعون القهقرى ويمشون كالحبالى الورا والله داد مع ذلك يبذل الاموال
وينادي مستغيثا بالماء يا للرجال قلت

فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما أمكنه بالمدار
يوقفه الماء لاجرائه * وكلما أوقفه البرد دار

الى أن وقع الاتفاق بين الرفاق أن هذه مسألة تكليف ما لا يطاق وحين تبين له
أمرهم وتعين عنده عذرهم قارنه الحظ الحالك وتيقن أنه لا محالة هالك وأنه قد
وقع في البلاء العريض الطويل وأن مخدومه ما طلب منه في ذلك الحز الدقيق الا
لامر جليل وكان بلغه ما رشاه به أضداده ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده
وعلم أن خاطره تغير عليه وفعله مع محمد سلطان شاه وقد نقل اليه وكيف قتله
ثم قتله ونهب امواله وأسر أولاده وأهله وكان متوقعا من تيمور أضعاف هذه
الشرور لا يقر له قرار ولا يسكن له ليل ولا نهار وقد غسل من الحياة يده وودع
حياته وأهله وماله وولده وقد قرب شهر الصيام وصار بينه وبين تيمور نحو من
عشرة أيام وقد انقطعت الدروب وضعف الطالب والمطلوب مفرد

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه الى الفرج

﴿ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار واستقراره في الدرك الاسفل من النار﴾

وجعل

وجعل تيمور يواصل التسيار حتى وصل كورة تدعى أنذار ولما كان بظاهره من
البرد آمنا أراد أن يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا فأمر أن يستقطر له من عرق
الخمر المعمول فيها الادوية الحارة والأفاويه والبهارات النافعة غير الضارة وأبى
الله أن تخرج تلك الروح النجسة الا على صفات ما اخترعه من الظلم وأسسه فجعل
يتناول من ذلك العرق ويتفوق أفاويقه من غير فرق لا يسأل أخبار عسكره
وأنباءهم ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم حتى سقته يد المنية كأسا وسقوا ماء حميما
فقطع أمعاءهم فانه لم يزل للقضاء معاندا وللزمان مجاهدا ولنعم الله تعالى جاحدا
ولا شك أنه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا فأثر ذلك العرق في أمعائه وكبده
فترنح بنيان جسمه ورضخ أركان جسده فطلب الأطباء وعرض عليهم هذا الداء
وعالجوه في ذلك البرد بأن وضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال
وعكم أحمال الانتقال الى دار الخزي والنكال وتفتت كبده ولم ينفعه ماله وولده
وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما مفرد

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وجرعه ساقي المنية أمر كاس وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى
البأس فاستغاث فلم يجد له مغيث ونودي عليه أخرجي أيتها النفس الخبيثة
كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة ظالمة أثيمة وأبشري بحميم وغساق
ومجاورة الفساق فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق يحمد لونه ويزبد شدقاه
كالبعير المشنوق ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم وأخذوا على
الظالمين لجربوا ديارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا منارهم ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه
يجأرون وأعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ترى اذ الظالمون في
غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون
بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم انهم أحضروا
من جهنم المسوح وسلوا سل السفود من الصوف المبلول تلك الروح فانتقل الى
لعنة الله وعقابه واستقر في أليم زجره وعذابه وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر
شعبان ذي الأنوار سنة سبع وثمانمائة بنواحي انذار ورفع الله تعالى برحمته

من العباد العذاب المهين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

(قلت شعر)

الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور
بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور
كم من شموس في سما * ملك العلا لما يدور
لما استوت في عزها * زالت وأكسفها القتور
وملوك دنيا أضرمت * من نار عدواها البحور
ملكوا البلاد وأهلها * ماضي الأوامر والامور
أغراهم الدهر الذي * نوغر بالله الغرور
فحكى الزمان بغدره * لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا في الأذى * وغدوا أسودا في الشرور
فبغى لهم فتراقصوا * مثل الشخوص بلا شعور
وتحكموا على بابائهم * طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا أن الزمان مطاوع غير النفور
أو ان ما نالوه من * دنياه سور ولا يمور
فتواثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه القور
وتلاحكوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الصدور
وتناخزوا وتبلازوا * وتناقروا نقر النسور
هذا وان يتصالحوا * يتصالحوا مينا وزور
فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور
بيناهم في عزهم * والدهر مكار غيور
انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور
أمسوا وكل منهم * كالهم باقي للصقور
لا ملك رد يد الردى * عنهم ولا ملك ودور
كلا ولا جيش ولا * ولد ولا عدد نصور
ثم انمحت آثارهم * محو المياه نقش السطور

لم يبق منهم دهرهم * شيئا سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة * كالابحر الظلما تمور
الا هرج الدجال من * قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها * ونوائب الدنيا تدور
أملى له الله الحليم * فزاد عدوا في فجور
وأمده مستدرجا * اياه في شئ يسور
استبراه في امضائه * حكما أيعدل أم يجور
فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور
ومحا الهدى وغدا الردى * بحسامه الباغي يدور
أفنى الملوك وكل ذى * شرف وذى علم وقور
وسعى على اطفاء نو * ر الله والدين الطهور
بفروع جنكزخان ذا * ك الظالم النجس الكفور
فأباح اهراق الدما * من كل صبار شكور
وأحل سبي المحصنات المؤمنات من الخدور
ورمى على النار الصغار كأنهم فيها بخور
وأضاف في هذا الى * فعل الزنا شرب الخمور
طورا يرى نكث العهو * د وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من * أهل الصيانة والوقور
من كل ذئب صائل * منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلو * ب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا جباها طالما * سجدت لدى الرب الغفور
وكووا جنوبا قد جفت * طيب المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من * أيدي البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السموم وجرعوا كاس المرور
واستأسروا آل النبي * المصطفى الطهر الطهور
باعوهم من مشركي الا * تراك في أقصى الكفور

وكذلك الواحد أمه * من كل مقلات نذور
وجروا على هذى الجرا * ثم واستقر لهم سرور
ما بين ايران وتو * ران البلاد لهم عبور
وامتد ذلك من الخطا * أخذا الى اقصى القطور
لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لأخذه * ولكل تكميل قصور
حدفته أيدى الموت من * تلك القصور الى القبور
وتبدلت منه الكر * امة بالمذلة والعثور
ومضى الى دار الشكا * ل بما اقتحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو * ع وهدما شاد الدثور
أبقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور
وتخلدت آثار ما * آذى على كر الدهور
فانظر أخى ثم افتكر * فى ذا المساء وذا البكور
لافرق عند الموت بين * شكور فضل أو كفور
أين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالبدور
أهل السعادة والعلى * وذوو السيادة والوقور
المطفئو بدر السما * والمخجلو فيض البحور
كانوا اعظاما فى الصدور * وهم صدور فى البدور
طحن الردى تلك العظام وفت هاتيك الصدور
وسفتهم ريح الفنا * سفى الرمال يد الدبور
أين البنون ومن غدا * للقلب أقمارا ونور
كانوا اذا رفع الحجا * ب وزحزحت عنهم ستور
تلقى الذنافة اشرقت * كالشمس من بعض الخدور
من كل ظبى أحور * أو ظبية تزرى بحور
نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى * من شر أحداث الدهور

كانوا اذا سكنوا مكا * نا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا * حدقا وللأحداق نور
وحدائقا لرياضها * وعلى حدائقها زهور
بيناهم في سكرهم * قد مازج الذل الغرور
والعمر غض والزما * ن مسلم لهم الأمور
واذا بساقي المرتقا * جاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حياتهم * فغدا أعاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور
وسقوا كؤس فراقهم * صبرا الكل شهم غيور
من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرثى * او كان تجديه النذور
اهداهم ووقارهم * ورماهم ريب الدهور
سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى * وفراهم فري الجزور
أمسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا * أجداثهم يوما يزور
يبكي ويندب نائحا * قبرا تناوشه الدثور
ويمرغ الخدين في * ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه * الا الصدى صم الصخور
بينا تراه زائرا * واذا به أمسى مزور
هذا بتقدير الاله * وحكم فعال صبور
دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب الهني * فجميع ما فيها قشور
لو لم تك الدنيا وما * فيها هباء خبء غرور
ما كان يزوي برها * عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن * قد صار مختالا الفخور

هذا وفالة من عقنا * في أرضها عرج وعور
خلقوا الحق فاغدوا * عنه الى مين وزور
يارب ثبتنا على * ما ترتضيه من الأمور
واغفر لنا ما قد عملت من الخطايا يا غفور
واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور
وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك ان تبور
وأدم سحائب رحمة * تهمى على بدر البدور
خير الأنام محمد * الشافع الزاكى الطهور
والآل والصحب الكرام وتابعيهم يا شكور

﴿فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور من حوادث وأمور وما ظهر من سرور وشرور﴾

وكان لالله داد أحد الخلان يدعى سعادات نائب مدينة اندكان من ذوى النباهة والشهره وهو أحد الامراء الذين توجهوا العمارة باش خمره فأرسل قاصدا الى الله داد انه ارتفعت مادة الفساد وأن تيمور ترك تبعة الممالك وتوجه بتبعاته الى درك مالك فوصل القاصد بهذا السرور رابع عشر رمضان من العام المذكور شهر ففرج عن الله داد همه وأزاح عنه غمه وكأنه استأنف له الحياه أو رد راحلته التى عليها طعامه وشرابه بعد أن أضلها فى فلاه وسيأتى حكاية الله داد وأمره وما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره

﴿ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت﴾

فلما قضى تيمور نحبه وأزال الله عن العالم كربه لم يكن معه من أحفاده من اقاربه وأولاده سوى خليل سلطان بن أميران شاه حفيده وسوى سلطان حسين ابن أخته الذى هرب الى السلطان فى الشام عند وروده فارادوا كتم هذه القضيه وأن لا يشعر بها أحد من البريه فشاعت وراعت وعلى رغمهم ذاعت فاضطربوا واضطرموا واصطدموا واصطلموا فاطلع الناس كلهم على ذلك ووهموا وعلموا أنه قطع دابر القوم الذين ظلموا فجفلت العساكر وأجفلوا وحملوا أثقالهم والى سمرقند قفلوا وساعد خليل سلطان البخت وخلا له الجو فاستولى على التخت وكان

أبوه أميران شاه متولي ممالك أذربيجان وما والاه وعنده ولداه عمر وأبو بكر وبينهم
وبين ما وراء النهر من الأطواد والأنهار مائة سباسب وألف سكر وكان أبو بكر
هذا في الجغتاي من الفوارس والضارب بين بالبيض الهام والقوانس يذكر أنه كان
يوقف بقرة أو يذبح بكره ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين فيجعلها قطعتين
مفصولتين وأميران شاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
أذربيجان وولده عمر قتله أخوه أبو بكر وأبو بكر قتله ايدكو متولي كرمان
ومصافاتهم مذكوره وحكاياتهم مشهوره وشاه رخ كان في هراة بممالك
خراسان وبير عمر كان في ولايات فارس وتلك البلدان وتيمور كان جعل ولي
عهده محمد سلطان وهو وان كان من أحفاده لكنه قدمه على أولاده لما لاح
له من فلاحه وظهور رشده وصلاحه فعاندته القضاء فيما يروم ومات كما ذكر
في اقشهر من بلاد الروم وكان له أخ يدعى بير محمد فجعله تيمور ولي عهده من بعده
فلما هجم عليه رائد الموت وأهاب روحه الخبيثة بأزعج صوت كان مستغرقا في بحار
غفلته مسترخيا ارجاء مهلته فتجهز اعتباطا وسام عسكره اختباطا وكان
اذ ذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار مستقر القرار آمنا من البوار فارغا من الدمار
وهم كتيمور رفافلون وبير محمد في قندهار وهي بين حدي خراسان والهند وبينه
وبين ما وراء النهر سباسب وقفار فلم يكن أقرب الى دار الملك الذي أنشاه وهي
سمرقند سوى خليل سلطان بن أميران شاه مع أن أقطان الشتاء وندافه كان قد بسط
على فراش الارض لحافه وندف عليه من أقطان الثلوج ما غطى وجه العالم وأطرافه
وطبق ظهره وأكنافه فلم يقدر أحد من أولئك الحشرات أن يخرج رأسه من اللحاف
أو يفتح لثغر زهرة أغلاق كم كم خوفا من هاني النسيم أن يبادرها باختطاف
الاقتطاف فضلا عن أنه يتمطى في فراش أهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش
أو رجله نحو طواف فاستولى خليل سلطان على ذلك القثم البارد من غير منازع
وعذل واستبدل الملك بالعالم من سهم الكوثر السلسبيل ونادى لسان
السلطنة في رفعتها نعم البديل بذلك عن بعض عجيب وعن عدو بخليل وتمكن من
العساكر والأمراء وخلاصة الجند وأساطير الزعماء واحتوى على تلك الأمم
وطوائف الرؤس من العرب والعجم وأدخل الجميع في ربقة المتابعة وفتح لهم في

أسواق الصداقة حوانيت الصلاة فعاملوه بعقود المبايعة ولم يمكن أحدا منهم
الخروج من الدخول في الطاعة والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم
ولا ساعة فأطلق لهم البشرة وأحسن معهم العشرة وكان يوسفي الخلق محمدي
الخلق خليلي الرفق اسماعيلي الصدق بجميع حروف الملاحة وظروف
الصباحة نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون على أحسن ما يكون من
الحركات والسكون فأول ما مشق على لوح الجمال ألف قامته القويم فباهله كل من
قامت لام عذاره متقوسا في خدمته كالدال والجيم وحسن لكل راء ما فيه من زين
وما شين سين ثغره وميم فمه نفاها بخلاف ولا مين فاستغنى بوابله كل قاف واستكفى
بنائله كل كاف وأمطر من عين كرمه العين فصاد من الجند كل ذي لام وباء ودال
بذلك على كل من باعه وعده ورجع عن عهده ووفاه فعدت الواقيات معتبته
ورقت من عين الحوادث بجبته وعوذت منه الارداف بالطور والاحقاف
وحفت نون حاجبه وفاه وطرفه وطرته وردفه بجم عشق وفتحت له الملوك بالثناء
فاها وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له قالت ياسين وطاها

﴿ذكر خلاص العساكر من البند وقفولهم مع عظامه الى سمرقند﴾

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره بجزره كالجزور وجعل بعفور كالثور وبقره ثم
أراد أن يصليه من نار الجحيم حفره فاستغاث بخليله فأجاره وأخره وقال لا تعجل عليه
وحمله في محفة بعد العجلة وصبره وألوى راجعا الى سمرقند وكان قد انحل نهر خجند
وطالب الشتاء قد أدرك ثاره وبرد قلبه وسكنت الحرارة قلت

ورق للعالم قلب النسيم * وأقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور

﴿ذكر ما أضمره وزراء تيمور وأخفاه كل منهم في التامور﴾

وكان في أفلاك ذلك العسكر سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر وبآرائهم يقتدى
وبرؤيتهم يستضا قلت

من كل منتخب للامر منتهب كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما

قد هذبتهم الامور وشذبتهم بلايا تيمور واستفتح بهم المغالق واستوسع

بعد ما تم الضائق وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب وكان هو البدر وهم الهالة وهو الفاعل وهم الآلة وهو الروح وهم الحواس وهم الأعضاء وهو الراس فلما كورت شمس مراكبهم وانتثرت كنس كواكبهم ورحل زحلهم وغاب أملهم قلت

ومرض السكون الدجا بالضحى * وبدل المريخ بالمشترى

أجال كل منهم قداح فكره وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة أمره واستصفر خليل سلطان وعلم أن موج المنازعة سيأتيه من كل مكان وأنه لا يصفو له ورد الملك من مكدر ولا هواء من مغير وأقل الاشياء أن يقول له رسول أكابر أقاربه كبر كبر فأعد لكل شدة شده ولكل عدة عده ولكل خزة فزه ولكل حزة حزه ولكل بوس البسا ولكل سهم ترسا ولكل نائبة نابا ولكل بائقة بابا ولكل خطبة خطابا ولكل خطاب جوابا ولكل حرب حرابا ولكل أمر أمرا ولكل غدر غدرا ولكل أزمة حزما ولكل نصب نصبه ولكل كسرة جزمه ولكن شكيمة البردوت جماح كل جموح وصفحة الجد قدت جناح كل صبوح فاوسع كلا منهم الا الاطاعه والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه واستمروا معه على القفول مضمرين لخليل ما اضمره للحبيب عبد الله بن أبي بن سلول وكان أحدهم يدعى برندق فرام الى الخصر بقامة المخالفة التسلق فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآراء أن تقدم وأمهد لك الأمور الى حين تقدم وأكون راشد دولتك وفائد سلطنتك فأشيد القواعد وأبشر الصادر والوارد فيكون كل مستعد للاقاة ومهيأ أسباب الموافاة فاذن له وأمامه أرسله فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب وهيأت أسباب عبوره لكل راحل وراكب فعبره برندق بجماعته ثم أمر بقطعه من ساعته وأعلن العصيان وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان نظم اتفاق

فكشرت أسوارها * في وجهه أنيابها

وأسبلت عمتها * ببابها حجابها

واستقلت على جبين منعة نقابها

فاستدرك فارطه وسلك في مسألة منطقة المغالطه ووصل خليل سلطان الى

الجسر فوجد عقده قد انحل ونظامه قد اختل فلم يكترث برندق وما فعل بل عقد عقده من ثمانيه ودخل وولى ما وراء سيحون من البلاد متوليا أولا وكان يدعى خدايداد وهو من أكبر أمرائه ومن رفقاء تيمور ونظرائه ومنسوبا الى السلطان حسين وهو في تلك البلاد بمنزلة الرأس والعين فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته واقراره في بلاده ومهادنته اذ أموره كانت في أوائلها ففوض اليه أمرها والقلوب في غوائلها

﴿ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطار﴾

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها وخرج اليه أعيانها وزعماؤها ووفد عليه نواب البلاد منغمسين في السواد لابسين ثواب الحداد وجاء الاكابر والعظام معظمين هاتيك العظام ومهنين خليل سلطان بالسلامة وزين له مرير الزعامة قلت

ووجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه والحمولات البهيه وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته وينزله في منزلته وقال ابن برندق لا تثريب وقابله مقابلة الخليل الحبيب ومهد له بساط المباسطة وسلم اليه مسألة المغالطة وحين ثبتت أوتاده اقتلعه وألقاه على غفلة في فم أسد المنية فابتلعه ثم أشلى على دياره كلاب النهاب وشهاب الالتهاب فرق أديمها وهتك حريمها وتحاسد بها رقاعها

﴿ذكر مواراة ذلك الجثث والقائه في قعر الجدث﴾

ثم انه أول ما اشتغل بمواراة جده وتجهيز أمره والقائه في حفرة لحده فوضعه في تابوت من أبنوس وحمله الرؤوس على الرؤوس ومشى في تشييع جنازته الملوك والجنود حاسري الرؤوس لابسي الثياب السود ومعهم طوائف الأمراء والأعيان وأنزلوه على حفيده محمد سلطان في مدرسة حفيده المذكور بالقرب من مكان يسمى روح اباد وهو موضع مشهور فكان هنالك على أثاث في سرداب معلوم غير خاف وأقام عليه شرائط العزاء من اقراء الختمات والربعات والدعاء وتفريق الصدقات واطعام الاطعمة والحلاوات وسنم قبره ونجز امره ونشر على قبره اقمشته وعلق

على الجدران أسلحته وأمتعته كل ذلك ما بين مكلل ومرصع ومزركش ومصنع أدنى شيء من ذلك يقوم بخراج الاقاليم وحجرة من كدس تلك الجواهر تحوت التقويم وعلق نجوم قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيها وبسط على مهادها فروش الحرير والديباج الى أطرافها وحواشيها ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته أربعة آلاف مثقال رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة أرطال ثم رتب على حضرته القراء والخدمه وأرصد على المدرسة البوابين والقومه وقدر لهم الادرارات من المسانهات والمياومات والمشاهرات ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته أستاذ وقبره في مكانه المشهور تنقل اليه النذور وتطلب عنده الحاجات وتبتهل عنده الدعوات وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما وربما انزل عن مراكبها جلالا له واكراما

﴿فصل في اعتدال الزمان واخبار خليل سلطان﴾ ولما أخذت تيمور الصيحة بالحق فصار غثا وقعد خليل سلطان على التخت وقام الشتاء بعد ان كان حثا مد الشعراء ألسنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنئة واتبعوه بالرثا فسمع الشتاء وعني صوته وأجاز ورفع عن العالم في توصيله الكلاكل والاعجاز فابتهج الكون بورود الربيع وشكر الروض للسحاب ما أسداه اليه من حسن الصنيع ورفع على الروابي من الشقائق أعلامه ونصب مما أظهره خيام الصنع من أزهار الاشجار خيامه ونور الحدق بأنوار الحدائق واستنطق بتسبيح الخالق من خطباء الاطيار على منابر الأغصان في جوامع الرياض ما استنصت للغاته كل ناطق من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق ومعجب بأسرار البلاغة فائق فرقصت الاشجار لغناء الاطيار وصفقت الانهار واعتدل الليل والنهار واكتسى البسيط الاغبر خلع السندس المزهر وتبدلت الاغصان من قطني الثلوج كل ثوب بأصباغ القدرة مزهر وبدمقس الأزهار منسوج وكل قباء صار مزهرا في كل دف أعين اكمل طائر وفروج وبسط الكون على المكان لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان

﴿فصل﴾ ولما فرغ خليل سلطان من ذلك شرع في تمهيد الممالك وتسليك المسالك وعلم أنه لا يتقيد به انسان الا بقيد الاحسان ولا يجتمع له المال الا بتفريق

المال فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل الرموز وصرف الموانع والتوابع
عن تلك المطالب والكنوز وقوى العزيمة على فتح الخبايا وصيد عصافير القلوب
بمنقر حبات الهبات تحت شباك العطايا ففرق ما كان شتت جده في جمعه شمل
البرايا وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا وأوسق أحمال
الآمال وربوع الاطماع بالاموال وأمطر أيادي عينه بالنوال ففاض النهر
من صوب الشمال وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس بما أفرغ من حواصل
الكنوز والصناديق على أقتام الجند والاكياس فنثر أغصان الدوح عند ورود
الربيع أصناف أزهاره فكأنه أنامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره وجاد
السحاب بدرره وأمطاره فضاهى جود جوده الهامي على العالم وأقطاره فقيد
الناس كلهم بهذا القيد وتحول صرف بذله عن بينه بالاطاعة فترك عمرو وزيد

﴿ذكر من أظهر العناد والمراء وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء﴾

غير أن بعض تلك القواد وزعماء الوزراء والاجناد أملى ما كان أضمر ووضع
المضمر من العصيان موضع المظهر فأول من شهر سيف العصيان وفوق سهام
العدوان وشرع بمخالفة الرديني خدايداد الحسيني متولي ما وراء نهر سيحان
وأطراف تركستان فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة اماما
يقتدي به في البغي ومفارقة الجماعة لاسيما وقد كان صواغ الربيع قد أذاب بجمراته
سبائك الجمد والثلوج وصبغ بما أخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات
وأرباض المروج واستفزت أصوات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم
الخروج فاقتفى خدايداد في العصيان والعناد شيخ نور الدين وكان عند تيمور
من المتقدمين وذوي الآراء والمكين فتخزل نهارا وسار ليلا ونهارا فوصل الى
خدايداد وقوى منه الظهر والاعضاد وشاركه في التمرد والفساد ثم بعد ما فرط
نظام الطاعة شاه ملك وأخذ في طريق المخالفة وهو منهمك وخرج من سمرقند
وهو يصرخ وقطع جيحون ووصل الى شاه رخ وكان نظير شيخ نور الدين اذا رأى
مكين وفكر رصين فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي وأكرم من لم يعص وعم
بتاج انعامه كل راس وما خص

ذكر

(ذكر أخبار الله داد صاحب أشباره واخلائه اياها وقصده دياره وما صنعه في تدبير الملك وأثاره قولا وفعلا واشارته الى ان أدرك في ذلك دماره وبواره)

ثم ان الله داد جمع أخصاءه ليلة ورود الخبر اليه وشاورهم فيما يصنع وما يبني أموره
عليه فاتفقت كلمتهم واجتمعت مشورتهم على قصده دياره واخلائه أشباره
فانهم كانوا في ذلك المكان كالفستق في شهر رمضان والزنديق بين قراء القرآن
فلما طوى الجو ملاءته المسكيه ونشر على المكان مروطه الكافوريه وأتى ثعبان
المجرة فيه على هذا السقف المرفوع خزينة الفضة حضر الى خدمة الله داد
أمراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد من الترك والخراسانيين والهنود
والعراقيين فاختلى بأفاضلهم وصدور أماثلهم ونشر لهم من هذه القضية طيها
وطلب من آرائهم فيها رشدها وغيها واستكتمهم أمرها لئلا يستفشي المغول
نشرها وانى لعين الشمس في الصحو الاستتار وكيف يخفى على ذي عينين النهار
فكل منهم فوض الامر الى مرسومه وطرح قصة هذه القضية في جيب مكتومه
فاستدعى من أولئك الرفاق ان يكونوا معه فيما يراه على طبق الوفاق فاجابوه الى
سؤاله وربطوا افعالهم باقواله فأكد ذلك بطلب ايمانهم وان أسرارهم في ذلك
ككلامهم فشرع كل في المخالفه انه ليس في موافقته مخالفه وانه مهما رآه الله
داد امتثله وما أمر به فعله وحين أمن مخالفتهم وعصيانهم وحصل له اليسار
بربط أعناقهم بايمانهم قال أي جماعة الخير وقيتم الشر وكفيتم الضير أرى ان
أكون في صلاة هذا الامر امامكم فأتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم فأمهد
الامور لكم وأرسل الى بلدكم هذا بدلكم وأيم الله لا يأخذ في قرار ولا هدو ولا
اتركم مضغة لماضغ ثغر العدو فان رأيتم ان تضبطوا بحسن الاتفاق أموركم
وتحموا قريحة ورد قلعتكم من سورة شارب العدو وسوركم فلن أمهلكم الا بقدر
ما أقطع نهر خجند وأصل الى سمرقند فاعملوا في ريثما أصل وبخليل سلطان
اتصل فتبعوا مراده واقتفوا ما أراده وعاهدوه أن لا يختلفوا من بعده ولا
يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده فأمر عليهم رأس جنود العراق وكان هو
أكبر الرفاق بالاتفاق وقرر لكل مسلحة في أسوارها من كل سالح جزأ مقسوما

وصار زعيم أولئك الصالحين كالنبي في أمته مع أنه كان يدعى معصوما

(فصل) ثم أمر الله داد بتجهيز الامور وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور ولم يلتفت الى بردوجي وكان قد استوطن اشبارة واستقر ونقل اليها حريمه وأولاده وبذلك أمر حاشيته وأجناده فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا ولم يدع بها ما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا وسار وتارة يدب وحينا زحفا وطورا تسوخ بهم الارض من ثلجها خسفا وآونة تسقط السماء عليهم كسفا فأدركهم العيد المرموق في مكان يدعى قولانجوق من أبرد البلاد كأنه ينبوع ريح عاد قلت شعر

إذا استقبلت جوهم زمهريرا * تنشق منه أنفاس الهجير

(ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد تخالفت معانيهما وتصارمت مغازيهما)

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان يذكر فيه ما حصل لجده من حادث الزمان وانه استولى على سريره وأطاعه من الملوك كل كبير القدر وصغيره وان الامور بحمد الله مستقيمة وقواعد الملك على عاداتها القديمة مقيمة فلا يحدث أمرا ولا يخرج من بحر مدينته برا وليمسك بمكانه وليتثبت باشبارة مع طوائف جنده وأعوانه وليطب خاطرا بالجزء والكل فانه عقيب ذلك يرسل اليه بدل الكل من الكل فتحير الله داد وتفكر وحاسب نفسه هل يرجع في سيره ذلك أو يقصر ففكر وقدر فقتل كيف قدر فبينا هو في أمره يعيد ويبدي ويلحم في شقة أفكاره ويسدي واذا بقاصد خدايداد ورد عليه يستحثه على الخروج من اشبارة والوصول سريعا اليه فوجد لخروجه من اشبارة عند خليل سلطان مندوحة وحاش فنام وهو مغمض العينين بعد أن مات وعيناه مفتوحة فطوى بساط تردده وتوجه ببسط أمله نحو مقصده ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد والموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد مع زيادة سيحون وخدايداد فواصل التأويب والاسآد حتى وصل الى خديداد فابتهج برؤيته واستنجح مقصوده بطلعته ثم قطعا سيحون وقصدا ضواحي سمرقند ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك وقد شمرا للعدوان الحسام وشرطا للفتك النيزك فاستطاعا على حشار تيمور فنهباه وتغلبا على

ما وصل الا اليهم من نقد وجنس سلباه وأكثر اهنالك شرارا وفسادا واشبها في ذلك تسعة
رهط ثمود او عادا وكانت هذه أول شرارة شر وبدعة سقطت من سقط الزند وبسطت
يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند لان أهلها كانوا قد أمنوا الشرور
ووقوع الفتن في حياة تيمور فحين دهمهم اولئك المفترون أتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون وذلك في شوال سنة سبع وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع وما
امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل

﴿ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف وما وقع بعده بينهم
من التناكر والتخالف﴾

وأما أمر من خلفه الله داد في أشبارة من طوائف الاجناد فانهم خافوا من الغول
حلول حينهم فتحزبوا واختلف الاحزاب من بينهم فمنهم فرقة قالت قائلهم أنا على
عهدي قوي فلا أخون وأمين وقد استمسكت يدي بعروة عهد مكين وارتبطت بحبل
حلف فلا أصير من اهل الشمال باليمين وأدنى ذلك ان نصبر حتى يصل من الله داد
رسول أو كتاب وننظر ما يبين فيه من سلوك سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك
من الصواب فان وافق ذلك مرادنا امتثلنا ما يقول واتبعنا في ذلك الكتاب
والرسول وتوجهنا في تلك الساعة سالكين السنة مع الجماعة وان جا الخلاف
كلامه بخطاب أجلح عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا بمصلحة نفسه الى القول
بوجوب رعاية الاصلح ومنهم شرذمة مالت الى رفض تلك الداره والمبادرة الى الخروج
من أشباره وانتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال وقطع راس أحد رؤس
الخراسانيين في مصاف النزال ومنهم طائفة أعمتهم أنفسهم فلم يلبثوا الا عشية
او ضحاها ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تبكي على من بناها فلم يسع
الباقين الا اتباعهم في الخروج لان مقامهم من أول الزمان هنالك كانت كبنيان
القصور على الثلوج فتحملوا بقضهم وقضيضهم وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم
وتركوا البلد بما فيه من غلات ومستغلات وانعم وخيرات وأموال وأقمشه
ونفائس مدهشه ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونه سوى ما عجزوا عن حمله من
أموال مشحونه وسوى امرأة واحدة مجنونه ولحقوا بالله داد وهو عند خدايداد

فلم يعنف واحدا منهم بما فعل واعتذر اليهم بأن خدايداد منعه أن يتوجه الى سمرقند
ويجهز لهم البدل وأمرهم بالاقامة معه مستوفزين وأن يكونوا الفرصة التوجه الى
سمرقند اذا لاحت منتهزين

﴿ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف خذله وخبله واسترق عقله وسلبه﴾

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد
فركن اليه بعض الركون وجعل يستشيره فيما يصير من أمره وما يكون وكان عند
خدايداد طائفة من مماليك الاجناد تخلفوا من العساكر في تلك البلاد وقد
ضيق عليهم المسالك واراد أن ينقلهم من مالك الى مالك فلم يدعه الله داد بذلك
وقال ان عادة الاكياس استجلاب خواطر الناس خصوصا في مبادي الامور
وحدوث أوائل الشرور فلا تنفر عنك الخلائق وعاملهم أولا بالاحسان والملق وأي
فائدة في قتل هؤلاء وتمزيق أديمهم سوى نفي الصداقة وتأكد العداوة بيننا وبين
مخاديمهم وربما يكون في خاطر أحد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان ويروم
لذلك ظهيرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان فتلجئه الضرورة الى أن يقصد ممالك
تركستان فاذا آذيته في متعلقيه أفي يبقى له اليك ركون واطمئنان وأقل ما تعمل
مع هؤلاء بالانسان امساك بمعروف او تسريح باحسان ومخاديم هؤلاء لنا رفقاء
ولخليل سلطان أصدقاء فان زرعت معهم الجميل ملكت كل رفيق وخليل وألقيت
العداوة بين من عاداك من صديق وخليل فلما سمع كلامه ألقى الى يده من ذلك
الامر زمامه فأشار عليه بسراحهم واحسان اليهم في غدوهم ورواحهم فزاد
في نجاحهم وراش مقصوص جناحهم وصرفهم بالعز في طريق مراحهم فدارت
بالسعد أفلاكهم واجتمعت بهم أملاكهم وملاكهم

﴿ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحل أمر جليل﴾

ثم ان وافد خليل سلطان وفد الى الله داد يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه
وبين خدايداد وأن يستعطف خاطره الى الرضا ويستقبل المودة في الحال ويعفو
عما مضى ومهما طلبه يتكفل به ويعد قربه من أفضل قربه ويكون هو السفير
بينهما ويقرب الصلح عنهما فتوجه الله داد الى خدايداد وأبلغه هذه الرسالة وبين له

ما في هذا القول من رقته وجزالة وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان
وخدايداد على ما ذكر أن خليل سلطان كان في أوائل الزمان مجاورا لخدايداد في
تلك البلاد وكان جده جعله ناظرا عليه وفوض أمور تربيته اليه وكان كزا جافيا
وجلفا جاسيا فكان يعامله بالفظاظه ويقابله بالكثافة والغلاظه وكان خليل
سلطان لطيف الذات ظريف الصفات نسيم أخلاقه لا يحمل من خدايداد
زعازعه ويرد من اسمه اللطيف رقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه فتولد
من تلك القساوه بينهما العداوه وسعت بينهما الوشاه الى ان دس له مهلكا فسقاه
فكان أجله فتدارك نفسه وتعاطى علاجه وما يصلح مزاجه فقضى الزمان ان
تخلص من تلك الداهيه فنجا منها وليتها كانت القاضيه وبقي فيه من ذلك أرج
وأورثه العرج فصارت العداوة خاصة وعامه وغدت هذه الفعلة لهذا المهول علة تامه
﴿فصل﴾ ثم ان الله داد حلف لخدايداد الايمان الغلاظ الشداد وأكد هذه
الايمان بأن استصحب معه القرآن واشار اليه ووضع يده عليه وزادتأكيدا
بأيمان الطلاق وبالالتزامات والنذور والعتاق انه لا ينقض عن طاعته يدا
ولا يستحيل عليه أبدا وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع ورد
ما انقدع ورتق ما بين الجانبين انفتق ورقع ما في خواطرهما من الشحناء والعداوة
انخرق وأن يجهز له تومان احدى نساء تيمور وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد
الشرور واصلاح الامور وان يجتهد في رفع الشنآن ومحو سطور العدوان فانه
لا يستحيل عن مصادقة خدايداد في السر والاعلان وصار يتملق ويترقق ويتوصل
بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق ويشدد ايمانا ترجف القلوب
وتصدع بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلاث من زوجاته الاربع وكان مخيمهم
على ساحل سيحون عندا وهو من شاهرخيه نحو من بريدين بعدا فعبر سهم ختله
الى سويداء قلبه بمكر ودخل وغرر له اذ طحن معه ناعما ما زرعه بيمينه في ساحله
ونخل الى ان سمح باطلاقه بعد تأكيد عهده وميثاقه فرجع الله داد الى
وثاقه واجتمع بحاشيته ورفاقه وكانوا في شاهرخيه وأخبرهم بهذه القضيه وكان
قد هيأ قبل ذلك أمره وأخذ من كل جهة أهبته وحذره ثم انه شمر الذيل وقطع
سيحون بالمراكب تحت جنح الليل

﴿ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرماً مع زلفى الأوطان﴾

وحين حصل على هذا الجانب ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر ولا غائب أسرع
الحال بعكم الاحمال وشد الاثقال وأخذ الاهبة قبل النهبه فأفرغوا عليهم
سوابغ السلاح وأذن بصلاة الرحيل قبل الصباح وقدم ضعفة أهله والاثقال
أمامه ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه وطير الى خليل سلطان مخبراً بهذه
الأخبار وماجرى بينه وبين خدايداد وكان وصار ويستمده باستقبال المدد
وارسال العدد لاحتمال أن خدايداد اذا انتبه يتفطن لغاية هذه الفعله فيخطر
بباله ردهم ويرسل وراءهم من يصدهم ثم ساروا كالسهم الصائب وصاروا
كالنجم الثاقب فما أصبح لهم الصباح الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح وجازوا
كل قاتم الاعماق خاوي المخترق وقطعوا على أنوال السير بما اسدته مطاياهم من
مزهر الرياض ألوان الشفق فواصلوا بالسير سراهم فساروا نهارهم أجمع حتى
غشيهم مساهم وحين أخذ منهم اللغوب وكل الراكب والمركوب وسدلت عليهم عنقاء
الظلام الجناح عدل بهم الى بعض البطاح وحط عنهم واستراح ورسم أن توقد
نار ولا يطمع أحد في طعم النوم بقرار ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف
طرف ثم التهموا مايسد الرمق فصلوا صلاة الخوف فعبدوا الله على حرف وأمهلوا
ريثما قطعت الدواب العليق ثم أمر فحملوا وركبوا متن الطريق

﴿ذكر تنبه خدايداد بأن الله داد خلب عقله بأنكال وانكاد﴾

ثم ان خدايداد تنبه من رقدته وارعوى من ليلته وعلم أن الله داد خلبه نهاره
ذلك وسحره وكشف شمس عقله ولعب به في دست حلفه وقره فعض كما يعض
الظالم على يديه وعين في الحال عسكراً جراراً وأنفذه اليه فأسرعوا وراءه
والتمسوا القاءه فلم يروا له عيناً ولا أثراً ولا رووا عنه من أحد حديثاً ولا خبراً فلم
يزالوا في طلبه حائرين دائرين ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ووصل الله داد
الى مقصده فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى عليها بمفرده اذ قبل دخوله كان
شيخ نور الدين قد خرج وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج فابتهج
بقدومه خليل سلطان وقدمه كما كان على سائر الوزراء والأركان فتمكن الله داد

كيف شاء وتصرف في ممالك الملك بديع بيانه اختيارا وانشاء وتعاطى في الحال تمهيد الامور وتجهيز السرايا وحفظ الثغور فتراجع أمر الناس وانضبط وانتظم عقد الملك بعد ما انفرط واستقر حال الناس وتمكنت القواعد على الاساس وكان هو وبرندق وأرغون شاه وآخريدهى كجول يدبرون مصالح الممالك ويسلكون بكل أحد مسالكه ولكن الله داد هو الدستور الأعظم والمشار اليه الأفخم وعليه مدار القبض والبسط ونظام عقود الحل والربط واستمر شيخ نور الدين وخدايداد يغيران على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد واستوليا على أطراف تركستان وعامة تلك البلدان منها سبرام وتاشكند واندكان وخجند وشاهرخية واترار وسغناق وغير ذلك مما في تلك الاكناف والآفاق فكانوا يقطعون سيحون ويتوجهون الى ممالك ما وراء النهر ويغيرون فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان وتارة يجهز لهم طوائف من الجند والأعوان وعلى كل تقدير فانهما كانا لا يثبتان وينهزمان وسيأتي ذكر ذلك كما كان

﴿ذكر ما وقع في توران بعد موته من حوادث الزمان﴾

وأما المغول فانه لما اتصل بهم خبر وفاة ذلك المخذول وكان بلغهم أنه قد صوب أحجار كيده الى هشم تلك الثغور وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور ولم يشكوا في أن ذلك شرك مكيده وأحبولة مصيده فلم يقر لهم قرار وتنادوا الفرار الفرار وتشتتوا في البلاد وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الاطواد ولجأوا الى الحصون والجروف وتعاووا الى قعر المغارات والكهوف وكذلك كل ذي عين من أهل الدشت والشمال وتوزعوا في الاحقاف والرمال وصار أهل الشرق والخطا الى حدود الصين ومن في ذلك الوجه يسرحون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون والحق أنه كان في هيبته وعتوه قد مرج الى أن ملأ العالم شرقا وغربا بالارج وصار كما قيل

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا
تكاد سوابق حالته تغني * من الاقدار صونا وابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر وتكرر بسمرقند هذا السكر واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر وتقرر هذا الحق عند كل أحد فلم يسع فيه بجحود ولا تناكر تراجع فؤاد كل الى جوفه وتبدل أمنا من بعد خوفه وتنادوا بالثارات وشرعوا فى شن الغارات وقصد كل مستحق استرجاع حقه وكل مسترق استرق استفكاك رقه فأول من نهض من الشرق المغول وقصدوا اشپاره وآمى كول وامتدوا فى تلك البلاد حتى جاوروا خدايداد فهادنهم وصافاهم وشرط لهم ردما أخذه تيمور من أماكنهم وأن يكونوا يدا واحدة على من ناواهم وأحسن كل منهم مع الآخر الجوار واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار

﴿ذكر نهوض ايدكو بالتتار وقصده ماوراء النهر وتلك الديار﴾

ثم نهض من جهة الشمال ايدكو بعساكر كالرمال وتوجه بحزم وعزم الى ممالك خوارزم وكان نائبها ايدكو موسى كالما أحس بالتتار وخاف على نفسه البوار أخذ أهله ومتعلقيه وسار وذلك بعد أن هجمت التتار وعمية المضافة الى ارغون شاه وعبروا جيحون وهو جهد ورجع ارغون شاه الى مأواه فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ماحواليها ثم رجع الى خوارزم وقد أذكى فى الجغتاى الهيب وانكى وولى من جهته فى خوارزم وولاياتها شخصا يدعى انكا فمهدت أيضا تلك الاماكن واطمأنت الظواعن والسواكن بواسطة أن خليل سلطان قابل كل من أساء اليه بالاحسان وصار يسترضى كل ساخط ويستدنى بمكارمه كل شاحط ويصطاد النفوس بالنفائس ويقتنص الأسود بالفرائس فأحبه الاجانب والاباعد ورغب فيه كل صادر ووارد غير أن شيخ نور الدين وخدايداد تماديا فى الفساد وبالغا فى العناد فخرب ماتجوذب بين الطرفين من البلاد

﴿ذكر پير محمد حفيد تيمور ووصيه وماجرى بينه وبين خليل وولده﴾

ثم ان پير محمد ابن عم خليل سلطان وهو الذى عهد اليه تيمور كان بعد موت أخيه محمد سلطان خرج من قندهار وقصد سمرقند بعسكر جرار وأرسل الى خليل سلطان وسائر الأكابر من الوزراء والاعيان بأنه هو ولى عهده وخليفة جده تيمور من

بعده فالسرير حقه فأنى يغصبه والمملكة فكيف يسلبه فكل منهم جاوبه بما
يليق وخاطبه وأما خليل سلطان فتصدى لمعارضه وقابل كل مسألة من الخطاب
بما ينافيها من المعاكسة والمناقضه وقال لا تخلو مسألتنا يا فلان من أن الملك في هذا
الزمان اما أن يكون بالانتساب أو يظفر به بطريق الاكتساب فان كانت
الأولى فثم من هو أحق به مني ومنك وأولى وذلك أبي أميرانشاه وعمي شاه رخ أعني
أخاه فيكون بينهما بالسوية نصفين فما لك كلام مع وجود هذين وأنا أولى أن
أكون صاحبه فأرعى جوانبه وأسلك مذاهبه اما ان يقطع كل منهما المشاغبه
ويترك لي ما له فيه من ولاية المطالبه ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه
واما بأن يجعلني خليفته في سلطانه فأصون نصيبه ونائبه وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم لأن الملك كما زعموا عقيم ومن قبلي وقبلك قيل في الأقاويل

شعر صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انما الأيام من غلبا

وان زعمت أن جدك عهد اليك أو عول في وصيته للملك عليك فهو من أين استولى الا
بطريق التغلب وأنى حصل له ملك وملك الا بالاغتصاب والتألب وعلى تقدير
التسليم وان أمر وصيته مستقيم فانه كان في حياته قسم بلاده ووزع عليها
أولاده وأحفاده فولى والدي ممالك اذربيجان وقرر عمي في ولايات خراسان
وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار وولاك أنت من جملة ذلك قندهار
وجعلك وصيه كما رسم وأشار وتحمل هو المظالم والأثقال فأين نصيبي أنا من هذا
الثقل فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه وليقنع كل منكم بما تقرر فيه
وفوض اليه ومع هذا ان تابعك أبي وعمي تابعتك أو صادقاك على الوصية
وبايعاك بايعتك وان سلكا في ذلك طريق الحق فالملك صيد والأولى به من حاز
فيه قصب السبق وان الله أزاح علة اذ ثبتني بأسبابه وأباحه لي مباحا ومن
سبقت يده الى مباح فهو أولى به هذا وان كلا من مدرسي فقهاء الملك تابعني ومن
له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعني وعمد عقد توليتي مراجعة ولما
وقع على سريري ألقى الى السلم وبايعني وأما الوزراء والأعيان فأجابوه بما
لا طائل فيه سوى ما تمجه أذن مستمعيه غير أن الخواجا عبد الأول وهو صدر
صدور العلماء والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء المتفق

سهام أحكامه في جميع الامراء والزعماء أجاب فأجاد وأصاب وأفاد واختصر واقتصر وحصر من بير محمد والخليل سلطان انتصر فقال في سوابه مجاريه في خطابه ثم أنت ولي العهد وخليفة الامور تيمور من بعد ولكن ما صادف طالعك سعد ولو ساعدك البخت كنت قريبا من التخت والأولى بحالك أن تقنع بحالك ومالك وتشفق على خدمك ورجالك وتضبط ما في يدك من ممالك وان أبيت الاطلاب الغا ولم تقنع بما قسم الله لك ووقفني وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء فانك تقع في العناء وتخرج ولا يبقى من يدك فتصير مذبذبا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على أمرائه ومخالفته

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال واردفها بحقائق الافعال وأمر بتجهيز جند مجند الى استقبال بير محمد وأضافهم الى ابن عمه والد السلطان حسين وعين فيهم من أمراء الجغتاى كل رأس وعين وضم اليه الظهور والاعضاد ومنهم لجول وارغون شاه والله داد فساروا سابقي العدد كاملي العدد وذلك في سنة سبع منتصف ذي القعده فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في نواحيها وانبثوا في اقطارها ونواحيها وبينما هم مرفهو الحال فارغو البال قرير والعين عارض السلطان حسين ثم انه دعا الأمراء ليقرر معهم فيما هو بصدده الاراء وقد كمن لهم كمينا وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا وحين ولجوا خيمه ودخلوا كبسه وثب عليهم وثوب الايث على الفريسه واغرى بهم أسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الفريسه ثم نادى من معه من الرفاق ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وكان كاد كرذا طيش وشجاعه وتهور ورقاعه وصولة وجوله يسبق فعله قوله فاهريق في تلك الساعه دم واحد من تلك الجماعه يدعى خواجا يوسف وكان في حياة تيمور نائب الغيبة بسمرقند وهو أمير مشهور ففي الحال قتل والى الدار الآخرة نقل ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنه ودعا الخلائق من ههنا ومن هنه فدهشت أولئك الرؤس وعلموا أنه قد حل بهم النقم والبوس

﴿ذكر خدع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين﴾

غير أن الله داد ثبت جأشه المزؤد واستحضر تلك الساعة عقله المفقود فابتدر
سلطان حسين مناديا واستنبهه في أمرهم مناجيا وقال له بعبارة فصيحة ان لي
إليك نصيحة ثم استخلاه وقال أنا كنت مترقبا منك هذه الفعال ومترصدا منك
اظهار ما أنت بصدده ومن أين لخليل سلطان أن يحتوي على الملك بمفرده غير أن
هيبة مولانا السلطان باسطه ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه ولو كان
عندي من ذلك أدنى شعور لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والأمور
ثم ان الخاطر الكريم يشهد بصدق هذا الحديث وأنا عبدك من قديم وسل من
من كان من المماليك والاجناد الذين كانوا محصورين في أمر خداي داد من
خلصهم من حبائل أسره وانقذهم من ضرام ضره وأطفأ عنهم ما التهب من شرار شره
اذ لولا أنا لكان أبادهم وأيتم أولادهم وفجع بهم طريفهم وتلادهم فاسأل ان
تسألهم عن خبرك وعلى حقيقة الامر وجلية الحال يطلعوك وربما أخبروك بذلك
لما أتوك ومع هذا استقت قلمك وان أقتلك وأفتك ولازال يطوي بما اخترع بلاته
شواظ تفرعنه ولهيبه ويذكي في خياشيم رعونته عنبر احتياله ومسك كيده وطيبه
ويرمي عن قوس خدله الى سويداء اختباله نبال مكر أرهفت فيه نصال القضاء
والقدر لانها كانت مصيبة فشرب مكره وتبع أمره وجعله ظهره واستقدح
في أموره فكره ثم انه بعد ان امتن عليه باستبقائه استشاره في قتل رفقائه فقال
له لا شك ان خليل سلطان ملك الناس بالانعام والاحسان وهو وان كان في
الشجاعة قاصر اليد قليل البضاعة لكن استعبد أبطال الرجال بحسن الخلق
وبذل الاموال غير أن المال بعرض الفناء والزوال وأنت بحمد الله مآثرك
مشهوره ومنازل منازلاتك الابطال معموره ورايات كسرك قرون الاقران
على جبين الكباش منشوره ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان
أبدا منصوره قلت

فكم لززت شجاعا في البراز فمذ * رأى شمالك ولى ظهره وجرى
مذ كنت رأسا وعيناي الحروب أرى * في رأسك الفخر بل في عينك الظفرا

وأنا أعلم أن عامة الجند ستتبع طاعتك ويرقص فؤاده لحصول سكونه فرحا

بحر كمثل فانه لا بد لهم من رأس يسوسهم وضابط همام يصونون بتدبيره أنفسهم ونفوسهم وقرم كالليث الخادر والسيل الهامر بل كالبحر الغامر منصور الدعاوات دعي غضامر موصوف بما قال الشاعر

أضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأي الا للشجاع المدبر

وبما قال شعر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا أنت وما المجد والكرم والحسب والنسب الا رواحل حيثما رحلت وسكن أينما سكنت ولو صدت شاه ملك وشيخ نور الدين أن وراءهما مالك الحصن الحصين لا ستند اليك رواية هذا السند السديد ولأويا من جنابك العالي الى ركن شديد وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم فسواء عندك أبقيت عليهم أو أبدتهم ولكن ابقاؤهم أولى ولا زالت العبيد تترقب مراحم الموالي فان اقتضى الرأي السعيد أن نكون كلنا موثقين في الحديد مع زيادة قيد ايمان أكيد فرأيه أعلى واتباع ما يقتضيه أحرى وأولى فاقتفى رأيه واتخذه علما لامور ورآيه فاستتبعه بفيئه وقال اسلك ورآيه

﴿ذكر أخذ سلطان حسين على الأمراء الميثاق ومشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق﴾

ثم انه أحضر الأمراء وهم في قبضة سطوته أسراه وقد نازع كل من متعلقيهم صوب ناصيته وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم النادبة والناعيه وأرتقوهم بقيدي الحديد والايمان بأن يكونوا معه في السراء والضراء على خليل سلطان فدكل منهم الى القيد رجله والى اليمين يده وعاهده على ما يختار وأن يقدم له نفسه وأهله وماله وولده فحين استوثق منهم أزاح بالأماني السوء عنهم وتركهم موثقين في البند ونكص قاصدا سمرقند وأرسل الى خليل سلطان يخبره بما دب من أمره ودرج واستقلال بارزته فيما وقد مر بجهوده وشرح وأنه هو أيضا طالب من ملك خاله حصته ومنازع خليل سلطان في السرير منصته

﴿ذكر

ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند لملاقاة سلطان حسين بطوائف جنده ورجوع سلطان حسين عاثرا ومعه خفي حنين

فاستعد له خليل سلطان وخرج من سمرقند لاستقباله في أسرع زمان ثم ان السلطان حسين أصحب الله داد ومن معه من الشياطين المقرنين في الاصفاد واستأنف عليهم العهود وأكد عليهم قيود العقود وأحل كلا منهم محله وأجاز عقده وحله وخلع عليه وأجاره واستمر مع حقيقته ومجازه وبش بأنعامه الى متعلقيهم وهش وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش والله داد كان قبل ذلك بزمان أرسل الى خليل سلطان يخبره بوقوع هذا الهم وماجرى عليهم من شرور ومأثم ثم قال له ان فالك سعيد وأمرك حميد فانهض برأي رشيد وعزم سديد وجناح حديد فان عدوك مصيد والله تعالى ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيده المكيد وان كنت طفلا فانك فتى شبت أهواء القلوب نبعات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد فوصل خليل سلطان الى ذلك المكان فعبى السلطان حسين جيشه واستعمل ثم قره وطيشه وجعل الله داد على الميمنة ورفيقيه على الميسرة ولما ترائى الجمعان وتدانى الزحفان وحقت الحقائق وسدت المضائق وتعادت الاسود والغرانق وبادر كل منهم من مكانه وقصد كل من الله داد وأقرانه عساكر خليل سلطانه فتخبطت عساكر السلطان حسين وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا من ظنونه ثوبي خيبة وحين ودهمه من البلاء ما أنساه سلبه فرجع بخفي حنين ومر على وجهه قاطع الفلاة حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراة فلم تطل له عنده مده فما سقاه مهلكا وانما مات حتف أنفه عنده فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد عما قصده من فرح وهم وكيف آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم

ثم ان بير محمد تمادى في خروجه واستمر يرتع في روض الطلب ومروجه وتكررت بينهما دروس المراسله وتحررت مسائلها بعد مطاولة المقاوله أن ينزلوا منازل

المنازلة وبجلوا بروج المقابلة والمقاتلة وكان متولي أمور ديوانه ومشيد قواعد
ملكه وسلطانه شخصا يدعى بير علي تاز حامي حقيقة باب الالتو وفارس المجاز سرة
بطحاء مملكته وقطب سماء دائرته وقدوة علمائه وعماله وقوة خوافي عسكره
وقوادمه فجرد من عساكر قندهار كل طمر ودلو مال على قندهار وهار وتوجه بعزم
أمضى من البتار وحزم أنفذ من الخطار قائد ذلك الخضم المدار والسيل الثرثار
والغمام المدرار حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار ثم أمر ذلك البحر العجاج
أن يركب من جيحون الاثباج ويصادم منه تلاطم الامواج فرج الله البحرين هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج فعبروا منه بسفنهم النهر وجاوزوه
مجاوزة بني اسرائيل البحر وسار بتلك الأخشب حتى أرسى على ضواحي شختب

﴿ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية
والقائهم بزعمهم اياهم في أشر بلية﴾

وكان قبل ذلك خليل سلطان قد نجز أمره كما كان ونمت أمطار مزيد الايثار
وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار لجيشه وامتثال أمر الجرايات وثمار الادرار
ما يستمدون به للقاء شياطين قندهار فلبى دعوته العام والخاص وكل بناء من
عفاريت الجنود وغواص واجتمع من أعيان أولئك الاعوان كل مطيع
مقتطف ثمر احسان ذلك البستان من انس وجان وجاء ذلك البحر أفواج
أمواج العساكر من كل مكان وهم ما بين رؤس الجغتاي والجنا وكل فرعون من
بلاد تركستان قد طغى وعتا وفوارس فارس والعراق ورستمدار وجاء قربانية
خراسان والهنود والتتار ومن كان تيمور أعده لمضائق الامور ولم يفارقه في سفر
ولا حضر وأرصده لكل نائبة من خير وشر شعر

فوارس لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح واستنجد منهم لما دهاه كل صديق نصوح
وأسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات وساعف على قامة آمالهم من حلل
انعامه المضاعفات ففتحت عليهم الارض خزائنها وصبت عليهم من معادنها وركازها
ظاهرها وكامنها فصار كل راجل منهم وفارس وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفائس

يزرى بحسن هيئته على مخدرات العرائس فساروا ونسمات النصر من أنفسهم فائحه ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحه والسبع المثانى لأبواب النجح والفتوح فى وجوههم فاتحه ولازال ذلك الراس يرعى ويمشى حتى حط على ضواحى قرشى وهى المدينة المذكوره فاستقرت تلك العساكر المنصوره وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان سنة ثمانمائة وثمان فبات كل من ذينك الجمعين وقد ضم ذيله وكف عن التبذر والتبدد سيله وحفظ من الأغيار رجله وخيله واحيى فى معتكف المراقبة الى الصباح ليله قلت

الى أن بدا لم الضيا فى ظلامه * يلوح كدرج الماء من تحت طحلب

ولما سل الفجر صارمه الفضى وابرز ابريز ترسه ومسح على لوح الجو ما طرسه مسودة الليل من دخان نقشه تهيأ كل من أولئك الاطواد للاصطدام واشتعلت فى قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء والاسطلام فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسره ومقدمة ومؤخره ثم تدانوا وتكافوا وتمارنوا وتطاعنوا وتراجزوا وتعانقوا وتمادقوا وتهانوا وتناجزوا وتفانوا والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل وارتفع ظلام القتام الى رؤس الأسنة فرأوا فى صلاة الظهر نجوم الليل وجرى فى ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل ثم عند منتصف النهار انكشف الغبار عن انطرود قره يار هار وسعد أولئك الكبار بار وعليهم غبار العثار ثار وخبرهم بالانكسار سار وصيت خليل سلطان الى الأقطار طار والى الآفاق بالانتصار صار فولى بيرمحمد وعلى رأسه بحر الدمار مار وفى قلبه زناد البوار وار حتى كأن فى قلبه جمر الغضا والعار غار وفى كبده نار لهب المرخ والعفار فار وجندلت رجاله وأبطلت أبطاله ونهبت أثقاله وتحولت أحواله وسبى حريمه وعبيده وسلب طريفه وتليده وتشبث هو بأذيال الهزيمه وعلم ان ايابه سالما نصف الغنيمه كما قيل

ايابك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم فى النفس السليمه

ورجع خليل سلطان وقد استنار به الكون والمكان وأسفرت دولته واستطارت صولته وشكر الله المليك وأتم صيام رمضان فى مكان يدعى حكداليك

﴿ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان وتجاهرهم بالخروج وقصدهم الاوطان﴾

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال خرج من العراقيين الرؤس والابطال ومعهم حريمهم
واتباعهم وأولادهم واشياعهم وكبيرهم شخص يدعى حاجي باشا وهم جارون
تحت أمره كيفما شا وكانوا ذوي صولة وجولة وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن
السلطان احمد البغدادي لصلبه وكان قد وقع في أسر تيمور فسجنه في سجن شكنته
وكربه فأفرج عنه خليل سلطان وجعل له عنده ذا مكانة ومكان فبينا الناس
مشغولون بأمور العيد رفع أيديهم أولئك الصناديد وكأنه كان تقدمهم
بذلك وعد فخرجوا تحت جنح الليل وشمروا عن رأس العراق الذيل
وطاقوا واستقذرات ما وراء النهر وما والاهما كل الميل لانهم كانوا قد سمعوا أن دار
العراق أزالت بانيها وجاء أمر سلطنتها عادت الى شجاريها فلم يقف أحد أمامهم
ولا مشى خلفهم ولا قدر على أن يربط عن السير رجلهم وكفهم فقطعوا جيحون
ووصلوا الى خراسان فتصدى لهم كل من سمع بهم من كل مكان فانفرط نظامهم
لعدم اتفاقهم فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم وأين ايران من توران
ودجلة من جيحان فعيد خليل سلطان في ذلك المكان ثم ألوى راجعا الى الاوطان

﴿ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره﴾

ولما وصل بير محمد الى قندهار واستقرت به الدار تلملمت أموره وعاثت سول
قصوره عقوره ودارت من سيارات عسكره بدوره بدوره وتسعرت همومه وحروره
وتطاير شراره وشروره فتأرق وتحرق وتحرق أسفا قلبه وتحرق وتمزق غيظا
أديمه وافرق وكان ذا حماقة وقلة لياقة فطير أجنحة مراسيمه الى سكان أقاليمه
واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه واستطب لجريح قلبه كل
قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه فلبوا دعوته بالاطاعة وأجابوا
نداءه بالسمع والطاعة ثم سالت الأودية والجبال بالخيل والرجال وأرسل الى
خليل يقول ضمن كتاب مع رسول ان أول مصافنا كان فلتة فقتت وشرارة
تسهل في اطفائها فالتهبت وطمت ولو اني استقبلت من أمري ما استدبرت

وتحققت ما استحقرت واستكبرت ما استصغرت لا انتصرت ولا انكسرت
واعثرت على مرادي وما عثرت ولكن أضعت الحزامه فغرمت السلامه وتناولت
أمرك برؤس الأنامل فأكلت يدي ندامه مع أن صلابة جندك وقوة ظهرك
وعضدك ونبال نبالتك وساعد سعدك وعضب غضبك ورمح رشدك وحد
صارمك وصرامة حدك انما كان رؤس العراق وما حصل لك منهم من الاتفاق
وأما الآن فقد وقع منهم نفاق واتفق لك منهم عدم اتفاق وظهر تباعد وشقاق
فمن لذلك كدك واختل فكرك وحدك وها أنا قد جئتك بجد جديد وبالحد
والحديد فاستعد للقاء وتيقن عدم البقاء فان الحرب كما علمت سجال وكما أديل
لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال

﴿ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كره وما حصل عليه في ذلك
من كر وفر وتوليته الدبر كما بدا أول مره﴾

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان
فتوجه اليه خليل سلطان ومعه من عساكر الرجال والفرسان وجراد الجيش وقاده
وضماد عسكره ما يجري من الدم الطوفان فرتلك الاطواد والبحار وعبر وهو ما بين
رأس وسار حتى وافى جنود قندهار وكان كما ذكر من قبل قد قدح في حراق
أحشاء العساكر القندهاريه من خوف نار الخليل زناد النبل فكانوا ملسوعين
والملسوع يخاف من جر الحبل فقبل أن ينعق لنفير ويضرب الطبل نفر من كل
فرقة منهم طائفة وتنادوا أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة فالتجأ بير
محمد لقلعة الخلم ولم يكن له بها طوق فالتجأ الى القلعة الغلم وأرصد الابواب وأحكم
الاسوار واستعد في حصار شادمان للحصار فأحاط به من العساكر كل جارح
وكاسر ودار عليه من بني يافث كل سام وحام ووجد في المحاضرة منهم كل طاعن وضارب
ورام فتندم بير محمد على ما قصد في ذلك وتعمد وتذكر ما قاله أول المواجهة
الاول لكنه اعتذر بالقضاء والقدر فرماه القضاء بسهم جواب أجاد فيه
وأصاب * وقال

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

فانعكس منه كل رأى وقال وتغير عليه كل أمر وحال وذهب عنه نشاطه فما بيده
من ملك ومال ونفر عنه كل أسد أصلى للحرب نارا حامية لما سطا على حام وصال وحسم
عنه لسوء تدبيره كل ذى قرابة حين امله بالامانى الكاذبة كل سراب وآل وتمزقت
شقق تدبيره على منوال تفكيره سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال

(ذكر ما صنعه بير محمد من حيلة عادت عليه بافكاره الوبيلة لان بدورها كانت قليلة)

وانعدم حوله أخذ فى أعمال الحيلة فاستدعى عدة مضبوطة من الجلود المخطوطة
الجيدة الدباغ المصبوغة بالوان الاصباغ ثم فصلها لبوسا اشكل بوسا وسمر عليها
المرايا المصقولة وبعض صفائح مصقولة وموهها وأحكمها بالمسامير واحضر من
سوقة بلده رؤس الجماهير واستكثر من الرعاع واهمج الجموع ثم أشعر تلك
اللاص والدروع ووزع على تلك الرؤس والظهور هاتيك القطوع فصار كلما
صارت الشمس بازغة أصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك
الدروع السابغة فاذا رآهم الناظر من بعيد توهم رجالا ولم يعلم أنهم نقد العبيد
واذا ترا آى ذلك الهباء والجمهور الذى ملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء واستمر على ذلك مدة يقاسى المعاناة ويعانى الشدة وكان الذى تعاطى
هذا المكر الجلى دستوره ولكنه أغنى بير على ومع ذلك كله لم تنفعه تلك الحيلة
وعادت عليه أفكاره الوخيمة ووساوسه الوبيلة وانكشف سره وانهتك ستره
فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال وتناقص عدده وعدده وزاده الدهر النكال

(ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم وطلبه الصلح والقائه السلم)

فبسط بساط التضرع وطلب وسائط التشفع وعلم أنه لا عاصم من أمر الله الا من
رحم فناشد خليل سلطان الله والرحم وقال معنى ما قالت

يعطى الكريم ولا يخل من العطا * والعفو شيمته اذا رقم الخطا

فاجاب خليل سلطان مقاصده وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهدة بان
لا يقصد أحد منهم بلاد صاحبه واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبه ويسلم
اليه ما فى يده ويبقى على الود والصداقة فى يومه وغده ثم تحالفا أن لا يتخالفا
وتواثقا أن يتوافقا وتصادقا أن يتصادقا وتعارفا على أن يترافقا وتوافقا أن

لا يتناوقا وراقبا الاول والذمه وراعيا القرابة والحرمه وانشمر كل عن ساعديهما
همه من فمه وذلك في سنة تسع وثمانمائة

﴿ذكر مكائده ومكائد وقعت بين بير علي وبير محمد أزاحت ثوب الحياة عنهما
وأراحت الخلائق منهما﴾

ولما وصل بير محمد الى وطنه واستقر بين خدمه وسكنه خرج عليه بير علي تاز
واستقل بدعوى الملك وامتاز ثم قبض عليه وكبله ثم انه خذله وجدله وشرع يقول
وهو يصول ويجول امور الدنيا اضطربت وأشراط الساعة اقتربت وهذه دولة
الدجالين وأوان تغلب الكذابين والمحتالين من فتى تيمور وهو الدجال الاعرج
وهذا زمان الدجال الاقرع وسيأتي بعد هذا الدجال الاعور وان كان أحد يجزع من
قرع باب السلطنة فانا اقرع لم يجب أحد من الرؤس والاذناب سؤاله ولا أنعم له بما
أقر عينه وأنعم باله اذ لم يوجد في تناول هذا الامر محظور من عيب ولم يكن لذلك
الوعد في مرام الملك غير الشيخ والسعي فدعا أربابه لكلها تغيره وخيفه فكشر
كل في وجهه أنيابه وجادبه هذه الجيمه فلم يبق له قرار ولا ثبات فسل يده ومد
رجله صوب صاحب هراة فبمجرد وقوعه عنده في شرك الاقتناص قبض عليه
وأجرى عليه أحكام القصاص وصفى له الملك فتدعار من غير مضارب ولا مضار
واستراح خليل سلطان أيضا من الانكاد والمضار

﴿ذكر ما وقع من حوادث الزمان في غيبة خليل سلطان﴾

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم تتار الروم ووصلوا بالعزم وقطعوا جيحون
بالرحل وهو جمع من خوارزم وقصدوا بلادهم فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم
وأبادهم وحصل لهم من عدم الاتفاق ما حصل لعساكر العراق وأيضا في غيبة
السلطان خليل واشتغاله بهذا السمر الطويل اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور
الدين فتوجهوا الى سمرقند طامعين وأخذوا عليها ونهبوا ما حوالها فتحصنت
منهم وترفعت عنهم فنهبوا ما قدروا ورجعوا ونحو بلادهم انقلعوا

﴿ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه الى الشيخ نور الدين وخدايداد﴾

ولما رجع خليل الى سمرقنده أراح طوائف عسكره وجنده ثم دعا أصحابه ووجه نحوهما ركابه وهيأ أنصاره وأبطاله وسار بتلك القبائل المضطرمة والاسود الحوادر والفحول المغتلمة واستمر ذلك الطود الراكون بين حركة وسكون حتى وصل الى سيحون وحين شرع في ذلك الطود والنار ذات النور على نهر سيحون في العبور رأيت البحر المسجور فاذعن له شاهرخية وخجند وتحصنت منه تاش كند فتوجه لحصارها وعزم على هدم أحجارها فبعد أن حاصرها مدة وأذاقها الباس الجوع والشدة لجأت الى طلب الامان وسلمت اليه قياد الاذعان فاجاب سؤالها ووقع بالصلح حالها ثم قفا آثارهما طالبا دمارهما

(ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخداي داد نارا للخليل ليحرقاه فاطفأها الله تعالى ووقاه)

وكان خداي داد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني مسعى ولعلما فتوجه وراءهما ورام اقتناصهما فجعلا يرحلان عن مرأى منه ومسمع وينزلان بأمل فيه ومطمع وجعل يقتفيهما في كل منزل فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره مستيقنا بطول نصره وظفره فكأنه في بعض الليالي غفل عن التحرس وكان لهم في جيشه من دأبه التجسس والتحسس فنبههم الظن وثقانه وسط على مكان يسمى شيرابخانه وكان قد تقدم على الثقل فطار جاسوسهما اليهما بما فعل فاقبلا كالسيل وبيتاه بالليل فخرج من عسكره جماعة وكأنما قامت القيامة في تلك الساعة ثم تركاه وردا وتزاعنه وندا وتشتتا في المهامه والموامي ومن أين للسلطان اقتناص المرامي فكف عنهما عنان الطلب وقصد بالسلامة دياره وانقلب

(ذكر مفارقة شيخ نور الدين خداي داد وتقاسمهما تلك البلاد)

ولما كانت مودة خداي داد وشيخ نور الدين كالغبار وأساس ما بينهما من الصداقة كأس بنيانه على شفا جرف هار اختلما وما ائتلفا وتجاذبا شقة الشقاق ونفق في تبايعهما بضائع النفاق ولم يعلم أحدهما من راق وظن أنه الفراق فتوجه شيخ نور الدين نحو سغناق واستولى على تلك الاطراف والآفاق

(ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار والتنصل عند خليل مما كان منه وصار)

ثم

ثم أرسل شيخ نور الدين خليل سلطان واعتذر عما صدر منه من العصيان وطلب
منه أن يقابل اساءته بالاحسان ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان وأجابه الى
سؤاله وأسبل على سوأة جرمه ذيل النسيان وأرسل اليه امرأة جده تومان

(فصل) ولم يزل على الوفاق وشق شقة الشقاق مرتقبا رتقة الرفاق
حتى وقع خليل سلطان في الرباق ومضى الشاه رخ ملك سمرقند وراق توجه اليه شاه
ملك مظهر الصلح ومضمر النفاق واستنزله بالمكر من قلعة سغناق بعد أن أحكما
العهد والميثاق ووقع بينهما الاتفاق وأن يتلاقيا ركابا ويتبادلا الاشواق بعد
السلام والاستسلام والعناق وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى أرغوداق
ثم أقبل شاه ملك بجماعته ونزل شيخ نور الدين من قلعته وسار شاه ملك وحده
من غير عدة وعده وتلاقى هو وذلك المغرور وبثا ما بهما في غيبتهما من أمور وسرور
وشرور فأكدا عليهما الميثاق والعهد ووصى كل منهما ما يفعل الآخر من بعد ثم ودعه
وانصرف واتصل بجماعته ووقف وسارع كل من جماعته بمفرده الى مصافحة شيخ
نور الدين وتقبيل يده حتى أفضت النوبة الى أرغوداق فتوجه بما أضمره من
الخداع والنفاق وكان في الشجاعة أسدا وكالفيل قوة وجسدا فوصل اليه
وقبل يديه ثم التزمه عناقا وأحكمه اعتناقا فاقتلعه من سرجه وأهبط نجمه من
برجه وقطع رأسه وجمع به ناسه ولما سمع بذلك شاه رخ طفق ينتدب ويصرخ
ولعن شاه ملك ونهره وضرب أرغوداق وشهره لكن ما أمكنه وصل ما قطعاه
ولا غرس ما قلعاه كما قيل وليس لما تطوى المنية ناشر واستمر مدة لا ينظر اليهما ثم
بعد ذلك رضي عليهما واستمر خدايداد متشبثا بأذيال العناد مشتركا بين العتو
والفساد غير مسلم الى الصلح القياد الى أن أباره الدهر وأباد وسنذكر كيف جاد
باعدامه وأباد

ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها جنكيزخان
وتجهيزه العساكر لهذا الشان

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة ارسل خليل سلطان من الجنود فئة وأضافهم
الى الله داد وضم اليهم من رؤس الاجناد الياس خواجا وابن قماري منصور

وتوكل قرقراو دولة تيمور الى ترمذ مع آخرين ليعمروها فاستعمروا سائر بني سمى وصلوا الى ترمذ بجمعوا فى الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد ثم تقاسمت تلك الرؤس أبدانها وعملوا على أن يتسوروا قلة أسوارها وحيطانها وجعلوا يعملون ولا يلبثون ويبنون بكل ريع منها آية يعبثون وتركوا بالنهار أكلا وبالليل نوما فأتموا بنيانها فى نحو من خمسة عشر يوما وحصنوا بروجها وأحكموا دروبها وطرقاتها ورفعوا أعلام مساجدها ومناراتها وبنوا مواضع أسواقها وأبياتها ثم أمروا الباقين من ذرية النازحين عنها من أهلها وكل من رحل من خراب عمرها الى عمران سواها أن يرجعوا اليها ويخيموا عليها وكان أولئك الساكنين قد استوطنوا من البساتين وبنوا فيها أسواقهم وبيوتهم وجمعوا فيها أسباب معاشهم وقوتهم واستمروا على ذلك من وقت جنكيزخان الى وقت تيمور كوركان فكانوا فى وطنهم آمنين وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين فلما مات تيمور وحدث شرور وأمور أراد خليل سلطان أن يصونهم وأرسل من شيد حصونهم وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ فصارت العتيقة أحصن من الجديدة وأرسخ لا سيما وقد علا البانون منارها وشيدوا بصفائح أقدام طود جبل أسوارها بخلاف الجديدة فان قصورها ساكنها غير مشيدة وهى عن النهر بعيدة فلما ناجوا الناس أن ادخلوا الى دار قراركم فكأنهم كتبوا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فلم يثقل الله داد عليهم ولا اكترث فى ذلك ولا التفت اليهم ولم يظهر فى ذلك عنادا ولكنه حشر فنادى أن كل من سبقت يده من أهل البلد الى شئ من هذه الاماكن والعمائر الجدد فهو له من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع ثم أمر بانتقال الخبازين والقصابين والطباخين والسمانين وبقية محترفيهم وما واهم ولم يتعرض لمن سواهم فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون ويربحون فى ذلك ولا يخسرون فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدنى بالطبع فألجأهم الاضطرار أن يتبعوهم بالاختيار فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم وصغيرهم ودبر على ما اقتضته أوامره قواعد أمورهم ثم جمع رؤس جنده وقفل الى سمرقنده

﴿ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان فى مقابلة ما فعله خليل سلطان﴾

ولما هم شاه رخ بمباذلة خليل سلطان جهز طائفة من عساكر خراسان وجعل عند ذلك السحاب المنجاب من بحر أمراء أمير يدعى مرزاب وهو أخو جهان شاه الذى كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه وأمر رؤس تلك الجنود أن يبنوا قلعة تسمى حصن الجنود وهى من أقصى بلاد خراسان يفصل بينها وبين ترمذ نهر جيحان ففعلت من البناء العساكر الخراسانية نحوما أعربت عنه العساكر الخليلية السلطانية وفى أثناء مدة البناء تراسل الله داد ومرزاب وتصافيا وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا

(اشارة الى ما حدث فى أقاليم ايران وما جرى من سيول الدماء عند تصوب ذلك الطوفان)

ثم ان السلطان أحمد وقرا يوسف رجعا الى العراق ووقع بينهما على سياسة الملك الاتفاق واستقر السلطان أحمد فى بغداد ووثب قرا يوسف على الجغتاى بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد وكتب الفتح على راياته آيات نصر من الله فاستخلص ممالك أذربيجان بعد أن أبادهم وأفناهم وقتل أميرانشاه ومد عنان الكلام فى استيفاء هذا المقام بحر حناء المحن بصدده من المرام الى أن وقع بينهما الشقاق وتخبطت أذربيجان والعراق ثم قتل قرا يوسف السلطان أحمد باشارة بسطام وذلك فى شهور سنة ثلاثة عشر وثمانمائة من هجرة النبى عليه السلام وأما عراق العجم فانها كانت أحمى أحم فاستقل بدعوى الملك متوليها بير عمر فنهض عليه ذو قرابته يدعى اسكندر فقاتله وكسره ثم قبض عليه وعمر واستقل بدعواه فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة فقبض عليه وأباده وجمع به أهله وأولاده واستصفى بلاده فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها وانثال الى خزائنه من أموالها وابلها وطلها من غير أن يعانى فى ذلك نصبا أو يقاسى فى تحصيله تعبا ووصبا مع أن مملكته كانت أوسط الممالك فلم يتطرق اليه أحد بسوء لذلك وأنه كان حسن الجوار قليل الحركة وأبوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة شر وهلكه فثبت فى مكانه بين أسود شهبت وثبت وكبت ماله من الاعداء عياله من أصدقاه وثبت فاهتزت أراضى دولته بنبات الثبات وربت وكان عيون السعد كانت

تراقبه وهو آنس المالك تناجيه وتخاطبه بقوله شعر

نزهوا دلك من سوانا واقتنا * فبنا يا حل لك كل منزه
واصبر فطلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

﴿ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم أوطانهم من ما وراء النهر﴾

وفي أثناء هذه الحالات قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات وطلب كل غريب وطنه وتحرك يبغي سكنه وقطنه اما باجازة واحتيال واما بهزيمة واختفاء وأول من استجاز من أهل الشام ورام المسير شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير ثم تفرقت الطوائف عجما وعربا وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا ووقع في سمرقند القحط وغلاء الاسعار ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار ثم حصل بعد ذلك الرفاهية واجتمع للناس الرجاء والامنية وطاب الزمان وحصل الأمان وذهب المقت وصفا الوقت وعند صفو الليالي يحدث الكدر

﴿ذكر ما أثار الزمان الغدار من دمار وبوار ألقى به الخليل في النار﴾

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير وملكه سلطان هواها فكان فيه كالأسير فمال بكل جوانحه اليها بحيث انه قصر نظره عليها وصارت محبته كل يوم تزداد وانست قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد فكان كما قيل شعر

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي الذي به * الى أن يرى الروحين يمتزجان

واستمر ذلك الى أن ران هواها على قلبه وأخذ بمجامع لبه وربط جوارحه وحل جوانحه وفصل قيصا واسما فكانا بلسانه واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه وصارا ينشدان والى حالهما يرشدان

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس قلت

انما كانت بروح نفخت * هذه الحال بها في بدنين

وكان

وكان لا يصدر أمر الا من رأيها ولا يستقضى فى سياسة الملك الا بنور رأيها كأنها قلدها قياده واتبع مرادها مراده وهذا من غاية البله والعته وكيف يفلح من ملك قياده امرأته وكان لها خادم قديم ليس من بنى الأحرار ولا تكريم بل كان من أطراف الناس يبيع فى أول أمره البزو الكرباس يدعى باباترمش بطرف معمش ووجه مغش وصورة قبيحة وسيرة غير مليحة وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها قبل وصول خليل سلطان اليها فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت وحصلت لها الرتبة التى لغيرها ما حصلت ارتفعت درجة خدمها وزادت حشمة حشمها واستفاد باباترمش من اضافته اليها التعظيم وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم فصار يرأس جماعتها ويسوسهم وعجالتها قعل بجلاوة هم القوم لا يشق بجليسهم ثم ترقى حتى صار عليه مدار أمرها ثم تخطت قدمه الى التكلم فى أسباب الملك وغيرها ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانيه واجراء القضايا السلطانيه ثم ترقى الى التوليه والعزل وتعاطى ذلك على سبيل الجد والهزل وانتهى فى ذلك فصار دستور الممالك ولم يقدر أحد على رد كلمه لحدة شوكته بقوة مخدومته فبسط يده ولسانه كما اختار وامتثل كل أحد ما أمر به وأشار واستطال على الله داد وأرغون شاه فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما أبرماه وبلغ فى قلة الادب الى أن كان يمد رجله بحضرتهما ولا يقوم بذرة من واجب حرمتهما ثم حجر أن لا تفصل قضية الا بمشورته وان كان غائبا فينتظر حضوره أو يتوجه الى حضرته ومن حين نبغ الى أن بلغ ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين وصارت الجغتاى وجنهم لا يغرن منه فى العذاب المهين فحصل لالله داد وأرغون شاه من هذا التدرج غاية الضرر ونهاية الحرج وبلغا الغايه فى الاهانة والنكايه وأعضل داؤهما وأعجز دواؤهما واستلذا ذهاب العيش وزواله على البقاء فى هذا الحال

❊ذكر ما افتكره الله داد وبره فى مراسلة خدايداد❊

ثم ان الله داد استعمل فكره ولكن أخطأت اسنة الحمره فطبخ قدرا فانقلبت عليه ونسج كدودا القز شبكة حتفه بيديه قلت

اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا
يعانى كل أمر ليس يعنى * ويفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يجد التبريد الا كباد الامراسلة خدايداد فأطلعاه على صورة هذه القضيه وأخبراه بما من وضوح جليه واشارا عليه أن يتوجه بأمل فسيح ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح فنهض من ساعته وتوجه بجيشه وجماعته ودب دبيب الدبا فوصل الى مكان يدعى أوراتبا فلما سمع بذلك خليل سلطان أرسل الى الجنود والأعوان وتعجب من وقاحته وتعوذ من كلاحته وجهز الله داد وأرغون شاه مع العساكر الجرارة للملاقاه فسارا حتى دانياه فقابلاه وما قاتلاه ثم أرسلا الى خليل سلطان يستدعيان المدد ويقولان ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته وشدة دعارته وقلة مبالاته انه لم يتزعزع من مناخه ولا دخل ريح هيبتنا فى صماخه فأمدهما بباقى العسكر وحصل تشوف لما يكون من الخبر وأرسلا أيضا أن هذا قد آذى وزاد فسادا وجارى فى عداوته عنادا وعادا فأمددنا بنفسك وأدركنا بجدك وجدك فان هيبتك أقوى وطلعتك أصوى وما ارتكب هذه الجراءة ولا أقدم على هذه الجيئة الا وقد أضمر شرا كبيرا وطوى فى باطنه قارا وقيرا فأدركنا بباقى المقاتله فان هذه المرة تكون الفاصله فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن وخاطر على حلول الحوادث متمكن وأمل فسيح وصدر منشرح معجبا بشبابه مغرما بأصحابه متمايلا بين أحبابه متهاديا بين أترابه فى شرذمة قليله وطائفة نبيله أبعد ما عنده نزولهم وأشرد ما لديه حلول نكد وغم يفديه الكمال وينادية لسان الجمال بقوله

تدللا فانت أهل لذا كا * وتحكم فالحسن قد أعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه الى قصبة تسمى سلطانيه فأرسل الله داد الى خدايداد أن الركاب السلطانى خرج من سمرقند فى اليوم الفلانى وفى الساعة الفلانيه يحل كورة سلطانيه

﴿ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان فى قنص الصيد﴾

فقصد خدايداد المخاتله وترك ثقله مقابل المقاتله ونبذ العساكر وراء ظهره

وتأبط شرشرار ووهراوقهره واستصحب من أبطال القتال ورجال النضال والنزول طائفة جاسرة غير خائفة عنى ما قيل شعر

رزانا اذا لاقوا خفافا اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا

والتحف ذيل الليل واظاهر الخيل واستطرق الى مطلوبه طريقا عوجا واستقودا الى مقصوده قواد الدجى كما قيل شعر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة أنشاها تيمور ولم يكن لأحد به شعور فلم يفجأ خليل سلطان الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان فنهض كل من معه من الأصحاب وأخذوا في الحرب والطعن والضراب وقاتلوا قتال الموت وأيقنوا حلول الفوت فمضت عليهم الحرب العضوض وطرحتهم ما بين مهشوم ومرضوض فقتل حقيرهم وحليلهم ووقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم ثم رجع خدايداد الى معسكره فائزا بنجحه مستبشرا بظفره

﴿فصل﴾ ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان بأشد ما يكون وأبلغ من من أنواع الايمان انه لا يقصده بأذى ولا يرمي في عين مودته بخيال قذى ولا يؤذيه بقول ولا عمل ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودغل وسيرى نتيجة ما حلف وان الله تعالى عفا عما سلف

﴿فصل﴾ ثم التمس منه أن يرسل الى الله داد في دونه من الاجناد أن يستسلموا لخدايداد وأرسل خدايداد أيضا الى الناس بأني قد استوليت منكم على الراس فان أطعتم وفي أطعته وان لم تصلوني قطعته ولما رقم خليل سلطان في هذا الكرب تصوران هذا اسم غرب ثم ظهر له مكان ذلك المكر وتحقق كيف أخذ في المأمن وعلم من أين صب ذلك البلاء عليه وأني آخذ من ذلك الجانب الذي يأمن اليه فقال بلسان الحال

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونعرف

ثم أرسل الى سائر الامراء ورؤساء الجيش والوزراء أن يستسلموا لخدايداد ولا ينازعوه ولا يداوموه فيما يريد ولا يعاندوه فاستسلم الكل اليه واستقل ذراه

وسلم عليه فاستولى على تلك الجنود المجنده وتحصن من غوائل المخاتلة بالرماح
المسدده والسيوف المهنده وقدم بجنود جند وخجند وأغتام تركستان وطغام
أوزجند وأخر من سوى أولئك وتقدم الى سمرقند ولم يلتفت الى الله داد فمن دونه
وتحقق الله داد أن صفقته في ذلك مغبونه فسلخ الزمان عنه ما كان ألبسه من ثوب
عز وسلب وتزمن بين يديه ما كان فيه من جاه ومال وذهب وكان قيام ذلك الحشر
في سنة ثمانمائة واثنتي عشرة

﴿ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد﴾

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل فتغيرت تلك الرسوم والدول وكأنه ظهر
اختلاف الملل والنحل وكان له ابن يدعى الله داد فدعاه بالسلطان على رؤس
الاشهاد وتفحص عن مكامن الخزائن ونقب في أطوادها عن الفلزات والمعادن
ونقر عن مضمرات القفار وبحث عن الخبايا والدفائن وتغيرت الاوضاع وتبدلت
بالفظاظة رقاق الطباع وصاروا كما قيل شعر

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

وتنكرت الصفات حتى كأنما تحولت الذوات أو بدلت الارض غير الارض
والسموات شعر

وتنكرت أرض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

﴿ذكر بلوغ هذه الامور شاهرخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث وحسمه مادة هذه العوائث﴾

ولما اتصل بشاهرخ هذا الخبر عبس وبسر وأضجر وزمجر وازور وازبأر
واكفهر وتغير وجهه وتنمر واستشاط وتقلق وولول واسترجع وحوقل
وحرق وتنكد وتأزم وأنشد شعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير الى أطراف ممالكه بجمع العسكر وأمر شاه
ملك أن يسير غير متربث ويستديم السير ويسابق بمطاوعته عتاق الطير فيتدارك
ما أفرط من النظام ويطارد من وردا حمأة الاغتنام الطغام فلا يدع رائدهم أن

يعلى ويعاجل مستعجل قدرهم أن عل فصار شاه ملك في الحال بعساكر في المدد كالجبال وفي العدد كالرمال ثم أتبعه شاه رخ بسائر الاساوره وكواسر الأكاسره وسار لا يلوي على أحد ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد حتى وصلوا يحدون ويعبروه خطوارسهم ويسترون فانبسط ذلك السيد على وجه الماء فكان البحر غطى بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء

﴿فصــــل﴾ ولما قطع البحر تلك الأطواد واتصل الخبر بخداي داد تيقن أنه لا طاقة لذبابه وقروده بذئاب جنود شاه رخ وأسوده وأن حل عساكره يفرقه ويسلبه ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه فأسرع في تجهيز آربه وبادر الى تجهيز مطالبه وأخذ ما وصلت يده اليه من أموال وأوسق ما بلغت طاقته من نفائس وأحمال واستصحب خليل سلطان وتوجه الى ايدكان وأودع الله داد وأرغون شاه وباياترمش في القلعه وأبى أن يستصحب أحدا منهم معه وترك شاه ملك أيضا في المدينه بفراق خليل رهينه وبسلب ما كانت فيه من العز مهينه

﴿ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجنديه وقبل وصول الشواهين الشاهرخيه﴾

ثم لما رحل خداي داد وانفصل ولم يكن أحد من جهة شاه رخ وصل وما كان للناس ظهر ولا راس أراد الله داد وأرغون شاه أن يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه فرفع خواجا عبد الأول عليهما يده واقام لدهمها من الخروج من القلعة رصده واستعان بشطار المدينه وكان الله داد قبل ذلك أنكاه نكاية أورثته ضغينه كما قيل مصراع

﴿من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا﴾

فلم يختلف في رياسته اثنان ولا انتطح فيها أمرهم به عنزان وصارت اشارته الآمرة الناهيه وجداول مراسيمه فيما بين الناس جاريه وأوامره المطاعة في تلك الأيام الخاليه والعلم يرفع بيته الاعمادله ولم يزل خواجا عبد الأول يسوس الرعيه ويوصي على الله داد رفيقه ومن معهم ويشدد مضائق القضيه الى ان طلعت طلائع شاه ملك وأعقبتها العساكر الشاهرخيه

﴿ذكر بدور بدور الدولة الشاهرخية في ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليلية﴾

فخرج أهل المدينة لاستقباله مستبشرين برؤية جبين هلاله فنزل في أحدق
منزلته ووضع كلاً من الناس في مرتبته ثم قبض على الله داد ورفيقيه وعاقبهم
بأنواع العقاب وعنف في تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم أنواع العذاب ثم
قتلهم صبرا ونقلهم من الدنيا الى الاخرى الا بابا ترمش فانهم عاقبوه وبأنواع
العذاب اطبوه ففي بعض الايام وقد انكبت فيه من العذاب الآلام أخذ الموكلين
عليه ليطلعهم على قضية أو يذهب بهم الى خبيئة فرواه وهو في قيد وثيق على
حوض ماء عريض عميق فاستل من قراب أيديهم عضب يده الداق ورمى بنفسه
وزخ في ذلك الماء على غفلة فغرق

(فصل) ثم ان شاه رخ زار باه وأقام شرائط عزاه وجدد ترتيب القراء على
تربته والقومة واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمة ونقل الى خزائنه جل
ما كان على حفرته من أقمشته وأمتعته وأسلحته وعفر بيادر الخزائن وحفر تخوم
تلك الكنائن وشرع في تمهيد القواعد وترتيب مراتب الاقارب والاباعد

(فصل) وقبضوا على شاد ملك واهانوها وشانوها بالابتذال وصانوها وعصروها
بالعذاب عصب السلم وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات أعوان الظلمة ثم
بعد ذلك الابتذال واستخلاصهم منها أنواع الاموال حزموها وشددوا منها الوثاق
وشهروها منادين عليها في الاسواق واستقرت على شاه رخ الامور وارتفعت
صدور وانقمعت ظهور وعلا انسان وانحط انسان فسبحان من هو كل يوم في
شان عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال ولا يعتري سلطانه
تغير ولا انتقال

(ذكر ما قصده خدايداد من اتمام النكد والفساد وكيف آل ذلك النكال الى ان جرى عليه الوبال)

وأما خدايداد فحين حل في مكانه وخلا بخليل سلطانه في انه كانه جدد معه عهوده
ومواثقه أنه أمنه مكره وبوائقه وذكر أن ذلك النكال والنكاد انما فعله معه
ارغون شاه والله داد مع احسانه اليهم واسباله ذيل انعامه عليهم وانهم كافأوه
مكافأة التمساح وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح ثم قال له اذ كرهني علنا أولا

وظاهرا

وظاهرا وانظر ما أفعله معك باطنا وآخرا وسأفعل معك ما يتحقق به خلوص الطوية وصدق النية بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافيين وفي رياض المنا متوافيين متكافيين فمحوا بما كتب في ألواح صدورنا من المحبة والشفقة مساطير الاساطير المكتتبة في باب الحمامة المطوقة وسأردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك وأجتهد في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وعزتك ثم خطب باسمه في اندكان وأمر بذلك في أطراف تركستان

﴿تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتأكيد العهود والمودات الى أن أدركهما هادم اللذات﴾

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان وذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان وترك خليل سلطان باندكان وكان المغول لما بلغهم موت تيمور المخذول سلبوا قرارهم وأخلوا ديارهم ولجأوا الى الحصون وتشبثوا بأذيال كل كهف مصون كما ذكر أولا فلما تحققوا موته واستثبتوا فوته تنادوا بالامن والامان وجاوروا خدايداد في ذلك المكان وأرسلوا يهنئون خليل سلطان وبعثوا اليه هدايا سنية وتحفا فاخرة ملوكية من جملتها كرسي من ذهب أو رغه صائغه في قالب العجب فأكرم خليل سلطان رسلهم وأعظم نزلهم وأجمل معهم حوارا وأجرا وجازاهم بكل حسنة عشر أمثالها

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ولا زالت خلع المودة بينهم تنفسج ووجوه المكارمة والمحاسنة يوما فيوما تتبهج حتى جرى له ما جرى وجرى عليه من بحر القضاء والقدر ما جرى فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه وأرسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه وقالوا تعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد وانه كان السبب في تبددك وخروج ملكك من يدك وقد جاء يستمد نالك فارسم لنا ما بدا لك فان رسمت قتلناه وان أشرت أمددناه وفي الجملة مهما أمرت به امتثلناه فأرسل يقول قد علمتم كيف آذاني ومزق عرضي وأخزاني وأخرجني

من ممالكي وسلطاني وفرقني عن أهلي وإخواني وأذاقني إذ أساءني بمفارقة حبي وأوطاني والآن فقد جعلني ترسا يتقي بي الحوادث والباسا وقد عرفتم كيف يريد أن يتصرف وعلى كل حال فالعارف لا يعرف ومع هذا مهما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه ففي الحال قطعوا رأسه وإليه أرسلوه

﴿ذكر عود خليل سلطان من ممالك أندكان وقصده عمه شاه رخ ولعبه بالنفس مع ذلك بالرخ﴾

واستمر خليل سلطان في ذلك المكان وأطراف تركستان يرسل بالفارسي الأشعار الرائقة وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد الزيدونية ويذكر ما هو فيه من الغربة وما جرى عليه من الفراق والكربة فيصدع بذلك القلوب ويفتت الأكباد إلى أن مل المقام في تلك البلاد فنفض منها ذيله وضم رجله وخيله وقصد عمه وركب الطريق وأمه فأكرم عمه مثواه ولم يذكر له أخبار ما أنشاه وضم إليه حبيبته وأمال خليل جليلته وقرر قاعدة ذلك الإقليم وشيده وولى فيه أولوغ بيك ولده ونقل إلى خراسان مستصحبا معه خليل سلطان ثم ولاه ممالك الري فلم يقم بها إلا أدنى شيء وانتقل إلى رحمة الله وكان عمه دس له شيئا سقاه فدفن بمدينة الري وطوى نشر ذلك الحاتمي أي طي وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل قالت لا ذقت فقدك ولا عشت بعدك ورنت وأنشدت وغنت شعر

كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها واتكأت عليه بقوتها فنفذ من قفاها وأحرقت بنارها كل من رآها فدفنا في قبر واحد وأمسى لسان حالهما ينشد شعر

أجارتنا إنا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وجرجان وعراق العجم ومازندران وقندهار والهند وكرمان وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان إلى يومنا هذا أعني سنة ثمانمائة وأربعين ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه

ولطفه والحمد لله رب العالمين

﴿فصل في صفات تيمور البديعة وما جبل عليه من هيئة وطبيعة﴾

وكان تيمور طويل النجاد رفيع العماد ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس عجيب الكون أبيض اللون مشربا بحمرة غير مشوب بسمرة ضخم الأطراف عريض الأكتاف غليظ الأصابع مبلك الأكارع مستكمل البنية مسترسل اللحية أشل أعرج اليد والرجل اليمين عيناه كشمعتين غير زهراوين جهير الصوت لا يهاب الموت قد ناهز الثمانين وهو مع ذلك بجأش مكين وبدن مستمسك متين صلابتهما كأنه صخرة صما لا يحب المزاح والكذب ولا يستميله اللهو واللعب يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه لا يأسى على ما فات ولا يفرح بما يأتيه وكان نقش خاتمه راستي رستي يعني صدقت نجوت ويسم دوابه ويرسم سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا لا يجرى فى الماق مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم مقداما شجاعا مهابا مطاعا يحب الشجعان والأبطال ويستفتح بهم أقفال الأهوال ويفترس بهم أسود الرجال ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال ذا أفكار مصيبة وفراسات عجيبة وسعد فائق وجد موافق وعزم بالثبات ناطق ولدى الخطوب صادق قلت

فكم قدحت آراؤه زند فتنة * حمته لدى البأسا وأردت قبائلا

مجابا دراكا للمهم والملزه مرتاضا مستيقظ الرأي لا يخفى عليه تلبيس ملبس ولا يمشي عليه تدليس مدلس يفرق بين المحق والمبطل بفراسته ويدرك الناصح والغاش بدربته ودرايته يكاد يهتدي بأفكاره النجم الثاقب ويستنبع بآراء فراسته سهم كل كوكب صائب قلت

يشاهد أعقاب الأمور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا أمر بأمر أو أشار بشيء لا يرد عنه ولا يثني عنان عزيمته عن شيء منه لئلا ينسب الى قلة الثبات وركاكة الرأي والحركات قلت

اذا قال قولا أو أشار اشارة * ترى أمره في ذاك كالنص قاطعا

وكان يقال له في ألقابه صاحب قران الأقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين وقاهر

الملوك والسلاطين يحكى ان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون
المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب والسالك فيه الاسلوب
الغريب على ما ذكره لي من رآه واطلع على لفظه ومعناه من الاذكياء المهرة والادباء
البررة مع اني لم اره وكان قد قدم الشام مع عساكر الاسلام وصدمات العساكر
الادبار انشبته في مخاليب تيمور الاقدار قال له في بعض مجالسه وقد أنس بتوانسه
بالله يا مولانا الامير ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى أتشرف بتقبيلها
وقال له أيضا لما اراد أن يستصحبه معه وقد سرد عليه شيئا من تواريخ ملوك الغرب وكان
تيمور مغرما باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية الاعجاب ورغب منه في
استصحاب يا مولانا الامير مصر موحشة من انيه ولي فيها نائب غيرك أو ان يجري
فيها غير أمرك ولي فيك عوض من طريفي وتلادي وأهلي وأولادي ووطني
وبلادي وأصحابي وأخداني وأقاربي وخلاني وملوك الناس وعن كل ظهر
وراس بل وعن كل الورى اذ كل الصيد في جوف الفرا وما أتأسف ولا أتلهف
الا على ما مضى من عمري وانقضى من دهري كيف تقضى ذلك في غير خدمتك
ولم تكتحل عيني بنور طلعتك ولكن القضاء جاز وسأستبدل الحقيقة بالمجاز وما
أولاني ان أكرر على لساني قوله

جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير

فلاستأنف في دولتك عمرا ثانيا ولا عدن الزمان بابعادي عن عهدتك عاديا
ولأتدارك ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك والتشبث بغرزك ولاحسبن
ذلك أعز أوقاتي وأعلى مقاماتي وأشرف حالاتي ولكن ما يقصم ظهري الا كتبي
التي افنيت فيها عمري وصرفت جواهر عقلي في تصنيفها وخاصمت نهاري
وسهرت ليلي في ترصيفها وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها وسير ملوك شرقها
وغربها وانك طرزت بها اعلامك واسطة عقدهم وخلاصة نقدهم ولاطرزن بسيرك
خلع دهرهم ولاصيرن دولتك هلال جبين عصرهم اذ أنت أبو القاسم والبازغ
بدر نصره في شرق الغرب من دياجير الاعصر والمكاشف به على لسان كل ولي
والمشار اليه في الزوايج والجفر المنسوب الى أمير المؤمنين علي وصاحب القران
المنتظر في آخر الزمان وهي في القاهرة ولو حصلت عليها ما فارقت ركابك

ولا هجرت أعتابك والحمد لله الذي رزقني من يعرف قيمتي ويعرف خدمتي ولا
يضيع حرمتي مع كلام فصيح صادع بديع بليغ خلاب خادع فاهتزت فرحا
أعطافه ورافقت مرحا أطرافه وأعجبه ذلك وأغراه ميله الى كتب التواريخ
والسير واستهواه حب معرفة أحوال الملوك الذي ذكر حتى شده عما خلبه
بسحر هذا البيان البديع وسلبه ثم انه استوصفه بلاد الغرب ومسالكها
واستوضحه أوضاعها ومسالكها وقراها ودروبها وقبائلها وشعوبها كأنه رآه
وشاهده والقصد في ذلك امتحانه لانه لم يكن محتاجا لذلك اذ في خزائنه صوره
صور جميع الممالك وانما أراد بذلك معرفة مقدار علمه وكيفية أدائه وفهمه
وكتمه فاملى كل ذلك من طرف لسانه كأنه يشاهده وهو جالس في مكانه وشرح
تلك الامور كما في خاطر تيمور ثم قال له كيف تذكرني وتقرنني مع الملوك الاكابر
ولم تنسل في النسب تلك المفاخر وما نحن من يعاسيب النحل فاني تعدني مع الفحل
فقال أعمالكما البديعه أوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعه فأعجبه هذا الكلام وقال
لجماعته اقتدوا به فانه امام ثم أخذ تيمور خبر القاضي عما وقع في بلاده وما جرى
بين ملوك الغرب وأجناده ولا زال يذكر له أخبار الناس حتى سرد عليه أخبار
متعلقيه وأولاده فتحير القاضي من املائه وقال ان الشيطان ليوحي الى أوليائه
ثم ان تيمور عاهد القاضي ان يتوجه الى القاهره ويأخذ أهله وأولاده وكتبه الزاهره
ولا يلبث أكثر من مسافة الطريق ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيل الاماني
وثيق فتجهز الى صفد واستراح من ذلك النكد

(فصل) وكان تيمور محبا للعلماء مقربا للسادات والشرفاء يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما ويقدمهم على كل أحد تقديما عاما وينزل كلا منهم منزلته
ويعرف له اكرامه وحرمته وينبسط اليهم انبساطا مزجه عز وجاه وهيبه ويبحث معهم
بحثا منقادا فيه الانصاف ولطفه مندمج في قهره ورفقه مندرج في بره

شعر متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء

وقيل

مر المذاق على أعدائه بشم * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بأرباب الصناعات والحرف أي صناعة كانت اذا كان شاطر

ويشرف ببعض بطيبه المضحكين والشعراء ويقرب المحدثين والاطباء ويأنس بقولهم ويصغي الى كلامهم ملازما اللعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير فكان يلعب بالشطرنج الكبير ورقعته عشرة في احدى عشر وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير وأشباه غير هذه وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شئ مواظبا لاقراء التواريخ وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسير الملوك وأخبار من مضى من الأنام سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسي وقد تكررت قراءتها عليه وطنت نغماتها على أذنيه فقبض زمام ذلك وملكه حتى صارت له ملكة بحيث ان قارئ ذلك اذا اخبط ردّه الى الصواب من الغلط وذلك لأن التكرار يعلم الحمار وكان أميا لا يقرأ شيأ ولا يكتب ولا يعرف شيأ من العربيه ويعرف من اللغات الفارسية والتركيه والمغوليه حسب لا غير وكان يعتقد القواعد الجنكيزخانيه وهي كفروع الفقه من الملة الاسلاميه ويمشيها على الطريقه المحمديه وكذلك كل الجغتاي وأهل الدشت والخطا وتركستان وأراذل الطغام كلهم يقدمون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد الاسلام ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخاري أبقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وأئمة الاسلام بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانيه على الشريعة الاسلاميه ومن جهات أخر أيضا وقيل ان شاهرخ أبطل التوراة والقواعد الجنكيزخانيه وأمر أن تجري سياستهم على جداول الشريعة الاسلاميه وما أظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الفرعيه والاعتقادات الصحيحه ولو اتفق انه جمع مرازبه وعوانيه في دسكره ويغلق أبوابها ويطلع عليهم من منظره ويفتح عليهم شيأ من هذا الباب لحاصوا حيصة الحمر الى الابواب

(فصل) وكان فريد الطور وحيد الغور لا يدرك لبحر تفكيره قعر ولا يسلك في طود تدبيره سهل ولا وعر قد أوقع في ممالكه نواميسه وأقام في سائر الممالك جواسيسه وهم ما بين أمير كالأمير أحمد أحد أمرائه وفقيه فقير كمسعود الكججاني من أصحاب ديوانه وكان ذلك في القاهرة المعزيه وعابد متق وأحد

الصوفية بالشيخ صمائية ومابين متسبب وتاجر ومصارع شرير وبهلوان فاجر ومكد وصنايعي ومنجم وطبايعي وقلندري قوال وحيدري جوال وبحري سباح وبري سياح وسقاء ظريف وحذاء لطيف وسملاة دلالة وشيخة محتالة كدلة المحتالة ومن مرت به التجارب وضرب أكباد الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال وألف بلطيف حيلته ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال وجاوز في الحيل والكيد ساسان وأبا زيد وألزم في حكمته وجدله ابن سينا وأسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا فجمع بين المتنافيين وألف بين المتعاديين قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *
مزج النقل في القياد بعقل * فهدى عاشقا وأهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف وأخبارهم ويكتبون اليه ماقدموا وآثارهم ويذكرون لديه أرزاقهم وأسعارهم ويصفون منازلهم وأمصارهم ويصورون صورهم وأوطارهم ويخطون بيوتهم وديارهم ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا وما في ذلك ضيقا ورحبا وجهات واقطار اشرقا وغربا وأسامي الامصار والقرى وألقاب المنازل والذرى وأهل كل مكان ورؤساءه وأمراءه وكبراءه وفضلاءه وشرفاءه وأغنياءه وفقراءه واسم كل ولقبه وشهرته ونسبه وحرفته وسببه فكان يطالع بفكره ذلك ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك وكان اذا دخل بلدة واجتمع به من أعيانها أحد شرع يسأله عن فلان وفلان وماجرى لفلان في الوقت الفلاني عما زاده من أمر وشان والى م آلت تلك الواقعة وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعة فيبهت ذلك الرجل ناظرا ويظن أن تيمور كان في تلك الحالة حاضرا وكان كثيرا مايطرح عليهم من أغاليط المسائل ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسائل فيتصورون ان له في ذلك العلم قدمة أو كان منه للعلماء خدمة ولذلك تصور بعض الناس أن ذلك الوسواس الخناس كان مقيما بالسلارية وبعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشيخ صمائية

فصل ومما يحكى من فراسته انه لما نزل على سيواس وقد حصنها منه أولوا النجدة والباس قال لعسكره اعملوا الحيلة انا فتحوه في ثماني عشرة ليلة

فإن كان كذلك فلا شك أن ذلك الأعرج كان ملهما أو مستدرجا وكان ذا مغالطات
وحركات لها مناورات إذا دهمه أمر يتعاطى دفعه وهو يظهر أنه راغب فيه وربما
يظهر الرغبة عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه وقد مر نظائر هذا كله فمن مغالطاته
أنه إذا كان له في مكان روم أو أراد أن ينزل بساحة قوم قصد الإخفاء والتعمية
وطلب الإيهام والتورية وبحر عسكره لا يخلو من تمساح متجسس أو سرطان متحسس
ولو لم يكن لأحد في عسكره عين فإن بزوغ العين لا يخفى على ذي عينين فإنه يجمع
أركان دولته وأعيان مملكته وذوي آرائه ومشورته بحيث إنه لا يتخلف منهم أحد
ولا يحجز مولود عن والد ولا والد عن ولد ثم يظهر لهم خفية أموره ويطلب منهم المشورة
في جهة مسيره ويطلق لهم عنان الكلام ويقول لا تثريب على من خاض في ذلك
من خواص الأنام ناظرا في عواقب الأمور ما بين يوم وعام فليتكلم كل ولا حرج فسواء
هوى إلى حضيض الخطأ أو إلى أوج الصواب عرج فإن أخطأ فلا نقصان وإن
أصاب فله أجران فيبذل كل جهده ويعاني في ذلك كده وكده ويبدي في ذلك
ما أدى إليه اجتهاده ويتصور أن ذلك يوافق مراده فتتفق الآراء على ناحية
من الأنحاء ثم ينفض ذلك المجلس ويجتمع بخواصه ويجالس كسليمان شاه وقاري
وسيف الدين والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين ويمخضون القضية مخضا غير ذلك
ويبحثون فيها بحثا دقيق المسالك فيقع آخر الأمر الاتفاق على التوجه إلى بعض
الآفاق ثم يدعو رائدهم وسائقهم في ذلك وقائدهم ويأمرهم بالتوجه إليه
فيتصدعون على ما عول في ذلك عليه وحين تقويض الظلام خيامه وينشر رائد
الصبح أعلامه ويضرب الكوس للرحيل ويأخذ الناس في التحميل ويتوجه
الناس إلى الجهة التي أمرهم بالمسير إليها ووقع الاتفاق عليها فما مشى بتة بعد
ما حملوا وأخذوا في المسرى وأمرهم أن يعتازوا ويميلوا إلى جهة أخرى لم يكن أبداها
لأحد من الجماعة إلا في تلك الساعة ولولا الضرورة لما أفشاها ولا أعاد سريرتها
لأحد ولا أبداها فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا ويأخذ العساكر شرقا
ويأخذ غربا فتضطرب تلك الأطواد وتختبط وتنفرط عقود نظامهم ولا تكاد
تنضبط وتنحل قوائم مواشيهم من المسير وترتبط ويموج بعض الناس في بعض
وينعكسون سماء في أرض وطولا في عرض ويتوله كل أحد ويتدله ولا يدري إلى

أين يتوجه فان كان في عسكره بيته أمر يراقب ذهابه ومجيئه فبمجرد ما رأى تهيؤهم وشاهد تحولهم ورحيلهم طار الى مخدومه وأظهر له ما في معلومه من توجه العساكر الى الجهة التى اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها فيأخذ حذره أهل ذلك الجانب ويتطمئن سائر الجوانب من النوائب فلم يشعر الا وقد دمر على الجانب الذى قصده وحطمه ونبذه من نار العذاب الموقدة فى السعير والحطمه وكم كان له من دهاء ومكر خفى وذكاء ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام وقد قابلته عساكر الاسلام أشاع أن سوار أساورته تخلخل وتأخر قليلا الى وراء وتحلل وأذاع انه أعوز خيله ورحله الزاد وانه صائب صوب بغداد ثم أسفرت القضيه عن ان انهزمت العساكر المصريه وكان قصده بذلك تثبيت جأشهم واستقرار روساتهم وأوباشهم وان ذكر كل منهم على ما ازم فيربض فى مكانه ولا ينهزم فيحيط بالكل كيده ويصير الجموع صيده ومما يحكى من شدة عزمه وثباته على ما يقصده وحزمه وحلول نقمته عن يعارضه ويماكسه فيما يرومه ويناقضه أنه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود بلغ الى قلعة شاهقة أقراط الدرارى بآذان مراميها عالقه ورسوم النجوم الطارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام فى هواء أحد سواطيرها وكيوان فى مسرا خادم نواطيرها والشمس فى استوائها فرقة بينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من عرق عينها وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها وانوف أبدانها سرادق وكرباب نجوم القمة الخضراء عيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات وبنادق فيها من الهنود طائفة ثابتة الجنان غير خائفة جهزت أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المجزه وتثبتت هى فى تلك القلعة حافظة لها محرزة مع انها شرذمة قليلة وطائفة ذليلة لا ذخر عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الصبر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا حواليها لاحد مبيت ولا مقيل بل هى مطلة على القاتله مستمسكة من المقاتله فأبى أن يجاوزها دون أن يناجزها بالحصار ويناجزها والاديب العاقل ما يترك خصمه وراءه معاقل حملات المقاتلة تناوشها من بعيد ونصب كل من أهلها عليهم من أسباب المنايا ما يريد كما يريد فكان كل يوم قتل من عسكره ما لا يحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففى

بعض أيام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انقهروا وصار يحثهم على القتال
وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أرجالهم
أحوالهم فدعا منهم رؤس الامراء وزعماء العسكر والكبراء وأخذ يمزق أديم
عصمتهم بشفار شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخالب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في
خيشومه فألهب فيهم نيران غضبه وشومه وقال يا لئام وأكلة الحرام تتقلبون
في نعماي وتتوانون عن أعداي جعل الله نعمتي عليكم وبالا وألبسكم بكفرانها
خيبة ونكالا يا فاجري الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومستوجبي النقم
ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام أقدامي وتطيروا الى آفاق الدنيا بأجنحة احساني
وإكرامي وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام سوابقي وتسرحوا في متنزهات الاقاليم
سوائم تحكمكم بترعية دوابي في ممالكتم مشارق الارض ومغاربها وأذبتم جامدها
وأجمدتم ذائبها شعر

ألم الك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يعيبهم ويعنفهم ويهددهم ويتوعدهم وهم مطرقون لا يحيرون جوابا ولا
يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد أن يذوب خنقا فاخترط السيف بيده
اليسرى وهجم به على قوم أولئك الامرى وهم أن يجعل رقابهم قرابه ويسقى
دماءهم فرنده وذبابه وهم على تلك الحال في الخزى والاذلال باذلوا نفوسهم
ناكسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه فلا وتعالك فأغمد عن تفريقهم
حسامه ولم ياو لامر فلته ولا دبرة فقلق غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى
الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده شخص يدعى محمد قاوجين وهو لديه ذو
أمكان مكين ومقام أمين مقدم على كل الوزراء ومبجل دون سائر الامراء مسموع
القول مقبول الرأى ميمون النقيبة محبوب الشكل فتقدموا اليه وعولوا في
حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل
معنا بهذا المعنى قال شعر

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وبما قيل

وأهون ما يعطي الصديق صديقه * من الهين الميسور أن يتكلما

وعاقيـــل

وإن امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين

فأجابهم والتزم أن يرده عما التزمه وأزم وراقب شمال الفال وراعى فرص المجال
وأخذت أفكار تيمور تفور في أمور القلعة وتغور وجعل يستضوي أضواءهم
ويستوري آراءهم ولا يسع كلا منهم إلا القبول لما يستصوبه رأيه ويقول فق
بعض الأحايين اتفق أن قال محمد قاوجين وقد زلت به القضاء وأحاطت به نوازل
البلاء أطال الله بقاء مولانا الأمير وفتح بمفاتيح آرائه وراياته حصن كل أمر عسير
هب أنا فتحنا هذه القلعة بعد أن أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعة هل يفي
هذا بذا ويوازن هذا النفع بهذا الأذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه
بل استدعى شخصا من المرقداريه فطاقج المنقار ذا المقزريه يدعى هرامك
ذا عرق سهك ووجه بالسواد سدك أوسخ من في المطبخ وأسنخ من في المسلخ
أهاب السكاظهو رهندمرقه وعصارة القمر جليب بالنسبة إلى مرقه فحين ما حضر
لديه ووقع نظره عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هرامك خلعت
ثم ألبس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته ودعا دواوين محمد ومباشريه
وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت وذائب وجامد
وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف وإقطاع
وبساتين وضياع ومماليك وأتباع وخيل وجمال وأحمال وأثقال حتى زوجاته
وسراريه وعبيده وجواريه فأنعم بذلك على ذلك الوسخ وأمسى هرامك محمد
قاوجين وهو من لبس تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور أقسم بالله وآياته وكلماته
وصفاته وأرضه وسمواته وكل نبي ومعجزاته وولي وكراماته وبرأس نفسه وذاته
لئن آكل محمد قاوجين أحد أو شاربه أو ماشاه أو صادقه أو صافاه أو آواه إليه
أو آواه أو راجعني في أمره أو شفع عنده فيه أو اشتغل بعذره لأجعلنه مثله
ولأصيرنه مثله ثم طرده وأخرجه وقد سلبه نعمته وأحرجه فصار مسلوب النعم
قد حلت به نوائب النقم ومجبوه بالحلق ورأى نعمته على أقل الخلق واتصل
غيره بالحلق وقطع منه الحلق فملئت حسبة قلبه أي فلق واستمر على ذلك في

عيش مر وعمر طالت وحاشا أن تشبه قصته قضية كعب بن مالك فكان يستحلي
مرارة الموت ويستبطئ اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه
من ألف ضربة بالسيف فلما مات تيمور أحياه ورد عليه خليل سلطان ما سلبه
جده اياه

(فصل) وكان من أبهته وعظمته وشدة شكيمته وعتوه وحرمته أن ملوك
الأطراف وسلاطين الأكناف مع استقلالهم بالخطبه واستبدادهم بالسكه
وانفرادهم بالزعامة والرياسه وقيامهم بأمور الايالة والسياسه كالشيخ ابراهيم
ملك ممالك شروان وخواجا علي بن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان
واسفنديار الرومي وابن قرمان ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان وحاكم منشا
وطهرتن أمير ارزنجان وسلاطين فارس وأذربيجان وملوك الدشت والخطا
وتركستان ومرازبة بذخشان ومراجيح مازندران وعلى الجملة فالمطيعون من
ملوك ايران وتوران كانوا اذا قدموا عليه وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه
يجلسون على أعتاب العبودية والخدمه نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين
بشرائط الأدب والحرمه فاذا أراد منهم واحدا أرسل اليه من الفراشين أو نحوهم
قاصدا فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان
من مكان بعيد فينهض في الحال من مجثاه مجيبا لبيك لبيك دعواه ويعدو نحوه
متعثرا في أذياله متلقيا ما برز به مراسيمه بقبوله واقباله مطرقا رأس التذلل
والخضوع مصغيا بآذان الخنوع والخشوع مفتخرا على أضرابه لكونه أهله
ودعاه واعتنى به وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد فتفرقوا فرقتين
واختلفوا في نقش الكعبتين فقال أحد اللاعبين ورأس الأمير تيمور كذا وكذا
كان نقش الكعبتين فرفع يده خصمه ولطمه وسبه ولعنه وشتمه كأنه ذبح
نبيا أو زكريا الشهيد أو كفر بمحمد أو قدم موسى على أبي البشر وقال يا ابن الفاعله
والغاسل ابن الغاسله بلغ من انتهاكك الحرم أن تذكر الأمير تيمور بفم وأنى
لك أن تجعل خدك موطئ مداسه فضلا أن تحلف برأسه انه لأجل من أن يتفوه
مثلي ومثلك باسمه أو يتلفظ بشيء من حدوده ورسمه وانه لأعظم من كخسرو
وكيكاوس وكيقباد الذين ملكوا المشارق والمغارب وأنهم من بختنصر وشداد

وقيل انه قصد في بعض الاوقات الاصطياد وأرسل ميمنة وميسرة على العادة طوائف الجيش والأجناد ورسم أن يخرج مشاة تلك الرقاع ورجالة تلك القرى والبقاع فيمتدوا في الوهد واليفاع وحين تلتئم على الوحوش حلقة الكيد ويمتنع ان يتنازع فيلا رمي وأصمي كلا من عمرو وزيد لا يشير أحد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد بعدائهم يرتدون أوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد فامتثل كل ما به أمر وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الأحزاب والزمر وأحاطت صافات تلك العساكر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر ماجت بحار الوحوش في ذلك البر ولم تجد لها من دردور تلك السيول الهامرة من مخرج ولا معبر فدارت ومارت وغارت وحارت وثارت وبارت واستجارت بعد ما جارت واستكانت بعد ما زأرت وانطوت أرضها التي طالما طابت انتشرت وطرزت خلع أعلامها بأعلام واذا الوحوش حشرت فبينما هي على تلك الحال في أشد ما يكون من الأهوال أمر بأن تضرب الطبول من كل الجهات وينفخ في صور المزامير والبوقات فدق الكوس وزعق النفير وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير ورجت الارض رجا ومارت الاقطار رجا ورجا وحين سمعت السباع صوت الطبول ورأت الوحوش هذا الامر المهول سقطت قواها وتقطعت كلاها وحشت وما انبعثت ثم تقاربت وتلاءمت وتقارنت وتضامت وتصورت أن القيامة قد قامت فأخذ بعضها بعنق بعض ونامت فعانق الثور منها اللبوة وضاجع الاسد فيها الظبية واختفى السرحان بين الغزلان واستجار الثعلب ببنات الأرنب ولاذ بالأروى النعام والأرنب بالعقاب وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب فعند ذلك أمر الاطفال من أولاده وأولاد الامراء وأحفاده أن يرموا ويصموا ويقتلوا مهما أرادوا ولا يطلقوا وجعل ينظر اليهم ويتفرج عليهم ويزهو لأفعالهم ويقهقه على أحوالهم ويجرئهم على الاقدام والنضال ويشجعهم بذلك على صيد الابطال وجعلت حواشي الجيش تجزع على ما أصموا وتجهز على ما أغروا وصار ذلك المسد يترنم وينشد شعر

صيد الملوك أرانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الأبطال

((فصل)) وكان يحمل اليه البطش من بلخشان والمسك وزبج من نيسابور

وكارون ومعادن خراسان والياقوت من الهند والماس منها ومن السند واللؤلؤ
من هرمز والقطيف والحسا والبشم والمسك وغيره من الخطا ومن سائر الأقطار
خالص الفضة ومصفى النضار

(فصل) وأنشأ في سمرقند بساتين عديده وقصورا شوامخ مشيده كل له
ترتيب غريب ووضع أنيق عجيب أحكم أساسها وطاول بالثريا الفواكه غراسها
سمى أحدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا والآخر جنة الفردوس والآخر بستان
الشمال والآخر الجنة العليا ثم انه هدم قصرا وبنى في كل بستان منها قصرا
وصور في بعض هذه القصور مجالسه وأشكاله صورة تارة ضاحكة وأخرى عابسه
وهيآت مواقعاته وصور محاضراته ومجالس صحبته مع الملوك والأمراء
والسادات والعلماء والكبراء ومثول السلاطين بين يديه ووفودها بالخدمات من
سائر الاقطار اليه وحلق مصائده وكمائن مكائده ووقائع الهند والدشت والعجم
وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه وانهزم وصورة أولاده وأحفاده وأمرائه
وأجناده ومجالس عشرته وكاسات خمرته وسقاة كاسه ومطربي ايناسه
وتغزلات مقاماته ومقامات تغزلاته وحظايا حضرته وخواتين حضرته الى
غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك مدى عمره المتقارب المتدارك كل ذلك
كما وقع ووجد ولم ينقص من ذلك شيأ ولم يزد وقصد بذلك الافاده لمن كان عالم
الغيب عن أحواله بالشهاده فكان اذا توجه الى مكان وخلت سمرقند من الظلمة
وأعوان الشيطان تخلو تلك البساتين ويتوجه اليها أهل المدينه الأغنياء
والمساكين فلا يوجد أعجب منتزها منها ولا أحسن ولا أرفق مرتفقا ولا آمن
وأما ثمارها الطيبة فانها مسبله بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردله وأنشأ في
ضواحي سمرقند وأطرافها قصبات سماهن بأسماء كبار البلدان والأقوات كمصر
ودمشق وبغداد وسلطانية وشيراز مراتب البلاد وأنشأ بستانا في ضواحي
سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا عظيما اتخذ قرارا حكى أن بعض مشيدي
عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة أشهر حتى وجدوها

(فصل) ونساؤه الملكة الكبرى وهي أقدم وأكمل والملكة الصغرى
وهي أحسن وأجمل وهما من بنات ملوك الخطا وتومان بنت الامير موسى أمير

بخشب المار ذكره فى اول الكتاب وحاصله ان كانت كالبدر عند الكمال
وكالشمس قبل الزوال فقتلها فى حياته لشىء بلغه عنها وكان غير واقع وانما فعل
ذلك معها لانه قيل ان سعد قاران كذبا واظنها كانت من الخطايا واما السرارى
والخطايا فأكثر من أن يحصين فالمكان المذكوران معتمدا اشاده لك شوقا
منهما على خليلها وتومان أرسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كما مر
وبعد ما جاءت الى سمرقند وسمعت انها عزمت فى يومنا هذا أعنى سنة أربعين وثمانمائة
على الحج والله تعالى أعلم

(فصل) أولاده الملوك المتخلفون من بعده أميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر
وشاهرخ وهو المتملك فى يومنا هذا و بنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت
مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما أفسدها النساء البغداديات القادمين سمرقند ولها
تواريخ سوء أحفاده غالبهم انقرض الا أولاد شاهرخ وأمثلهم أولوغ بك حاكم
سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وباى سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما فى سنة
ثمان وثلاثين وثمانمائة وحوكى وهو الذى مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت
شمله بعد موت قرا يلوك وذلك فى شهور سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ثم مات فى أواخرها

(فصل) أمراؤه ووزراؤه لا يحصون وأشهرهم من ذكر فى هذا الكتاب وما
مات الا من الطبقة الثالثة من الأمراء والوزراء كذا أخبرنى شيخى الشيخ علاء
الدين البخارى رحمه الله تعالى (دواوينه) الخواجا محمود بن الشهاب الشهروى
ومسعود السمنانى ومحمد الشاغرجى وتاج الدين السلمانى وعلاء الدولة واحمد الطوسى
وغيرهم (منشى ديوانه) وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضى زمانه
وفاضل ابانه فارسيا وعربيا يعرف أخبار الانشاء كيف شاء كان قلمه فى فتح أقاليمه
أنفذ من سنان مخدومه ولما مات تيمور احتجب وطوى بساط الأدب فقيل له
ضحكت البشرة الا تباشر وصفت العشرة فهلا تعاشر فقال ذهب الذى كان يعرف
قيمتى فانا لا أذهب فى خدمة الاحداث حرمتى (امامه) عبد الجبار بن النعمان
المعتزلى (صدور مملكته) مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك وابن عمه الخواجا
عبد الاول وغيرهم (قارى قصصه وتواريخه) مولانا عبيد (أطباؤه) فضل الله
وجمال الدين رئيس الطب بالشام كان وغيرهما وكان دائما يستعمل معاجين الاحجار

وفي سنه ذلك يعني باكورة الابكار (مخدوم) لا يعثر في اعدائهم

فصل حصل في أيام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من أولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويلعب الشطرنج النرد وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي أبو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان أعمى والخواجا عبد الأول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ما وراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة في يومنا هذا بعد ابن عمه عبد الأول ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة احدى وتسعين وسبعمائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي بشيراز ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان أخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخواجا الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ومن القراء مما ومولانا فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف الدامغاني ومولانا اسد الدين الشريف الحافظ الحسيني ومحمود الحرق الخوارزمي وجلال الدين أحمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي الأستاذ في علم الأدوار ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا أحمد بن شمس الأئمة السراي كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان أعجوبة الزمان ومولانا أحمد الترمذي ومولانا منصور القاقاني ومن الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بندكير وعبد القادر المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم ومن المنجمين أناس رعوا لا أعرف من أسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج قال لي استخرجت من زايجة الطالع الجماني سنه وكان هذا الكلام في سنة ثمان وثمانمائة ومن الصاغة الحاج علي الشيرازي والحاج محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما ومن الحكاكين طائفة وأمثالهم التون وكان آية في فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط أحسن من ياقوت ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الحلبي وزين اليزدي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث كان عمه لزين اليزدي بيدقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه ولقد دوخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا وفرق دست مصافاته كل سلطان

وكل شاه مات عنده جدا ولعبا وكان يقول له أنت في ملك الشطرنج فريد كما أني
في سياسة الملك وحيد وكل مني ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد
وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح وما كان أحد يقول انه ينتج ولاد فكره
في لعبه معه من غير طرح وكان فقيها شافعيا محدثا أريحيا حسن البهجة
صادق اللهجة حكى لي أنه رأى أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام وأنه
ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه أحد بعد ذلك من الانام ومن أوصافه في لعبه أنه
كان لا يتفكر ويجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير
أن يتدبر وكان يلعب على الغائب مع خصمين ويعلم مع الطرح ان هو في جهة على
الجهتين وكان يلعب هو والامير بالشطرنج الكبير ورأيت عنده شطرنجا مدورا
وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره وهذه صورته

		١			٢			٣		
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦

(١) موضع بيدق الفيل (٢) موضع بيدق الكشف (٣) موضع بيدق الثور (٤) موضع بيدق الرخ (٥) موضع بيدق الأسد (٦) موضع بيدق الزرافه (٧) موضع بيدق الطليعه (٨) موضع بيدق الوزير (٩) موضع بيدق الشاه (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق الذبابة (١٢) موضع بيدق الجمل (١٣) موضع بيدق الفرس (١٤) موضع بيدق البيدق (١٥) موضع الرخ (١٦) موضع الفرس (١٧) موضع الذبابة (١٨) موضع الطليعه (١٩) موضع الزرافه (٢٠) موضع الكشف (٢١) موضع الزرافه (٢٢) موضع الطليعه (٢٣) موضع الدبابة (٢٤) موضع الفرس (٢٥) موضع الرخ (٢٦) موضع الفيل (٢٧) موضع الأسد (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الثور (٣٠) موضع الفرزين (٣١) موضع الشاه (٣٢) موضع الفرزين (٣٣) موضع الثور (٣٤) موضع الجمل (٣٥) موضع الأسد (٣٦) موضع الفيل

		٣			٢			١		
١	٣	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
٢٣		٢٤		٢٥	٢٦	٢٧		٢٨		٢٩

(١) موضع بيدق الرخ (٢) موضع بيدق الفرس (٣) موضع بيدق الدبابه (٤) موضع بيدق الطليعه (٥) موضع بيدق الزرافه (٦) موضع بيدق الشاه (٧) موضع بيدق الفيل (٨) موضع بيدق الجمل (٩) موضع بيدق الوزير (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق البيدق (١٢) موضع الرخ (١٣) موضع الفرس (١٤) موضع الدبابه (١٥) موضع الطليعه (١٦) موضع الزرافه (١٧) موضع بيدق الشاه (١٨) موضع الزرافه (١٩) موضع الطليعه (٢٠) موضع الدبابه (٢١) موضع الفرس (٢٢) موضع الرخ (٢٣) موضع الفيل (٢٤) موضع الجمل (٢٥) موضع الوزير (٢٦) موضع الشاه (٢٧) موضع الفرزين (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الفيل

وطريقته تعلمه بالفعل أقوى وليس في شرحه بالقول كثير جدوى ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه أنسرين وقطب الموصلي وأردشير الجنكي وغيرهم ومن النقاشين كثير وأعلاهم عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنه ومن النجمية شهاب الدين أحمد الزردكاشي ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره وأعجوبة عصره ولو رصعت حلى الألفاظ بجواهر أوصاف هؤلاء الأعيان لملأت الأكوان من فرائد الجمان وقلائد العقيان وهؤلاء من حضرني ذكره ممن أعرفه وأما من لا أعرفه أو أعرفه ولا يحضرني ذكره فأكثر من أن يحصى وأغزر من أن يستقصى وحاصل الأمر أن تيمور كان جنى كل ثمار وجبى إلى سمرقند ثمرات كل شيء فكان بها من أهل كل فن عجيب وأسلوب من الصنائع غريب من هو على جبين الفضل شامة وبرز على أقرانه فصار في فنه علامة

﴿فصل﴾ وكان في سمرقند إنسان يسمى بالشيخ العريان فقير آدمي بشكل بهي وعزم سني قبل أن عمره على ما عرفه مشايخهم وبين أكابرهم وأصاغرهم ذائع ثلاثمائة وخمسين سنة مع أن قامته مستوية وهيئته حسنة كان المشايخ المعمرون والأكابر المعمرون يقولون لقد كنا نحن أطفال نرى هذا الرجل على هذا الحال وكذلك نروي عن آبائنا الأكرمين ومشايخنا الأقدمين ناقلين ذلك كذلك عن آبائهم والمعمرين من كبرائهم وكان أطلس وله قوة ناهضة وحدة من رآه يتصور أنه لم يبلغ أشده لم يكن للكبر بوجهه تجعيد ولا أثر وكان الأمراء والكبراء والأعيان والصلحاء والفضلاء والرؤساء يترددون إلى زاويته ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط والروح والنشاط وقيل إن أحد فعلته كان وليا يسمى الشيخ زكريا هو معتقد تلك البلاد ومزاره في مكان مشهور على طود من الأطواد وقبره يستجاب عنده الدعا وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى وهو بالكرامات موصوف وفي كرخ هذه المقامات معروف وهو في ربوة ذات قرار فيها جنات تجري من تحتها الأنهار محفوف باليمن والأنس كأنه اقتطع من حظيرة القدس يحكى أنه لما كان فاعلا في ذلك البنيان وقطع في جبهته قطعة من الطين

فرأى ذلك أحد المباشرين واستمر ذلك الطين على هذه الحال نحوا من ثلاث
ليال فلما أرادوا وضع المحراب وقع الاختلاف في الخطا والصواب وكثر في ذلك
الصخب والاضطراب فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه البقعة ولا تعدلوا
عنها يمنة ولا يسرة فقال ذلك المباشر ان في ذلك المكان حاضر بالعجيبة والقضية
والغريبة رجل لم يغسل وجهه ثلاثة أيام يرشد الناس الى معالم الاسلام فقال
ذلك العابد الزاهد أو رجل هو من لم ينم ثلاثة أيام بوضوء واحد ولكن تعال أيها
الجاحد قف مكانك وثبت جنانك ولا تكن ممن أنكر وتولى وانظر الى عروس
الكعبة كيف تجلى فنظر ذلك الذي أنكر فاذا الكعبة أمامه تتبختر ثم التفتوا
الى الشيخ ففقدوه وطلبوه أرضا وسماء فلم يجدوه وهذا المسجد فيه شيء عجيب هذه
أسطوانات من خشب من جملتها سارية شمخت ارتفاعا نحوا من خمسة عشر ذراعا
وغلظ جسمها وبدنها فلا يقدر الرجل على أن يحتضنها وباقي السواري بها قد
حطن قيل انها شجرة قطن ولها خاصية عجيبة ظريفة غريبة من كان به وجع
الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك الضرس فانه ينفعه ويسكن في الحال
وجعه جربته فصح ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب
وشاهده من علامات الظرف والغرائب فان أخبر برؤية هذه السارية الفائقة
كانت رؤيا صادقة واعتقد بصدق الكلام والا كانت رؤيته أضغاث أحلام
(فصل) سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان ولا يجري على جنس المكيلات
فيها بالكيل حسبان وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان ورطل سمرقند
أربعون أوقية كل أوقية بالمثاقيل مائة فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال كل
مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة
ارطال حكى لي مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لان سهام
ترجماته كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمي وتفوق نابت أوتارها نحو آذان
القلوب فتصمي طائرها ولا تخطي فان صدعت من القلوب حجرا تطاير من اتقادها
في الارواح شرار فيحرق برناته الارواح ويشغل بنغماته الاشباح قال استصحبني
تيمور في بعض أسفاره فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره فنزلت عساكره على
حصن لحصاره وضرب خيمته على مكان عال ليشرف منه على القتال ويتفرج في

صنع الرجال ففي بعض الزمان حضرت عنده أنا ورجلان وكان قد حصل له حمى
أورثته كربا وغما وكانت سماء النزال ذات حبك واحتباك ورماح القتال في
الهواء واشتباك فأراد أن يطالع أحوالهم ويشاهد أفعالهم وأفرطت شهوته إلى
الهيمه فقال احملوني الى باب الخيمه فدخل ذلك الرجلان تحت إبطيه وأوقفاه
بباب الخيمة وأنا بين يديه فجعل يشاهد حربهم ويتدبر طعنهم وضربهم ثم أراد
أن يأمرهم بشيء فقال لي يا محمود الي فأسرعت اليه ودخلت تحت عضده فأرسل
أحد الرجلين الى عسكره يأمرهم بما دبر من كره وفره فكأنه لم يبر عليلا ولم
يرو غليلا فقال أنزلاني وعلى الارض ضعاني فوضعناه فسقط كأنه رمة بالية أو
لحمة على باريه ثم أرسل ذلك الرجل الآخر اليهم وأمرهم بما اقتضته آراؤه وأكد
عليهم فبقيت أنا وهو وحدنا لم يبق أحد عندنا فقال لي يا مولانا محمود انظر الى
ضعف بنيتي وقلة حيلتي لا يد لي تقبض ولا رجل تركض ولو رماني الناس
هلكت ولو تركوني وحالي ارتبكت لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا أجلب خيرا
ولا أدفع شرا ثم تأمل كيف سخر الله تعالى لي العباد ويسر لي فتح مغالقات
البلاد وملأ برعبي الخافقين وأطار هيبتي في المغربين والمشرقين وأذل لي الملوك
والجبابره وأهان بين يدي الاكاسرة والقياصره وهل هذه الافعال الا افعاله
وهذه الاعمال الا أعماله ومن هو أنا غير سطيح ذي فاقه لا باب لي في الدخول الى
هذه الافعال ولا طاقه ثم بكى وأبكاني حتى ملأت بالدموع أرداني فانظر الى
هذا الوبر كيف ملك بهذا القول ملك القائلين بالجبر وأنشدوا فيه بالفارسي
بيتين وهما شعر

نیم تنی ملك جهان را گرفت * چشم گشا قدرت یزدان ببین
پای نه وتخت بزیر قدم * دست نه وملك بزیر نگین

(ترجمة فقلت دوبيت)

قد أظهر قدرته في حكمه * من ملك سعة الدنيا في قبضه
لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطئ قدمه

(فصل) وأما عساكرهم وطرائق سلوكهم فإنهم على دين ملوكهم كانوا استدرجوا
من حيث لا يعلمون ورزقوا من حيث لا يحتسبون مسخرا لهم خفيات الدهر

مفتوحا عليهم خبيات الخزائن ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن كل طرف منهم قد
جال وسطا وصار يطوق اللوم أهدى من القطا قد دبروا الامور وجربوا أحوال
الدهور وقاسوا معاصر العصور وكابدوا المكائد وعالجوا الشدائد ومارسوا
الاشيا وذاقوا النعاس والدنيا وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه وأدركوا
مداركه ومعارجه لا يدهيهم داهيه ولا يطغيهم طاغيه يجاوزون بقفراه
ويجيزون جهمه صحراه شعر

لا يفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه ينظر الى أرض ذلك المكان وثراه ثم يقول ليس هذا الثرى
من هذا الثرى ثم ينزل من دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه ثم يلتفت الى
جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه ثم لا يزال يسير عينه من الاعوان حتى
يصلوا الى مكان فيحفرون ويخرجون كنز الدفائن وما في ذلك المكان من الفلاس
والخزائن وكذلك اذا وصلوا الى عمائر أو مروا على مقابر يتوجهون الى الخبء
كأنهم وضعوه بأيديهم وأوحت شياطينهم ذلك اليهم وربما يجيئون الى مقام
مرحلي ما كنه فيه أيام ومضى عليه فيه شهور وأعوام وفيه شيء مطمور لم يكن
لصاحبه وساكنه به شعور فبمجرد دخولهم اليه يقع ذلك عليهم ويطلعون عليه
ومن يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه وكان لهم درايات في دهرهم
عجيبه وسهام آراء في عرضهم مصيبه وكانوا يحملون البقر ويركبونها ويسرجون
الحمر ويلجمونها ويسابقون على ذلك أصحاب الخيل العراب الى تصياب المغانم
فيسبقونها ويطعمون الخيل لحم الكلاب والجمل ويعتاضون عن شعير الفرس
بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس وربما أطعموهم ذلك في السفر وأطعموا
دوابهم لحاء الشجر حكى القاضي برهان الدين ابراهيم بن العوشة الحنفي المذكور
رحمه الله تعالى ان قازان والتتار لما قدموا هذه الديار خرج من له قوة الفرار فارا
من الشرور كما فعلوا في قضية تيمور ومن جملتهم تاجر بالصالحيه كان في عيشة
رخيه وله أموال وافرة وغيره جمع ماله من صامت المال ووضعه في قدرة فوال
ثم عمد الى بركة ماء فحفرها ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها ثم ردها الى مبانيها
وأعاد مياهها الى مجاريها وحين استتب الوثوب وقدمت الدواب للركوب قالت له

امراته

امرأته قد ذهبنا بقرطين وأخاف أن يحدث عليهما في الطريق شين فانظر لهما مكانا وحصل لنا بذلك أمانا فقال أما الآن فلا مكان ثم أخذهما ووضعهما في سقف سقيفة على خشبة لطيفة ثم ركبا وتركا الديار وذهبا فلما حل بدمشق التتار نزل منهم فرقة في تلك الدار فجعلوا يأكلون ويشربون وهم في خوضهم يلعبون فبيناهم بعض الأيام في النشاط قرض الفار أحد تلك الاقراط فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط فتبادرت الجماعة اليها جاريه كأنهم يتسابقون الى قرطي ماريه فسبقت الجماعة ودخلت البلاعه فكشفوا عن وجه الارض سطر خدرها فوجدوا الاموال كما هي في قدرها فأخذوها واللؤلؤة وأخرجوها وقصدوا باقي القرطين واقتسموها وجماعة تيمور أيضا كذا كانت وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم هانت وكل منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غايته عرج فان كنت محدثا عن أحوالهم وأخبارهم فحدث عن البحر ولا حرج

﴿فصل﴾ يحكى أن واحدا منهم من أهل الذكاء والكيد أراد في فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد فأخرج مركوبه وهو بقره فشد عليها سرجه وهو خشبة مكسره غرزة قضيب مدور وحزامه حبل مبتر وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منبوش وبتاجه وهو طرطور من لبد منفوش وشد كنانه وهي جلود ممزقه مشدودة بحبل وعليها خروق مزوقه سهامها فقدا التوت وحنيتها قد استوت ومعه بازي قد نتف القرناص ريشه وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه ثم ركب جواده وحمل بازيه وقصد اصطياده فرأى جماعة من البط على ساحل غدير حط فرفع يده بالبازي ساعه حتى عاين تلك الجماعه ثم وضع يده بخفض وأرسل البازي على الأرض فصار يحجل رويدا قد أضمر للبط كيدا اذ لم يكن له قوة الطيران ولا جناح عليه به يستعان فوصل الى الطير بسكون وهي آمن ما يكون لانها لا تتوقع البلاء الا من جهة السماء فدخل بينها فما نفرت منه ولا هربت عنه فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة وقلبها فأدركه صاحبه وأخذها ولما رحلوا عن دمشق وقد مشقوا أوراق نعمها من أغصان وجودها ای مشق وكان مع بعضهم بقرة نهبها وحملها ما أخذه من الاموال التي سلبها وأركبها أسيره وسار بها مدة يسيره فبعد سيرها يومين أو ثلاثة قلقت ونادت بلسان حالها انها ما لهذا خلقت فلما لم تجد

مطاعا شكت توكلت على الله وبركت فأنزلوا الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم
فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوسعوها ضربا وأشبعوها عنفا وسبا وتلك
المباركة باركة فادموها وهم يضربونها الى أن كادوا يهلكونها فمن شاحط يقدمها
ومن جاذب بزمامها ومن متعلق بقرنها ومن متشبث باذنها وهى جاثمة مثل جبل
أبرهة فعجزوا عنها وأيسوا منها فبينما هم على ذلك وقد ضاقت عليهم المسالك
واذا هم بشيخ كوسج كأنه شجرة عوسج قد سلك المشارق والمغارب ومرت به أنواع
التجارب وقاسى برد الامور وحرها وذاق حلوها ومرها وعرف خيرها وشرها
مر بهم وهم في كربهم فلما رآهم أسارى عاجزين حيارى سكارى وما هم
بسكارى قال تنحوا عنها أي جنبة ثم دنا منها دنو الراقي من ذي جنبه وأخذ كفا من
تراب أنعم من عيش الشباب ثم قبض على قرنها ودسه في أذنها ثم هز راسها الى
مناخها حتى وصل التراب الى صماخها فوثبت قائمة وهي من ذلك الرغام راغمة
وجعلت تنفض راسها وزادت اضطرابها وشماسها وغلبت السير وكادت تطير
فاعادوا عليها أحمالها وزادوا أثقالها فصارت تلك البليها تعدو ولا يقدر عليها
(فصل) وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام وعباد النار من المجوس
الاعجام وكهنة وسحرة وظلمة وكفرة فالمشركون يحملون اصنامهم والكهان
يتبعون كلامهم ويأكلون الميتة والدم المسفوح ولا يفرقون بين مخنوق
ومذبوح وناس حزاؤن وزواجر حزاصون ينظرون في ألواح الضان ويحكون
عما يرون فيها على أحوال كل مكان وما حدث في كل بقعة من الاقاليم السبعة
من الامان والخوف والعدل والحيف والرخص والغلاء والسقم والشفاء
وسائر ما يكون فلا يكادون يخطئون ولهم أيام وشهور وأعوام كل عام منسوب
الى حيوان يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان وفي
الخطا لهم خط يسمى دالبرجين رأيت حروفه اعدادا أربعين وسبب زيادته أنهم
يعدون التفاخيم والامالات حروفا وكذلك البين بينات فتتولد الزوائد وكل
حرف زائد وأما الجغتاى فلهم قلم يسمى أويغور وهو بالقلم المغولي مشهور وعدته
أربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد أن حروف الحلق يكتبونها
على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء

والفاء

والفاء ومثل الراء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون
تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم وخاقانيهم وتواريخهم
وأشعارهم وقصصهم وأخبارهم ومجلاتهم وأسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور
الدنيويه والتورة الجنكيزخانيه والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم لانه مفتاح
الرزق عندهم

﴿فصــــل﴾ ولما كان فيهم من جبل على الفظاظه والقسوة والغلاظه ومن هو
قليل الرحمة بل وعديم الاسلام كفرة فجرة أوغاد انذال طغام أغتام قد اتخذوه من
دون الله هاديا ونصيرا واستكبروا به في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا استجرهم
كفرهم وحبهم اياه الى انه لو ادعى النبوة أو الالهية لصدقوه في دعواه كل منهم
يتقرب الى الله تعالى ببره ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره مدة حياته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان الى قبره وكان
ترقى معه في المصاحبه حتى وصل الى مقام المراقبه قيل انه كان في السفر فرأى
واحدا من العسكر كان العكرى عطف رقبته أو السرى أمال شقته أو على حال
لا يتوجه عليه فيه لوم ولا عتب فضلا عن ان يترتب عليه ضرب أو سب فقال تيمور
ترى ما ثم أحد قاطع يقطع رأس هذا الفاعل الصانع ولم يزد على هذا الكلام
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام اسمه دولة تيمور وهو أمير كبير مشهور قد
البسه الله ثوب النقمه ولم يشمه شيأ من روايح الرحمه ففي الحال سل رأسه من بين
كتفيه وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الاعظم
فقال هذا الرأس الذى امرت أن يقطع فاعجبته هذه العبارة وابتهج بان أمره
يمتثل بأدنى اشاره وكان فيهم الظرفاء والادباء والاذكياء والشعراء ومنهم في
الفضل أعلام وعلماء وفيهم المحقق والباحث في العلوم والمدقق ومن شارك في
كل العلوم وبحث فيها بحثا شافيا من طريقي المنطوق والمفهوم ويقرر مذهب
الصوفية واحياء العلوم ومع هذا بعضهم يمشى على مقتضى ما علمه وكان من الذين
آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه وبعضهم كان مع رقة الحاشيه واللطافة
الفاشيه والعلم الوافي والظرف الشافي والجمال الفائق والكمال الشائق
والكلام الرائق قلبه أقسى من الحجر وفعله أنكى من ضرب الصارم الذكر

يقولون من قول خير البريه ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه واذا وقع مسلم في مخاليبهم أو ابتلى غريب بتقليبهم صنف ذلك العالم المحقق والحبر المدقق في استخراج المال أنواع العذاب وأصناف العقاب واستحضر في فنون تعذيبه كتبا ومسائل وسرد في علوم تعذيبه خطبا ورسائل فيصير ذلك المسكين يتشكوى ويستغيث ويتلوى ويستجير بالله وآياته ويستشفع بكل ما في أرضه وسمواته من ملك ونبي وصديق وولي وذلك الملح يضحك ويتظارف ويتمايل ويتلاطف وينشد لطائف الاشعار ويتمثل بطرائف النوادر والاخبار وربما تحرق وبكى وتأوه لما يفعل بذلك من التعذيب والتشكي وصار كبعض قضاة الاسلام المستولي على مال الايتام يخطب ويبكي وفعله في قلوب المسلمين ينكي ولما كانوا في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان برقاق العجم راداهم وعلوه من النفائس والطراف والنعم شعر

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه وبانواع العذاب والعقاب عذبوه ثم أحكموا رجليه شدا وعلقوه واستخرجوا النفائس واستجلوا من حسانهم العرائس وأحضروا اللذيذات المطاعم والمشارب وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب وجعلوا يأكلون ويشربون ويلهون ويطربون واذا تحرك في واحد منهم الخبث أو غل وأخذه في سكره العبث عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد فسقاه الماء والملح وسفه الكلس والرماد وكان فيهم عالم متقشف عن تناول المسكرات متعفف كما قيل

عجبت من شيخي ومن زهده * وذكره النار وأهوالها

يكره أن يشرب في فضة * ويسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر أحضروا له السكر المكرر ووضعوه له في صيني الحوافق وصبوا عليه الماء الرائق فيسكرون هم بالاقداح القوادح ويسكر ذلك الفاسق المجرم من الروائح ثم يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه وهو في اشد ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث ويتناول من ذلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحارث أو وارث وكان

في عسكره كثير من النساء يلجن معامع الهيجاء ووقائع البأساء ويقابلن الرجال
ويقاتلن أشد القتال ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال من طعن
بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال وإذا كانت إحداهن حاملا وأخذها وهم
سائرون الطلق تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق ونزلت عن دابتها ووضعت
حملها ولفته وركبت دابتها وأخذته ولحقت أهلها وكان في عسكره ناس ولدوا في
السفر وبلغوا وتزوجوا وجاءهم أولاد ولم يسكنوا الحضر وكان في عسكره ناس
صلحاء عباد ورهبون زهاد أبرار أمجاد لهم في الخيرات أوراد وفي وردها إصدار
وإيراد دأبهم خلاص مأسور أو جبر مكسور أو إطفاء حريق أو إنقاذ غريق
أو اصطناع معروف أو إغاثة ملهوف مهما أمكنهم ووصلت إليه يدهم إما بقوة
وأيد وإما بنوع خديعة وكيد وإما باستيهاب واستشفاع أو بعوض وابتياع
وكانوا سائرين معه بالاضطرار ودائرين معه هذه المعاني بالاختيار حكى لي مولانا
جمال الدين أحمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين وكان إمام محمد
سلطان في حياته وإمام مدرسته بعد وفاته ثم خطيب تربته وبها أدركته المنية
سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد
سلطان أعلم المماليك وأولاد الأمراء القرآن فأرسل إليّ عبده الظلوم وهو
متوجه إلى بلاد الروم أن توجه إليه وبعده والأمير سيف الدين عليه فامتثل
ما به أمر وأخذ في إعداد أهبة السفر وقال لي هيئ مرافقتك واقطع علائقك
وخذ أهبة سفرك واعمل مصلحة رحلك ونزلك ووافقنا في المرافقة فإن من حسن
المرافقة الموافقة فاستعفيته من الذهاب وفتحت له في سد خوخة السفر كل باب
فقلت له يا مولاي أنا رجل من أهل القرآن والفاقة ما لي بفتح باب السفر من طاقة
لأني ضعيف البنيان رخو الأركان لا جلد لي على الحركة وإن كان في صحبة
مولانا الأمير كل خير وبركة خصوصا في هذا السفر البعيد الشقة الكثير المشقة
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقة لا جمل لي في مناخ السفر ولا ناقة وأما أنتم
فالسفر عليكم حتم لازم وحق ملازم لا يسعكم فيه التخلف ولا يفسح لكم فيه المطل
والتسوف فلم يعفني وتعلل لي بعلل على فيها ولم يشفني فلم أر بدا من الاستعداد
وتحصيل الرفيق والزاد ثم سرنا حتى وافينا جنده وقد ركب في الجادة حده وجنده

ورأيناه من تلك العساكر بجار الأول منها ولا آخر إن انفرط أحد من سلك جماعته
وضل معتزلا عن سنن سنته لا يصل إليهم بالسرج والشمع ويهتدي إلى سنة جماعته
إلا إن كان يوم الجمع فبينما أنا معهم أسير وقد وهن مني العظم الكسير وأثرني
التعب وأخذني النصب والوصب ومللت السرى وسئمت الكرى نفضت
يدي من الرفيق وأخذت على جنبة من الطريق فلما أن خلوت هتفت بالقرآن
العظيم وتلوت ثم استهواني الذوق والشوق فالتفت عراقيب ساقي إلى فوق وكان
صوته أطيب من رقيق المقطوع على رخيم الموصول وألذ من جسم شمول على كأس
شمول نسيم الشمال معلول وبرضاب الحبيب مشمول قال وإذا بشابين ضعيفين
كالعود البالي نحيفين أشعثين أصفرين ذوي طمرين أشبرين يصرفان من
جذب وملقاني على الوتد بالطنب فهلا يرقبان أحوالي ويستمعان أقوالي
فلما زمزمت زمزمتي وكشفت هتفتي وألقيت في خزانة صدري جواهر كلماتي
وشنفت بطائع دماغي زواهر آياتي بكيا لمناجاتي وأمنا على دعواتي ثم أقبلا نحوي
وسلما واهتزا لما سمعا من تلاوتي وترنما وقالا أحيى الله قلبك كما أحييت قلوبنا
وجلوت عما سطرت في ألواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا ثم إنهما آنساني
بالخطاب وجارياني بالسؤال والجواب وإذا هما من صميم الجغتاي ومخالص عسكر تيمور
ومن ضيفي التتار وسنخ الفتن والشرور ثم سألاني عن قراري ومجاري ومن
رفيقي في هذا السفر وجاري فأخبرتهما عن مولدي ومحتدي ومسقط رأسي
من بلدي وأني من أهل القرآن وأني مع محمد سلطان فقالا لي يا سيدنا الشيخ
أغا جئنا إليك لتحسن إلينا وإنا سائلوك عن شيء فلا تصد فيه علينا فقلت قولا
وطولا فلن تجداني ملولا فقالا يا مولانا هذا شيء يعنينا وإن كان قد عنانا وكل
من اشتغل بما لا يعنيه فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه شعر

ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

فبالله يا سيدنا قل من أين تأكل فقلت على خوان محمد سلطان فقال مأكول
هذا العسكر حلال أم حرام ووبال فقلت الغالب عليه الحرام بل كله والله مظالم
وآثام لأنه من الثارات والنهب والغارات والغصب والاختلاسات والسلب
فقالا والله يا إمام لقد أسأنا الأدب إذ واجهناك بهذا الكلام ولكن أنتم أهل

العلم شيمتكم العفو عن الجاني والحلم وأنتم أولى بجبر الكسير وفك الاسير وتيسير الامر العسير فقابل مناهذا الغض بالصفح ولا تعامل هذا الاملاق بالقمع فقلت سلا ولا تسلسلا فقال نسألك بالله الذي اصطفاك لحزن كلامه الذي تعبد به عباده وبينهم فيه معالم حلاله وحرامه لا تؤاخذنا بما اجترمنا عليك به فان الشيخ المرشد كالوالد المشفق لا يؤاخذ ولده بقلة أدبه فقلت كلا سلا لا ما شئتما وسلاسلا مهما أردتما فقال يا سيدنا أما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام فقلت انى دخلت فيهم وانا مضطر وخرجت منهم وأنا كاره مجبر واكرهنى محمد سلطان وحاباني بما حباني من الاحسان فصحبتهم وعين ذاتى من كحل الراحة مرها وحملنى فرسى فى سفرى كرها ووضعتنى كرها فقال أرأيتك لو امتنعت عن الخروج أكانوا يريقون دمك ويأسرون أولادك ويسبون حرمك فقلت لا والله وحاشا لله فقالا أكانوا يحبسونك ويضربونك وفى مقام المصادرة يجلسونك فقلت أنا أعلم حقا بما من أن يسوموني خسفا وعذابا لانى حافظ القرآن والقرآن حافظى من هذا الخسران قالا فغاية فعلهم معك اذا أرادوا تعززك وتعنفك أنهم كانوا يشقونك ويعمدون الى معلومك فيقطعونك ويسخطون عليك ويغضون برهم الواصل اليك قلت ولا كانوا أيضا فاعلون كذا وتعززى وتعنتى ما حط من مكانتى عندهم الى هذا الاذى ولكنهم حابونى فاستحييت وخادعونى فانخدعت ولبتنى أبيت فقالا لا يصلح هذا لك عذرا ويحه ولا يسلك بك الى محجة الاعتذار بين يدى الله تعالى سواء المحجة فهلا جلست فى مكانك واشتغلت بتلاوة قرآنك ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك وفرغت بدنك عن الكلال وملأت بطنك من الحلال واحتميت فى حمى دينك عن هؤلاء اللئام واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام مع انا معشر من أمثالكم ما قد ضرب فى أمثالكم أهل القرآن وخاصته أهل الله وخاصته وأنهم حفاظه بين خلقه وبركاتهم أدر سحاب رزقه وان السلاطين ملوك الناس أجمعين وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين واذا أعتقكم الله وأعفاكم الناس وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب والكبد والرأس ولم يبق لاحد عليكم سلطة ثم ألقيتم أنتم أنفسكم بأيديكم الى هذه الورطة وتهافتم على النار تهافت الفراش على النار

ورضيتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضر والاضطرار فكيف يصح
هذا الاعتذار وأي يخفيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار وهل صرتم الا كما قيل

معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقالت أما اذا صرتما الى الفضيحة فكأنا في هذه المصيبة سويه * مصراع

(بي مثل ما بك يا حمامة فاندبي)

وقيل بي مثل ما بك يا حمام البان * أنا بالقيود وانت بالاغصان

فبكيا انتحابا وتأوها التهابا وتنفسا الصعداء وقالا أين ما بين قصتنا وقصتك
في المدى فورب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين ولكن ما كل الحال يقال
وما كل ما يعلم يقال وأين السر من الاعلان وأن الحيطان لها آذان فقالت هذا
ليس بحجة فلا تحيدا عن سواء المحجة فقالا نحن مضطرون جبرا مأخوذون
قهرا وقسرا وانا مكتوبون في الديوان مضافون الى واحد من أعيان الاعوان
اذا ورد علينا مرسوم بالبروز في يوم عيد مثلا أو نوروز ويكون الخروج وقت
الظهر وتأخر منا واحد الى وقت العصر لم يكن له جزاء فيما ارتكبه الا الصلب
أو ضرب الرقبة فضلا عن ضرب وشتم وشناعة أو رفع عمل أو تقديم شفاعة وأي
أثر من قعودنا أو تخلف أو استتار بذيل توار أو توقف فنحن مدى الدهر لأجل هذا
مستوفزون وعن مثل ما جرى على أضرابنا من هذا البلاء متحرزون متيقظون
أبدا الليل والنهار وما نحن عاملون بقضية رحم الله من رأى العبرة في غيره واعتبر
ويا ليتنا أمكننا التحويل عن مملكته والرحيل عن أقاليم ولايته وسلطنته وكيف
لنا بذلك وهي مسقط راسنا ومحل أناسنا ومحط ايناسنا والف رحالنا
ومنتزهات معيشتنا ومدرج آبائنا ومخرج أبنائنا ومقام قبائلنا وعشائرنا ومنابت
قاطنينا ومقابرنا ولو غاب من هوام قبائلنا أحد لصلاهن بابل أو هدهد يجوب
البلاد سبيل الظلم والحيف واحكم في رقاب سائرنا مثل الموت بالسيف وأما اذا
برزنا وعزمنا على المسير معه وتجهزنا فنسأل كم مقنب وأي جوقة يدلك
البريد المريب فنأخذ أهبة الآلات المقدار وكل منا ابن عم الآخر وجار وله جراب
فيه سويقه ومعه كافة نفسه وفرسه وعليقه يصوم مدى الدهر ويفطر على ما يسد

الرمق ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا
وما بذلناه فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا لا نتعرض لمال أحد ولا لعرضه
ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه ولا لاحد عندنا نشب ولا بيننا وبين أحد علاقة
ولا سبب ولكن يا مولانا البلاء الطام والمصاب العام رقصا رؤسهما يمينا وشمالا
وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا وابيضت شفاههما واسودت جباههما وأخذا
في البكاء والعويل وانتحبا الانتحاب العريض الطويل فوالله لقد ذابت نفسي
لديهما واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة اليهما وتفكرت فيما دهاهما من شدة الامر
وعلت أنهما هما الفايضان بكفيهما على الجمر ثم تأوهت آها بعد آه وقلت بالله
يا اخواناه وما هذا البلاء الطام والمصاب العام الذي ذكرتماه قالا خيولنا
ومواشينا وحوامل مهادنا وغواشينا نرفق بها في التحميل وما نركبها الا وقت
الاعياء في الرحيل وأمر قصمها قصم ظهورنا وأعجز أمورنا واضطرنا الى الخوض
في دماء المسلمين وأموالهم والجأنا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم وما ندري كيف
الخلاص وأنى نجوا من ذا القنص فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر
العالي رخصة او هل من قطرة برد تطفي جمرة الحرارة وتسكن شوق هذه الغصة
فقلت لا والله الا عناية الله وأيم الله لقد أشبعتماني شرا وجرعتماني صبرا ومقرا
وأوسعتماني نكدا وضرا وكان همومي مابي من نصبي وعذابي يكفيني اليوم
تكفيني فقد زدتماني بلاء على بلاء وعناء على عنائي فبالله من انتما وما اسماؤكما
وفي أي قطر أرضكما وسماؤكما ومن من انتما فبحيتكما ما حييتما تخبراني ولا تدبراني
لابكي في كل وقت البكا وأفوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا الحمد لله الذي برؤيتك
حيانا أن معرفتنا لا تجديك شيأ ولا تبرك وعدم المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك
والغالب على ظننا يا مولانا أنك بعد اليوم لن ترانا وان قدر اجتماع فنحن نسعى
على رؤسنا اليك وخليفتنا الله والسلام عليك ثم ودعاني وفارقا وأودعاني ألم
الفراق وانصرفا هذا من البحر قطره ومن الطود دره ونسأل الله سبحانه وتعالى
أن يصون من الزلل أقوالنا ومن الخطل والخلل أفعالنا وأحوالنا وحسبنا الله ونعم
الوكيل

خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أدب عبده أحمد فأحسن تأديبه وخصه اذ رباه بآياته وانشاه
غريبا بكل بديعة وغريبه وأظهر له في بيان بديع المعاني منهج كل فن وأسلوبه
فأعجب أهل زمانه اذ أعجزهم بما أتاهم به من كل أعجوبه أحمده حمدا
تفتحت في رياض آلائه أنوار فصاحته وأشكره شكرا أينعت في رياض نعمائه
أزهار بلاغته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة طابق خبرها
الواقع والاعتقاد وأسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقة الاسناد
فتنطق الايمان بأقوالها وتعلق الاسلام بأفعالها وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذي أنشأ أخبار جنته على التوحيد وقصر فصل رسالته على وصل
الاخلاص بالتمجيد صلى الله عليه صلاة باقية ببقاء اعجازه موصولة بطنب الاطناب
وصل فصيح الكلام بايجازه وعلى آله وأصحابه شموس سماء الفصاحه وبدور
أفلاك البلاغه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فيقول العبد الفقير المولى المعترف
بتقصيره وخطاياه المقترف من صغائره وعطاياه الراجي لحدائق المغفرة
المفرعة اجتناء أحمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا الحمصي لقبا الانصاري نسبا
الدمشقي مولدا السني معتقدا عامله الله بما كان أهله وحفظ عليه دينه وعقله
لما كانت الدنيا دار انقلاب ومحل تغير واضطراب قدمت على الاخرى
لاكتساب اما الجزيل الثواب واما الوبيل العقاب وكان سيرها سريع
الانقضاء واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث أردت أن يخلد لي ذكر
يجول لي في خواطر الآخرين فكر أهل رحمة تبقى أرجوها لديه في فنادانى
لسان الحال لا تخل عنه لك لم تدعها ولا مال وأما الاولاد فليت صالحهم كاف في ثمره
ووارث في سياق نفعه وضره فلم يبق الا علم ينتفع أو افادة ترفع وقد صنف العلماء
في كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغايه وتدرجوا في تقريره وتحريره من البدايه
الى النهايه ومثلوا معانيه متونا وشروحا وبينوا مطاويه شفاها ورسوما مع أن
دروس العلوم قد درست وحدائق رياضها ذبلت ويبست وصار الكلام فيها عيا

والتقوى

والمستوى في تحقيقها وتدقيقها اليها ولم يبق لطالب العلم انتفاع الا انه اذا احتاج الى القوت عرض كتبه للابتياع غير أن بعض كبراء العصر ورؤساء الدهر وبقايا الاكياس متشوفون لتواريخ الناس ومتطلعون لمعرفة أحوال من ساس من ذنب وراس ويتشرفون لسالف الاخبار كيف كان أمر الناس وسار ولم يكن فيما مضى من هذه الامة وانقضى من متغلبيها وبغاتها ومتمرديها وطغاتها مسلمها وكافرها مقسطها وباغيها عاتيها وموآتيها مصادقيها ومعاديها صالحها وطالحها سانحها وبارحها غابرها ودارجها عابرها وخارجها مثل تيمور الاعرج ولا أعجب منه في العتو ولا أعوج سيره كلها عبر وكل عبرة منها فيها اسرار أموره أظهر من أن تخفى وما اقترفه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا فقصدت ما ذكرته وذكرت ما قصدته وتوخيت الافادة والاعتبار لا التفاخر والاشتهار فاعترضتني نوائب الخطوب وكشرت دون مرامي أنياب القطوب وجبهتني يد الردع وصدمتني قارعة المنع بأن أكبر الكبائر في هذا الدهر الداثر أدب أديب أو فضل أريب أو علم عالم لا سيما غريب لقد كره الاديب والفقيه كراهية التحريم الا التنزيه وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ ولهم الذنب اذ يداهم أوكتا وفوهم نفخ ثم ذكرتني شأني وخاطبتني بلسان شعر

أتصرف غض العمر في طلب العلى * فتظمى أكبادا وتسهر أعينا
تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا
وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أمسكتها يد الضنا
ففي مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى
الى ان حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم محاسنا
فصرت عزيزا في البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا
وقد سل فوق الرأس سيف مشيبه * وهل بعد هذا غير معترك الفنا
أتخشى ضياعا بعد ذلك وعيلة * فترهب من فقر وترغب في الدنا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا
وهل في الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل أنا
فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا

فما ثم ذو فضل بصدر منشرح سقط منك واسترح فتضاعفت الحال تشتيتا وزاد الكمد تفتيتا وارتبكت في عزمي واشتبكت بين همي بين ان اسكت فاضيع او ان اقول فلا يسمع فقدمت رجلا وأخرت أخرى واستنهضت جواد فكري كرا وفرا فقوى الى صدق النية فيما هممت وخلوص الطوية على ما عزمت وجمعت من بال متفرق والفت من فكر متمزق من قضايا تيمور الطويلة العريضة نبذه وجذبت بكف الافكار من قوس حكاياته جذوه ثلاث في بيانها من بدايع المعاني العجيبه وسلكت وقد صرفت نحوه شرق النطق سنان الكلام مضيبه وشحذت غربه فجاءت بحمد الله تعالى ظريفة المعاني كاملة اللطيفة المباني فاضلتها قات في مرآت الادب

بألفاظ ألحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون

حوت دقة الجزل ودقته وريافة الهزل ورقته ولطافة الادباء وظرافة الشعراء وفصاحة البلغاء وبلاغة الفصحاء وحقائق الحكماء ودقائق العلماء مع الامثال المائقه والاستشهادات الانيقه والاستطرادات الرائقه والتشبيهات الغريبه والاستعارات العجيبه ونوافث السحرة من علماء البيان ونوادر المهرة من أرباب الديوان وفرحت حلل الحماسه فيها برقيق الغزل ونمنمت حلة الجد بمنمق الهزل وطرزت طرز ذلك كله باعلام الآيات الشريفه ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه أصبت بكل ذلك شعر الفصد وطبقت بحسامه مفصل الغرب قات في مرآة الأدب

كأن النهى قد كان في ناعسا * فرصل أذنيه ما ألفظا
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة * ففتح عينيه وبات يقظا

فمن أراد التنزه في تواريخ ملوك جهاتها وتكرارها ومن قصد التمسك في رياض الانشاء فليقتطف من جنى أزهارها ومن سلك طرائق الادب فليجن من حدائقها جنا ثمارها ومن رام التسلق الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال أستارها ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق أخبارها ومن اقتفى سياسة الاشرافيه بدقائق أسرارها مع اني لم آل جهدا في التهذيب ولم تزل استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب الثانى الكلام كالدر المنتظم والدر المنجم لايدأب

يتعانق لفظه ومعناه أولا وآخرا ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا والا اختل نظمه واعتل فهمه وانحطت منزلته وسقطت من سلم الفصاحة درجته وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف وذوق أحلى من العسل وفكر أمضى من الأسل ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النيه فان ضروب الأسنة ربما جاوزت الى ما ينشب على القائلين الجنه ومن لي بذلك وأني يتيسر لي سلوك هذه المسالك وكنت طالما أفوق سهم النظر في بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق وأصوب غواص الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصد رقيق حتى اذا قلت فاز القناص وحاز الغواص واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطري الطريق وتمساح الهموم التهم غواص فكري فاذا هو في بحر الغموم غريق فتستد في وجه قصدي المسالك وأصير من نهار أمري الى ليل حالك قلت

وأني أنتقي للنظم درا * ولم تظفر يدي منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزما وإتمام ما شرعت فيه محتما لم أر بدا من الحام ما أسديته واصماء ما غيته فصرت في وعوره أقع وأقوم وفي بحوره أغطس وأعوم ان راق راكد الخاطر أوحى الفكر الفاتر فتذكرت من الكلام أراذله وألحقت بكل منه ما شاكله واذا أزعجه من الزمان الجفا تكدر منه ما صفا وتبلدت الافكار وتولدت الأخطار وتساوى عنده بصر البصيرة الليل والنهار قلت

أكمل كل سطر بعد شهر * وأبني كل بيت بعد عام

فلا أضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا أذكر الخبر الا وقد نسي المبتدا

(قلت مضمنا شعرا)

والفكر كالبحر يبدي لي جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وتحرم القاعده ويختلط رأس المال والفائده فقل لي أني ينتظم قال وقد انفرط نظام الحال هذا وان الكلام له مقامات ولكل من الفصاحة والبلاغة درجات (قلت قد عيا مترجما)

ما استوى في موقف افصاح منطيق ولو * قد حبا سحب سحبان وأعمى الأصمعي

فافتكر فيما ترى في منزل أعمى الورى * هل ترى تبت تحاذي قل يا أرض ابلعي

وأين من يوفى المقامات حقها ويعطى كل مستحق منها مستحقها وانه سلكت فى
هذا الكتاب مسلك أبناء العصر وطريقة أولاد الدهر فان الناس بزمانهم أشبه
منهم بآبائهم ولو اخذت فيه أخذ العرب العرباء وألبسته فى ألفاظه ومعانيه ثوب
الاستقصاء والاباء فأبرزت ما قصدته من المعانى الجزلة العجيبة فى قوالب ألفاظ
غريبة لما التفت أحد اليه ولا عوّل لقصور الهمم والأفهام عليه وأما كانت
المجازات المشهورة خيرا من الحقائق المهجورة والغلط المستعمل أولى من
الصواب المهمل أبرزتها فى اشارات رشيقة وعبارات رقيقة وعملت فى بعض
الأواخر بقوله رجز

ما كسوت من حباه شعرا * ولو أشاء حكته شعرا

(ولقد قيل)

اذا أحسست فى لفظى قصورا * وخطى والبراعة والبيان

فلا ترتب بفهمى ان رقصى * على مقدار ايقاع الزمان

ثم ان بين هذا الكتاب وبين ما صنفه قبله ذوو الآداب بونا بعيدا وأمدا بعيدا
بون ومثل ما ان زمانهم كان بالرفاهية يساعد وأنا فى عصر لا ساعد لى فيه ولا مساعد
ومثل ما ان وقتهم كان فيه من يربى الفضل وأهله ويجعل كلا منهم محله من الملوك
والأكابر وذوى الفضائل والمآثر وأرباب المناصب والمفاخر وأقل من فيهم
كان يحب السماع ويميل الى الفضل والأدب بالطباع فكان الفضل فضيلة
والأدب خصلة جميلة وأما الآن فقد انقلب بأهله الزمان فصار حامل الفضل
والأدب من رهطه والمنتظم من السلك فى سلكه ورهطه كأنه سارق حملته
تحت ابطه ومثل ما ان الأوهام كانت مدركة وكانت آذان القريحة الكاملة متحركة
لقد صارت الأوهام جامدة والقرائح خامدة ونارها خامدة ومثل ما ان غالب ما صنف
أخباره كاذبة وسهام أغراضه غير صائبة لأن لا الواقع يطابقه ولا الخارج يوافقه
فجد مصنفه الى ما عقدته مخيلته وتوهمته فكرته فألف حسب ما أراد وأسس على
مقتضى اختياره ما شاد وشاد وأما هذا الكتاب فأخباره صادقة وكلماته بالصدق
ناطقة اذ هى فى الواقع للخارج مطابقة فابدا ما انشىء الا لمن رأى وأعاد على طبق
ما أريد منه ووفق ما أراد وليتنى فى هذا وهذا كفافا من غير ما وغير ما عاقى

ولئن ساعد الزمان بترفيه الحال وخلاص سكان الهموم ربع البال لأتبعن آثاره بالأستر بقدر الامكان عواره ولأبذلن الجهد في ترقيحه واصلاحه وتنقيحه والافاصفح مأمول والعدر عند خيار الناس مقبول والمسئول من صدقات ذوي الأدب البالغين في البلاغة أعلى الرتب أن يسبلوا ذيل الاغضاء عليه وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه ويقيلوا العثار ويقبلوا الاعذار فيشدوا أسره ويجبروا كسره ويرقعوا اخلاله ويحققوا أماله راجين من لطف الله ما أرجوه منهم لعل الله سبحانه أن يعفو عني وعنهم مع انا كلنا في الهوى سوا وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى الحمد لله حمدا يعلأ أركان الأمكنه ويعطر خياشيم الأزمنه وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ قائلها أمنه وتحله بشفاعته في جنة الفردوس الأعلى أسكنه وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه ونستغفر الله من حصائد الألسنه وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بعون الله الملك الغفور تم طبع الكتاب المسمى بعجائب المقدور في أخبار تيمور ولعمري انه أتى في فنه بالعجب العجاب وسفر عن تفانينه بكل أعجوبة وفصل وخطاب وكان تمام طبعه الفائق وتحسين وضعه الرائق بالمطبعة العامرة العثمانيه

التي محل ادارتها بمصر بحارة الفراخة بخط باب الشعريه على يد

مديرها ومنشئها المتوكل على الملك الخالق الفاضل الشيخ

عثمان عبد الرازق وفاح مسك ختامه وبدر بدر تمامه

في أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ألف

وثلاثمائة وخمس من هجرة النبي عليه

الصلاة والسلام ماتليت أخبار

وأذيعت أسرار وتعاقب الليل

والنهار وغرد طير في

الأسحار آمين

آمين

م

فهرست كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور

صحيفه

٢ خطبة الكتاب
٣ فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وسببه
٨ ذكر عبوره جيحون على قنطرة وما جرى من العبرات بهذه العبرة
ذكر ما جرى له من الخطبة في دخوله الى قرشي وخلوصه من تلك الورطة
٩ ذكر من أسرف في فتنة ذلك الجافي واستعبده من أحرار ملوك الاطراف
١٠ ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الأركان
ذكر الحيلة التي صنعها والخديعة التي ابتدعها
١١ ذكر توجهه الى بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان
١٢ ذكر وثوب توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان
١٣ ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور
ذكر ما جرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار
١٤ فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند
١٥ ذكر ابتداء ما حصل له من التسلط بالقهر بعد استقصائه ممالك ما وراء النهر
ذكر تصميم العزم وقصده جميع الأطراف وأولا ممالك خوارزم
١٦ ذكر عوده ثانيا الى خوارزم
ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذي خلصه من الصلب وراود فيه أباه
١٧ ذكر اجتماع ذلك الجافي بالشيخ زين الدين أبي بكر الخوافي
١٨ ذكر عوده الى خراسان وتخريبه ولاية سجستان
١٩ ذكر قصد ذلك الغدار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه
ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار
٢١ ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع
٢٣ ذكر توجه تيمور مرة ثالثة الى خوارزم بالعساكر العابثة العاثية
٢٤ ذكر توجه ذلك الباغية الى خوارزم مرة رابعة

صحيفه

ذكر ما كان ذلك الجان راسل به شاه ولى أمير ممالك مازندران

٢٥ ذكر مراسلة شاه ولى سلاطين العراق وما وقع فى ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق

٢٦ ذكر ما جرى لابى بكر الشاسبانى من الوقائع مع ذلك الجانى

٢٧ ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم

٢٨ ذكر دقيقة من دقائق السلطنة ونقضت ما أبرمه شاه منصور من عقد مصالحة

٢٩ ذكر ما نقل عن شاه منصور مما وقع بعسكر تيمور من الحرب والويل تحت جنح الليل

٣٢ ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد وفاة شاه منصور

ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان

٣٤ ذكر ضبط طرف القتل والجلا وما صدر منه فى تلك الاماكن وأقى

٣٥ ذكر عود ذلك الافعوان الى ممالك فارس وخراسان وتمكنه بملوك عراق العجم واستصفائه تلك الولايات والامم

٣٩ حكاية

٤٠ سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ابداؤه لا يحتاج الى علة وسبب

ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر وجمود ذلك البحر المائر لتطمئن منه الاطراف فيصطفها كما يريد بها الدوائر

٤١ نموذج مما كان يفور ذلك الطوفان المذكور من عساكره فى جيوش ويفوض على أمور ثم يفور ويشور ومن جملة ذلك غوصه غمار الانهار وخوضه بلاد التور

٤٢ ابتداء تخريب ذلك الحزب آذربيجان وممالك عراق العرب

٤٤ صفة قلعة النجاه

٤٦ ذكر أخبار صاحب بغداد واسماء آبائه والاجداد وكيفية دخوله الى هذه البلاد

٤٧ ذكر ما اتفق له من انقلاب مقر الملك فى بلاد آذربيجان وديار بكر

ذكر

صحيفه

٤٨ ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الظاهر من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر
٥٠ ايضاح ما أخفاه من الحيلة وصلود زند تلك الأفكار الوبيلة
٥٢ ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قفجاق ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها
٥٧ ذكر وصول ذلك الطوفان وجفة أمم الدشت بعد كسره توقتاميش خان
٥٨ ذكر ما وقع من الخلاف فى عسكر توقتاميش وقت المصاف
٥٩ ذكر ايدكو وما صنعه وكيف خلب تيمور وخدعه
٦١ ذكر ما جرى فى نواحى الشمال بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال الى أن تغير أمر كل منهما وحال
٦٣ رجعنا الى ما كنا فيه من أمور تيمور ورود واهيه
ابتدا ثوران ذلك القتام فيما يتعلق بممالك الشام
٦٥ ذكر ما أجاب به السلطان أبو يزيد بن عثمان للقاضى برهان الدين أبى العباس سلطان ممالك سيواس
٦٧ ذكر توجه العساكر الشامية لدفع تلك الداهية
٦٨ ذكر رجوع ذلك المكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود
٦٩ ذكر ما فعله ذلك المحتال من الخديعة فى اجفال الأفيال
٧١ ذكر وصول ذلك الخبر الى ذلك المعقوق بوفاة الملكين أبى العباس أحمد والملك الظاهر برقوق
٧٢ معنى كتاب وفد وهو فى الهند عليه زعموا أن ولده أميرانشاه أرسله اليه
٧٦ ذكر ما وقع من الفتن والبدع وما سل للشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس والشام
ذكر نبذة من أمور القاضى وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضى
٧٨ ذكر محو قرايلوك عثمان آثار أنوار برهان الدين السلطان بسبب ما أظهره من العدوان واضمره حالة العصيان وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان

صحيفة

٧٩ ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأى المصيب ورسوخه فى عزمه وظفر بشيخ نجيب

٨١ ذكر ما وقع من الفساد فى الدنيا والدين بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين

٨٢ ذكر مشاورة الناس من أهل سيواس الى من يسلكون ومن يملكون

٨٣ ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من هذه الديار

٨٤ ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام الغرام على فرق ممالك الشام

٨٥ ذكر ما أرسل من كتاب وتضمنه خطابه الى النواب بحلب وهو فى عين تاب

٨٦ ذكر ما تشاور عليه النواب وهم فى حلب وتيمور فى عين تاب

٨٧ ذكر ما صب من صواعق البيض واليلب على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب

٩٠ زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه

٩٤ ذكر ورود هذا الخبر الذى أقلق ووصول استنبغا الدوادار بصدد القصار الى جلق

٩٥ ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر

٩٦ حكاية

٩٨ ذكر واقعة وقعت ومعركة صدعت ثم انفقت

٩٩ ذكر ما افتعل لسلطان مصر ابن اخت تيمور من المكر والمين

١٠٠ ذكر ما تم من النفاق بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق

١٠١ ذكر خروج الاعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الامان

١٠٨ ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل بهم الباس ووفى بما التمسه النفوس والانفاس

١١٠ ذكر معنى كتاب أرسل اليه على يد يسق بعد ما فر ياس بين يديه

١١٢ ذكر المشئوم النار فى البلد والآثار

اقلاع هاتيك الرزايا واقشاع غمام تلك الدواهى والبلايا عن بلاد الشام

صحيفه

عاقصه له من أوزار وخطايا
١١٣ ذكر ماجرى فى مصر وسائر الاقطار عندما اعهم هذه الاخبار واستيقانهم هذه الاهوال والاخطار
ذكر من أصيب من سهام القضاء بازشق ووقع فى مخالب أسره من أعيان دمشق
١١٥ ذكر ما أباد بعده الجراد
١١٦ ذكر ورود ماردين بالهيبه وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبه
صفة هذه القلعة
١١٧ ذكر تركه فى المحاصرة العناد والمكابرة وتوجهه عارديه ذوى الفساد من ماردين الى بغداد
١١٨ ذكر ما فعله السلطان أحمد ابن الشيخ أويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك النحيس
١٢٠ ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته فى قراباغ
ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم ايلدريم بايزيد
١٢٢ ذكر طيران ذلك البوم وقصده خراب ممالك الروم
١٢٥ ذكر ما عزم ابن عثمان عليه عند انصباب ذلك الطوفان اليه
١٢٦ ذكر ما فعله الخداع المكار وغشه فى تخييذه عن ابن عثمان جنود التتار
١٢٧ ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل
١٢٨ ذكر ما فعله ذلك الساقطه مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه
١٣٠ ذكر ما وقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان فى كل ثغر ورباط
١٣٢ ذكر أولاد ابن عثمان وكيف شتتهم وأبادهم الزمان
١٣٤ عود الى ما كنا فيه من أمور تيمور ودواهيه
ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكايه غدت بأوصافه القبيحة على مر الزمان

صحيفة

حكاية

١٣٤ ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله سامعا مطيعا بين يديه

١٣٦ ذكر فتح قلعة أزمير وحتفها وابتدائه بتخريب ربضها ووصفها

ذكر ما صنعه من أمور الروم وهو في بلاد الروم من قصده بلاد الخطا واستخلاص ممالك الترك والجتا الخ

١٣٨ ذكر حلول غضب ذلك الجبار على بغداد وتنفيذه إياها إلى أقصى البلاد

أنموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط وما كان يصل إليه غواص فكره النشيط

١٣٩ ذكر ما فعله ذلك المكار عند تخييره أمير الروم من الغدر بالتتار

١٤٣ ذكر ارتفاع ذلك الغمام بصواعق بلائه عن ممالك الأروام

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى

١٤٥ ذكر سبب أخذه هذا الحصن المنيع وبيان معاني ما جرى في ذلك من صنيع بديع

١٤٧ تتمة ما جرى للكرج مع تيمور شيخ العرج

ذكر طلب الكرج الأمان واستشفاعهم إلى ذلك الجاني بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان

١٤٨ ذكر ثني عنانه إلى أوطانه وقصده بلاده بعد استكماله فساده

١٤٩ ذكر نهوض ملوك الأطراف لاستقباله ووفودهم عليه وتهنئته بحسن مآله

١٥٠ ذكر توزيعه التتار أرسالا فرقا يمينا وشمالا

١٥١ ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع به صحائف خواتيم سيئاته والى باستيفائه راس شقائه

١٥٨ ذكر بعض حوادث مقدمة لتلفات ذلك العابث

١٦٠ ذكر عزمه لما كان على الخطا وتجليه سكرة الموت بالحق وكشف عنه الغطا ثم انتقاله من سفره إلى سقره

١٦٢ ذكر من سموم أرسله إلى بغداد بث منه الإنكاد وفت القلوب والأعضاد وزاد ما شد له فيه من عزوم بالإنكاد

صحيفة

١٦٤ ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار واستقراره في الدرك الأسفل من النار

١٧٠ فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور من حوادث وأمور وما ظهر من سرور وشرور

ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت

١٧٣ ذكر خلاص العساكر من البندوقة وقدومهم مع عظامه الى سمرقند

ذكر ما أضمره وزراء تيمور وأخفاه كل منهم في الامور

١٧٤ ذكر وصول خليل سلطان جعاله من سلطان الى الاوطان

ذكر مواراة ذلك الخبيث والقائه في قعر الجدث

١٧٦ ذكر من أظهر العناد والمراء وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء

١٧٧ ذكر أخبار الله داد صاحب أشپاره واخلائه اياها وقصده دياره وما صنعه في تدبير الملك وآثاره قولا وفعلا واشارة الى أن أدرك في ذلك دماره وبواره

١٧٨ ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد تخالفت معانيهما وتصارمت فحاويهما

١٧٩ ذكر من خلفه الله داد باشپاره من الطوائف وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف

١٨٠ ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخبله واسترق عقله وسلبه

ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحل أمر جليل

١٨٢ ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرما معززا في الاوطان

ذكر تنبه خدايداد بأن الله داد غلب عقله بانكال وانكاد

١٨٣ ذكر ما وقع في توران بعد موته من حوادث الزمان

١٨٤ ذكر نهوض ايدكو بالتتار وقصده ما وراء النهر وتلك الديار

ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه وما جرى بينه وبين خليل وواليه

١٨٦ ذكر تجهيز خليل سلطان حسين لمناصرته وخروجه عن خليل

صحيفة

سلطان وقبضه على أمرائه ومخالفته

١٨٧ ذكر خداع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين

١٨٨ ذكر أخذ سلطان حسين على الأمراء الميثاق ومشيه على خليل سلطان وهو معه في الايثاق

١٨٩ ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند لالقاء سلطان حسين بطوائف جنده ورجوع سلطان حسين تائبا ومعه محقق حتفين

بقية ما جرى لبير محمد عما قصده من فرج وهم وكيف آل ذلك بالأمر ثانيا فنقض ما تم

١٩٠ ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية والقائهم بهزيمتهم إياهم في أشر بلية

١٩٢ ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان وشاهد تمسهم بالخروج وقصدهم الأوطان

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله إلى قندهار

١٩٣ ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كرة وما حصل عليه في ذلك من كرة وفره وتوليته الدبر كما بدأ أول مره

١٩٤ ذكر ما صنعه بير محمد من حيلة عادت عليه بأفكاره الوبيلة لأن سدواها كانت قليلة

ذكر اعتراف بير محمد انه ظالم وطلبه الصلح والقائه السلم

١٩٥ ذكر محالفة ونكد وقعت بين بير علي وبير محمد أراحت ثوب الحياة عنهما وأراحت مخالفيهما منهما

ذكر ما وقع من حوادث الزمان في غيبة خليل سلطان

ذكر تجريد خليل سلطان الأجناد وتوجهه إلى شيخ نور الدين وخداياداد

١٩٦ ذكر إيقاد شيخ نور الدين وخداياداد نارا لخليل ليحرقاه فأطفأها الله تعالى ووقاه

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خداياداد وتداعيهما للقتال والجلاد

ذكر رجوع شيخ نور الدين إلى الاعتذار والتنصل عند خليل مما كان منه

صحيفة

وصار

١٩٧ ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمذ التى خربها جنكيز خان وتجهيزه العساكر لهذا الشان

١٩٨ ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان فى مقابلة ما فعله خليل سلطان

١٩٩ اشارة الى ما حدث فى أقاليم ايران وما جرى من سيول الدماء عند تصوب ذلك الطوفان

٢٠٠ ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم أوطانهم بما وراء النهر

ذكر ما أثار الزمان الغدار من دمار وبوار التى به الخليل فى النار

٢٠١ ذكر ما افتكره الله داد ودبره فى مراسلة خدايداد

٢٠٢ ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان فى قبض الصيد

٢٠٤ ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد

ذكر بلوغ هذه الامور شاه رخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث وحسمه مادة هذه العوائث

٢٠٥ ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الهندية وقبل وصول الشواهين الشاهرخية

ذكر بدور الدولة الشاهرخية فى سماء ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس النوبة الخليلية

٢٠٦ ذكر ما قصده خدايداد من اتمام الكيد والفساد وكيف آل ذلك الشكال الى أن جرى عليه الوبال

٢٠٧ تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتأكيد العهود والموادات الى أن أدركهما هادم اللذات

٢٠٨ ذكر عود خليل سلطان من ممالك اندكان وقصده عمه شاه رخ ولعبه بالنفس مع ذلك بالرخ

٢٠٩ فصل فى صفات تيمور البديعة وما جبل عليه من سجية وطبيعة

٢٢٨ خاتمة الكتاب

﴿تم الفهرست﴾